الجزء الثالث من السلسلة

نصب الموائد

لذكر الفتاوى والنوادر والفوائد

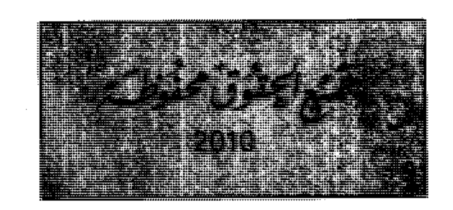
جامعه

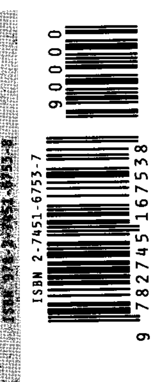
الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي



Title	:	**Naṣb al-mawa'id lidikr al-fatāwā wal-nawādir wal-fawā'id**
Classification:		Jurisprudence and exhortation
Author	:	Al-šayḫ ʿAbdullah al-Talīdi
Publisher	:	Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages	:	320
Size	:	17*24
Year	:	2010
Printed in	:	Lebanon
Edition	:	1st

الكتاب	:	**نصب الموائد لذكر الفتاوى والنوادر والفوائد**
التصنيف	:	فقه ومواعظ
المؤلف	:	الشيخ عبد الله التليدي
الناشر	:	دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات	:	320
قياس الصفحات	:	17*24
سنة الطباعة	:	2010
بلد الطباعة	:	لبنـــان
الطبعة	:	الأولى





ISBN 2-7451-6753-7

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله وآله وأصحابه.

وبعد، فهذا هو الجزء الثالث من نصب الموائد شاء الله عز وجل أن يخرج لعالم المطبوعات بعد عدة أعوام من طبع الأول منه والثاني وقد كثر السؤال عنه وتشوق القراء لخروجه. وكان الحامل لتأخر ظهوره وطبعه عدة أسباب قاهرة لا داعي لذكرها.

هذا وقد اشتمل كسابقيه على فوائد وغرائب وطرف لا تخلو من عبرة أو ذكرى أو تجربة أو فائدة علمية دينية.... فهو نعم الأنيس في الخلوة.

والله الموفق لأقوم طريق. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

الفرج بعد الشدة

عن الحسن البصري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ قال: خرج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مسرورًا فرحاً وهو يضحك وهو يقول (لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً). رواه عبد الرزاق 380/25 وابن جرير 236/30 وابن أبي حاتم10/ 3446 في تفاسيرهم وهو مرسل صحيح. ونحوه عن قتادة أيضا مرفوعا رواه ابن جرير236/30 بسند صحيح أيضا وذكره البخاري في التفسير في ترجمة 341/10 فقال: (ولن يغلب عسر يسرين) وقال الحاكم صح ذلك عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما. وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله سلم جالسا وحياله جحر فقال: (لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل إليه فيخرجه)، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ رواه ابن أبي حاتم 3446/10 والبزار 3388 والطبراني في الأوسط 1548 وفي سنده عايذ بن شريح وهو ضعيف كذا في المجمع 139/7، في هذه الآية الكريمة وما في الباب من أحاديث وآثار بشارة للمكروبين المبتلين وأنه لا بد من حصول الفرج بعد الشدة لهم.

ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (ولن يغلب عسر يسرين) أن العرب جرت عادتها في أساليب كلامها أن المعرفة إذا تكررت كانت الثانية هي الأولى فالعسر الثاني في الآية هو الأول، فهو عسر واحد. والنكرة إذا تكررت كانت الثانية غير الأولى وعليه فاليسر الثاني غير الأول، فيكون يسران في مقابلة عسر واحد، وهذا دقيق فهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعظيم استنباطه ثم إن الإنسان إذا ابتلي ونزلت به شدة فله مع ذلك أمور أربعة:

أولاً، مقابلة ما نزل به بالرضا بالقضاء وهو من لوازم الإيمان وواجباته وعليه أن يؤكد ذلك بالاسترجاع فور الصدمة.

ثانياً، تحمل ذلك بالصبر عليه وعدم التسخط والتضجر وفي ذلك الأجر العظيم فقد جاء في الحديث الصحيح: (لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله ونفسه حتى يلقى الله وليس عليه ذنب).

ثالثاً، انتظار الفرج وذلك عبادة مستقلة.

رابعاً، أن يلتجأ إلى الله تعالى فيدعوه بأدعية الكرب الواردة في السنة وهي:

(لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم). رواه البخاري ومسلم. (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما بسند صحيح. (اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح. فبذكر هذه الأدعية يذهب الهم والحزن والكرب وتهون المصيبة ومما يهون المصيبة ما ذكره شريح القاضي قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني. ذكره التنوخي في الفرج بعد الشدة. وقال بعض الحكماء: العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين أحدهما، السرور بما بقي له، والآخر رجاء الفرج مما نزل به.

وذكر غير واحد أن ملك الفرس سجن بعض الحكماء وأمر أن لا يزيد طعامه اليومين على قرصين من شعير وقليل من ملح فأقام الحكيم على هذه الحالة أياما دون أن يتكلم فأمر الملك أصحابه أن يدخلوا على الحكيم ويسألوه عن ذلك فقالوا:

أيها الحكيم نراك في ضيق وشدة دون أن يؤثرا على صحتك فما السبب؟ فقال: لأني علمت دواء من ستة أخلاط آخذ منه كل يوم شيئا وهو الذي حفظ توازن صحتي على ما ترون ولله الحمد فقالوا: صفه لنا فقال: الخلط الأول الثقة بالله

عز وجل، والثاني علمي أن كل مقدور كائن، والثالث أن الصبر خير ما يستعمله الممتحن، والرابع أن أصبر، والخامس قد يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه، والسادس من ساعة إلى ساعة فرج، فبلغ ذلك الملك فعفا عنه.

والمقصود أن العسر يعقبه اليسر والكرب يأتي بعده الفرج وقد أحسن من قال:

فــلا تــيأس إذا أُعْـــسِرْتَ يــوماً ... فقــد أُيْــسِرْتَ فــي دهــر طــويل

فــلا تَظُــنَّنَ بــربك ظــن ســوءٍ ... فـــإن الله أولـــى بالجمـــيل

فـــإن العـــسر يتـــبعه يـــسار ... وقـــول الله أصـــدق كـــل قـــيل

وقد ذكرت جملة ممن وقعوا في شدائد ثم أفرج عنهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب فارجع إليه. وللعلامة القاضي أبي علي المحسن التنوخي المتوفى سنة 384 هجرية كتاب: الفرج بعد الشدة طبع في خمس مجلدات من أنفس ما كتب في الموضوع فعليك به.

من عدم الإنصاف

كنت منذ سنوات بالمسجد الحرام قبالة الكعبة بين العشاءين وإذا برجل سوداني ظهر لي أنه من أهل العلم له لحية شمطاء فوقف إلى جنبي ووضع مصحفا على الأرض إلى جانب حذاءيه وكبر يصلي فلم أملك نفسي لانتهاك حرمة كلام الله المقدس فأخذت المصحف ووضعته في موضع آخر مناسب له، فلما سلم الرجل أقبل علي مغضبا لائما إياي على ما صنعت فقلت له: إن هذا كلام الله تعالى فلا يناسب وضعه مع الحذاء على الأرض وقد قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ فاغتاظ الرجل وقال مع غلظة: أأنت تعلمني فلما رأيت الرجل متكبرا غير منصف سكت وقمت من مجلسي وفارقته إلى موضع آخر. فإذا كان شأن من ينتمي إلى العلم على هذه الحالة فكيف يكون غيرهم من العامة والجهلة الغوغاء؟

طريفة فيها عبرة

كان المغرب الأقصى كباقي الأقطار الإسلامية مستوطنا لليهود مع المسلمين منذ أزمنة طوال، وقرون كثيرة، وكانوا يسكنون المدن والبوادي ويتعاطون كل أنواع الحرف والمهن والصناعات والتجارة وكان فريق منهم يقطنون بضواحي الحسيمة شرق شمال المغرب يعيشون على الفلاحة وتربية المواشي والتجارة في الأسواق الريفية وكان لأحدهم حمار يحسن إليه ويتعاهده، ولا يحمله ما لا يطيق وعندما استقل المغرب عسكريا شعر اليهود بالخطر عليهم من طرف المغاربة كما كانت بوادر ذلك قد ظهرت فجعلوا يهاجرون... وكان منهم صاحب الحمار فاضطر إلى بيع حماره في جملة ما باع من أمتعته فاشترى الحمار فلاح ريفي متمسلم جاهل جافي فجعل يسئ إلى الحمار ويجيعه، ويحمله من الأحمال ما لا يطيق، ثم يزيد فيركب عليه ويضيف إلى ركوبه ضربه... فتعب الحمار مرة فوقف يلهث ويتنفس الصعداء فجعل الفلاح القاسي يضربه ضربات متوالية ويقول له: امش أخزاك الله، أتحسب الإسلام سهلا يعني أن الحمار كان يهوديا مستريحا لأن اليهودية فيها راحة أما الآن وقد أصبح الحمار مسلما يملكه متمسلم فالإسلام عنده بطبيعة الحال صعب فلا بد وأن يكون الحمار صبورا على إسلامه يتحمل الشدائد والعذاب، وفي هذه القصة عبرة وذكرى لمن كان له قلب.

من أشد آيات القرآن على الكفار

في القرآن الكريم آيات كثيرة شديدة على الكفار تفيد أبديتهم في جهنم وخلودهم فيها بدون نهاية. ومن أشد الآيات القرآنية عليهم ما يلي:

كقوله تعالى في سورة النساء 56: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ومعناه كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا جديدة ليذوقوا شدة العذاب وآلامه.

وقوله تعالى في سورة الإسراء 97: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ يعني مهما سكن لهيبها وحاولت الخمود والانتقاص زادها إيقادا وتلهبا واشتعالا.

وقوله عز وجل في سورة المؤمنون 107 - 108: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ۝ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ ﴾ أي ابعدوا في النار أذلاء مخزيين ممقوتين ولا تكلموني في رفع العذاب عنكم.. وذلك قطع لرجائهم.

وقوله جل علاه في سورة النبأ 30: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝ ﴾ قال المفسرون: ليس في القرآن على أهل النار آية أشد من هذه الآية كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه، أعاذنا الله وأمهاتنا وآبائنا وأولادنا وأزواجنا ومشايخنا وجميع المؤمنين من عذابه وغضبه آمين.

من عبر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما كانت صحف إبراهيم؟ فقال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر..

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات، فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه..

وسئل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ فقال: كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رآى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل... رواه ابن حبان 93 بالموارد والحاكم وصححه.

من أحكام الإمامة

سؤال: كثيرا ما نسمع بأن إمامة الأعزب غير جائزة فما الحق في ذلك؟.

الجواب: الإمامة في الصلاة وإن كانت لها مكانتها في الإسلام لكنه ليس من شروطها أن يكون الإمام متزوجا بل العبرة بالأقرأ الأفقه العالم بالسنة مع الديانة والاستقامة بل كل من صحت صلاته صحت إمامته كما يقول الفقهاء سواء كان الإمام عربيا أم أعجميا، حرا أم عبدا، كامل الخلقة أم ناقصها، بصيرا أم أعمى، متزوجا أم أعزب بل حتى الفاسق والظالم الجائر تصح إمامته وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يصلون خلف أمراء الجور من بني أمية وغيرهم ومنهم الحجاج الثقفي وكان من أظلم خلق الله تعالى كما هو معروف نعم الأفضل أن يكون الإمام تقيا متدينا ملتزما متزوجا وقد يكون أحيانا الأعزب أتقى من المتزوج...

سؤال: في حينا مساجد ثلاثة في أحدها إمام الجمعة من عدول القاضي وفي الثاني مبتدع، حالق، مخالف للسنة، وفي الثالث جاهل لا يحسن قراءة الفاتحة؟
الجواب: بالنسبة لهؤلاء الأئمة الذين ذكرتهم هي من المصائب التي عمت بلاد المسلمين حيث يعطى الأمر إلى غير أهله، غير أن خلاصة الموضوع أنك إذا وجدت غير هذه المساجد مما يكون فيها الأئمة أكفاء فانتقل إليها وإن كانت بعيدة وصل صلاة يطمئن قلبك إلى قبولها وإلا فصل خلفهم فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أئمة الجور: (...يصلون لكم...فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم) وهو في الصحيح. فيكفيك أن تأتي بالصلاة كاملة وفق السنة ولا يضرك فسق الإمام أو خطؤه في صلاته ومخالفته للسنة إن لم يكن عن معاندة.

من الجمع بين الصلاتين

سؤال: هذا الرجل أراد السفر فصلى الظهر والعصر جمع تقديم ثم طرأ عليه ما منعه من السفر فهل يجب عليه إعادة صلاة العصر؟

الجواب: الجمع بين الصلاتين الظهرين والعشاءين مشروع في السفر وهذا الذي جمع قبل سفره ثم تأخر عن السفر لا إعادة عليه للعصر لأمرين أما أولا فإنه جمع بنية السفر فصلاته صحيحة وأما ثانيا فإن الجمع في الحضر جائز أحيانا من غير أن يتخذ عادة لحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر ولا مطر فقيل لابن عباس ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته... رواه مسلم وغيره.

فالجمع أحيانا لا بأس به وقد قال به جماعة من أهل العلم.

فائدة فيها حجج مفحمة للملاحدة

ذكر المؤرخون أن الإمام عامر الشعبي رحمه الله تعالى وفد على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان فسأله مسائل: منها: كيف يتصور الإنسان نعيما في الآخرة لا ينفد؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص؟ فهل لهذا مثل في الدنيا؟

فقال الشعبي: نعم السراج يوقد منه ألف سراج فلا ينقص.

فقال ملك الروم: أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولايتغوطون هل لهذا نظير في الدنيا؟

فقال الشعبي: نعم الجنين في بطن أمه لو أنه بال وتغوط لقتلها.

فقال الملك: الله تعالى واحد ليس قبله شيء فهل هذا معقول؟

قال الشعبي: نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شيء.

فأفحم الرومي ولم يجد جوابا عما أجابه به هذا العالم الرباني.

فائدة في جهاد النفس

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: باب من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وعلق عليه الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح بقوله يعني بيان فضل من جاهد نفسه، والمراد بالمجاهدة كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة. وقال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل... قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ ويقع بمنع النفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة، لتتوفر لها في الآخرة.

قال الحافظ: قلت: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه ويجره إلى الشبهات فلا يأمن أن يقع في الحرام، ونقل القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمة.

وعن أبي عمرو بن بجيد: من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه. قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها، وللنفس صفتان: انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات فالمجاهدة تقع بحسب ذلك. قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثم النفس، لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدته نفسه حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا قوى العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين، فالأول الجهاد الباطن، والثاني الجهاد الظاهر، قال: وجهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله تعالى وقتال من خالف دينه وجحد نعمه وأقوى المعين على

جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك، ثم تحسين ما نهى عنه من المحرمات، ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات، وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظا لنفسه في جميع أحواله، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه في الوقوع في المنهيات والله الموفق. وهذه فائدة عزيزة فشد يدك عليها، واحتفظ بها، واعمل بمقتضاها.

قصة عجيبة لرجل صالح

ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في ذيل طبقات الحنابلة في ترجمة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري البزاز المتوفى سنة 535 عنه قال: كنت مجاورا بمكة المكرمة فأصابني يوما من الأيام جوع شديد لم أجد شيئا أدفع عني الجوع، فوجدت كيس إبريسم مشدودا بشرابة من إبريسم أيضا فأخذته وجئت به إلى بيتي فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أرى مثله، فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقلت له تعال إلي فأخذته وجئت به إلى بيتي فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به فأخرجته ودفعته إليه فسلم إلي خمسمائة دينار فما أخذتها وقلت له: يجب علي أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ وألح علي كثيرا فلم أقبل ذلك منه فتركني ومضى. فخرجت من مكة وركبت البحر فانكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم فقعدت في بعض المساجد فسمعوني أقرأ فلم يبقى في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلي وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال، ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقا من مصحف فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم فقالوا: علمنا الخط فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك؟ عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت فقالوا لا بد وألزموني فأجبتهم إلى ذلك، فلما زفوها إلي مددت عيني أنظر إليها فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه فقالوا: يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها فقصصت عليهم قصة العقد فصاحوا بالتهليل والتكبير حتى بلغ إلى جميع الجزيرة فقلت: ما بالكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي ملك العقد أبو هذه الصبية وكان يقول:

ما وجدت في الدنيا مسلما إلا هذا الذي رد علي هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت فبقيت معها مدة، ورزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي ثم مات الولدان فجعل العقد لي، فبعته بمائة ألف دينار...

هذه عاقبة التقوى والعفة والورع والزهد ومراقبة الله تعالى.

من عبر الملوك وأهل الدنيا المغرورين

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده 451/1 عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فتسرب فانساب ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر وكان به اللبن بالأجر فيأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم وعبادته وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه فأبى أن يأتيه فأعاد ثم أعاد إليه فأبى أن يأتيه، وقال: ما له ومالي؛ قال فركب الملك فلما رآه الرجل ولى هاربا، فلما رآى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه، قال: فناداه يا عبد الله إنه ليس عليك مني بأس، فأقام حتى أدركه، فقال له: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، فإنه قد شغلني عن عبادة ربي، فتركته وجئت هاهنا أعبد ربي عز وجل، فقال: ما أنت بأحوج إلى ما صنعت مني قال: ثم نزل عن دابته فسيبها ثم تبعه، فكانا جميعا يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعا قال: فماتا قال عبد الله: لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفي سنده المسعودي وأمره معروف لكنهم يتساهلون في الرقائق والفضائل بإيراد مثل هذا.

ويشبه هذه القصة ما ذكره العلامة الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عند قوله تعالى:

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ من سورة الأعراف فقال رحمه الله تعالى: روي أن ملكا من ملوك كذة كان طويل المصاحبة للهو واللذات، ركب يوما للاصطياد فانقطع عن أصحابه فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهي بين يديه يقلبها، فقال: ما قصتك أيها الرجل؟ وما الذي بلغ بك ما أرى من سوء الحال؟ فقال: إنني على جناح سفر بعيد، و بي موكلان مزعجان يحدوان بي إلى منزل كبيت النمل، مظلم القعر، كريه المقر، يسلماني إلى مجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى، فلو تركت بذلك المنزل مع ضيقه

ووحشته لكان للبلى انقضاء، وللشقاء نهاية، ولكنني أدفع بعد ذلك إلى صيحة الحشر، ثم لا أدري إلى أي الدارين يأمر بي فأي حال يلتذ به من يكون هذا الأمر مصيره؟ فلما سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه، وجلس بين يديه، وقال: أيها الرجل لقد كدر مقالك علي صفو عيشي، وملك قلبي، فأعد علي بعض قولك، فقال له: أما ترى هذه التي بين يدي؟ هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها واستحوذت على قلوبهم بغرورها فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع، حتى فاجأتهم الآجال، وخذلتهم الآمال، وسلبتهم بهاء النعمة، وستنشر هذه العظام فتعود أجساما ثم تجازى بأعمالها، فإما إلى دار النعيم والقرار، وإما إلى دار العذاب والبوار، ثم غاب الرجل فلم يدر أين ذهب، وتلاحق أصحاب الملك به، وقد تغير وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ما عليه من لباس الملك، ولبس طمرين وخرج تحت الليل...

والقصص في هذا كثيرة وقد ذكرت في الجزء الثاني ص 252 من هذه السلسلة قصة إبراهيم بن أدهم الزاهد الذي كان من أبناء الملوك فزهد وترك الملك والدنيا وانقطع إلى الله تعالى وقصته عجيبة في بابها فارجع إليها تعتبر. ومن هذا القبيل ما ذكره القرطبي رحمه الله تعالى في التذكرة فقال: يحكى أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض، فأنطق الله عز وجل لبنة من حائط من تلك الأرض فقالت: يا هذان فيما تتنازعان وفيما تختصمان؟ إني كنت ملكا من الملوك، ملكت كذا وكذا سنة، ثم مت وصرت ترابا، فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذني خزاف - فخار - فعمل مني إناء فاستعملت حتى تكسرت، ثم عدت ترابا، فبقيت ألف سنة، ثم أخذني رجل فضرب مني لبنة فجعلني في هذا الحائط ففيما تنازعكما وفيما تخاصمكما. قال القرطبي: ولقد كنت أيام الشباب أنا وغيري ننقل التراب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة وقد اختلط بعظام من هناك ولحومهم إلى الذين يصنعون القرمد للسقوف يقصد بذلك القرطبي أن اليهود أصبحوا سقوفا للمنازل كما صار ذلك الملك إناء مستعملا حتى تكسر ثم صار بعد ذلك لبنة في جدار، هذه عاقبتنا معشر البشر وهذه نهاية ترفنا ونعيمنا فلنتأمل بيوتنا وقصورنا فلعلها من بقايا رميم وتراب ملوك وجبابرة ومترفين عاشوا وقد ملأهم البطر والجبروت حتى فاجئتهم مناياهم.

معرفة الأنساب وفائدة ذلك

ذكر ابن حزم رحمه الله تعالى في مقدمة كتاب النسب له فصلا في الرد على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع، وجهل لا يضر، بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد، وما هو فرض على الكفاية، وما هو مستحب، قال: فمن ذلك أن يعلم أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو ابن عبد الله الهاشمي، فمن زعم أنه لم يكن هاشميا فهو كافر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه، أو يجب عليه بره من صلة، أو نفقة، أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين، وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب، وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبهم إيمان، وبغضهم نفاق، قال: ومن الفقهاء من يفرق في الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم، فحاجته إلى علم النسب آكد، وكذا من يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة. قال وما فرض عمر رضي الله تعالى عنه الديوان إلا على القبائل، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك، وقد تبعه على ذلك عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما... قلت: وقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم) رواه أحمد والترمذي وغيرهما بسند حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وله طرق وشواهد ولم يصب من ضعفه على الإطلاق. فالحديث أصل في مشروعية تعلم الأنساب.

طريفة

كان أخوان أحدهما عالم والآخر أمي فلاح، فكان الفلاح يظل في مزارعه يعمل، فإذا راح في المساء أخذ طريقه مباشرة إلى النوم من غير أن يؤدي ما عليه من الصلوات، فكان الأخ العالم يقول للفلاح إن الشيخ خليلا قرر في المختصر - كتاب في فقه الإمام مالك - إن من لم يصل يؤخر لآخر وقت الصلاة فإن لم يصل قتل حدا وإن قال: أنا أفعل، فكان الفلاح لا يعبأ بقول أخيه. وفي بعض الأيام عرض للفلاح ما منعه من الذهاب للحراثة فطلب من أخيه العالم الفقيه أن ينوب عنه في عمله فأجابه إلى ذلك فذهب للمزرعة وظل يحرث فأصيب بتعب عظيم فراح في المساء وقد أرهق فاضطجع على فراشه ليستريح فأخذته عيناه فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس من الغد فذكره أخوه الفلاح ما هذا يا أخي ألم تكن تقول لي: أن الشيخ خليلا يقول: كيت وكيت، فقال الفقيه: إن الشيخ خليلا لم يكن فلاحا...

وهذا امتحان قد يصاب به الإنسان إذا أعجب بعبادته واحتقر غيره أو عيره فإن الله تعالى حكم عدل وله في خلقه شئون.

حجب الأخ للأب بالإخوة الأشقاء

سؤال: توفي رجل وترك بعده زوجة وأخوين وأختين أشقاء وأخا لأب فما حظ كل واحد منهم؟

الجواب: للزوجة الربع من التركة لأنه لا ولد للهالك، والثلاثة الأرباع الباقية يأخذها الأشقاء للذكر مثل حظ الأنثيين ولا حظ للأخ للأب في ذلك وهذا لا خلاف فيه فهو نص القرآن والسنة مع الإجماع.

شكر الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

سؤال: سمع رجل صاحبا له يقول: أنا أشكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال له: كفرت، الشكر لا يكون إلا لله تعالى. فما الصواب والحق في ذلك؟

الحمد لله الشكر مطلوب من الإنسان لكل من أسدى إليه معروفا، أو ساعده على خير... وكل منا مأمور بشكر الله عز وجل أولا ثم الوالدين ثانيا لقوله تعالى:

﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ أما الشكر لله فلما أحاطنا به وأغدق علينا من نعمه الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ وقوله عز وجل:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ ... وأما الوالدان فلما أسديا إلينا من الخير العظيم بداية من النشأة، فالولادة، فالرضاعة، فالتربية والإنفاق والحفظ والقيام بجميع شئوننا إلى وقت استقلالنا بأنفسنا، كما أننا مأمورون بشكر علمائنا ومعلمينا وأساتذتنا ومشايخنا الذين تلقينا عنهم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها وزودونا بالمعارف والأغذية الروحية، وأخرجونا من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن الضلال إلى الهداية، فلولاهم بعد فضل الله تعالى لما كنا... كما أننا مأمورون بشكر الحكومات والسلطات ولا سيما العادلة من أصغر جنودها إلى أكبر موظف لما يقومون به من خدمات لنا ولأمتنا وحفظنا من الأعداء واللصوص... وهكذا كل من وصل إلينا منه خير يجب أن نشكره على ذلك كل بحسبه.

وإذا رجعنا إلى ما وصل إلينا من نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الخير والرحمة والنور والهداية والإيمان والقرآن وسنته المطهرة وكل خير وبركة، كان أحق الناس وأولاهم بالشكر من جميع المخلوقات فإذا كنا مأمورين من قبل الله تعالى بشكر والدينا لما أسديا إلينا من شئون حياتنا فكيف بمن كان السبب

في سعادتنا الأبدية صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فشكر الناس على أعمالهم الطيبة مشروع بإجماع الخليقة من إنس وجان ومؤمن وكافر وتقي وفاسق.

وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله).

فاتقوا الله أيها المتعالمون ولا تكفروا المسلمين بجهلكم المركب فإنكم مسئولون بين يدي الله تعالى على كل ما تقولون وتفعلون...

مناجاة وموعظة

ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في تاريخ بغداد بسنده إلى الأصمعي أحد كبار علماء اللغة قال: بينما أنا في الطواف إذ رأيت جارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: إلاهي وسيدي إن طالبتني بشري طلبتك بعفوك، وإن أخذتني بذنوبي أتيتك بتوحيدي، وإن أدخلتني النار مع أعدائك أعلمتهم بمحبتي فيك، فقلت: لقد أحسنت والله يا جارية فأنشأت تقول:

أفنيت عمرك والذنوب تزيد، والرب يحصي والرقيب شهيد، حتى متى لا ترعوي عن لذة، وعقابها يوم الحساب شديد، فكأني بك قد أتتك منية، لا شك أن سيدها مورود.

أخذ العلوم الدينية من الكتاب والسنة بدون التلقي عن العلماء

سؤال: من كانت له معرفة بالعلوم العربية هل يكفيه أخذ علوم الشريعة من الكتاب والسنة بدون تلقي عن الشيوخ؟

الحمد لله من أتقن العلوم العربية من نحو وصرف ولغة وبلاغة وعرف الأساليب العربية وأضاف إلى ذلك معرفة أصول الفقه وقواعده وعلوم القرآن والحديث أمكنه أن يفهم القرآن والسنة المحمدية وأخذ الأحكام... منها مباشرة لأنه أصبح عربيا كالصحابة ورجال السلف. وهذا هو المعبر به عند العلماء بالمجتهد وهذه الرتبة عزيزة لا يصلها إلا الأفذاذ على أن ما ذكرناه يتوقف أيضا على التلقي من أفواه الرجال ومصاحبة الشيوخ وعلماء الشريعة المتمكنين الراسخين المتبحرين في العلوم الإسلامية لأن استقلاله بما تقدم قد يؤدي به إلى أخطاء فاحشة وذلك لتشعب العلوم واتساع دائرة المعارف الإسلامية ودخول كثير من الاصطلاحات فيها بخلاف ما إذا أخذ عن العلماء والشيوخ وقرأ عليهم مقاصد الشريعة من عقائد وفقه وسيرة وتفسير وحديث... فإنه يصبح من الراسخين في العلم إن شاء الله مع اتباع سنة الله تعالى في اتخاذ الواسطة في العلم... فإن ذلك هو طريق السلف والخلف بداية من نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فالصحابة فالتابعين فتابعيهم حتى يومنا هذا فاتبع ولا تكن عالما صحفيا.

حول الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

سؤال: ركب رجل سيارة الأجرة الجماعية فقال عند الركوب: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان داخل السيارة رجل من أولئك المتعالمين...فقال له: هذا حرام، فلا تجوز الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا في الصلاة أو في المسجد. فما رأيكم في ذلك؟

الحمد لله الحكم على الشيء بأنه حرام.. لا يجوز التفوه به إلا إذا حرمه الشارع بالصيغ المعروفة، أو كان مبنيا على القواعد الشرعية المقررة عند علماء الأصول... وإلا كان افتراء على الله تعالى وتقدما بين يدي الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

وقال جل علاه: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ فمن قال لذلك المفتري إن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا تجوز إلا في الصلاة أو في المسجد وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾. فهل خص الله تعالى محلا دون آخر أو وقتا دون وقت أم عمم وأطلق؟ وهكذا يقال في قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من صلى علي مرة صلى الله بها عشرا). رواه مسلم وغيره وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي). رواه الترمذي وغيره.

وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام: (...من ذكرت عنده فلم يصل عليك أبعده الله فقل آمين...) رواه الترمذي وغيره. فهل قيدت هذه الأحاديث صلاتنا عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالصلاة في المسجد أم أطلقت، فلا ريب أنها مطلقة وعامة في كل الأحيان والظروف إلا ما يستثنى مما ينزه عنه ذكر الله عز وجل... ثم إن علماءنا رحمهم الله تعالى الذين ألفوا في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد ذكروا لها أوقاتا ومواطن وأحوالا ولم يخصوها بما ذكره ذلك المفتري.

فهذا الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى ذكر لها في كتابه الفريد - جلاء الأفهام - أربعين موطنا. وكذا الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى في كتابه القيم - القول البديع - ذكر لها بضعا وخمسين حالة للصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهكذا كل من تكلم على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبذلك تعلم بطلان قول ذلك المتعالم وخطأه الفاحش.

نعم إن ذلك الراكب لم يفعل حراما، وإنما خالف المستحب المشروع وهو الذكر الوارد عند الركوب وهو: (بسم الله الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله ثلاثا، الله أكبر ثلاثا، سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسنده صحيح.

فكان ينبغي للراكب أن يقول هذا الذكر أولا وله أن يتبعه بالصلاة على رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا شاء. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد السادات وعلى آله وصحبه.

السخرية بالآخرين

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾.

من الأمراض الاجتماعية السائدة احتقار الآخرين، وازدراؤهم، والسخرية منهم، والاستهزاء بهم، وذلك من كبار الذنوب، وأعظم السيئات، لما في ذلك من التعاظم والتكبر على الغير، وإذايته، والإساءة إليه، وإدخال الغم والكدر عليه، ولعله يكون خيرا وأكرم على الله منه كما في الآية الكريمة وكما قال جل علاه في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ على أن السخرية بالغير وخاصة بالمؤمنين من صفات الكافرين والمنافقين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الآية وقال أيضا عنهم وهم في قعر جهنم: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية.

فليحذر المؤمن أن يكون فيه شبه بالكفار وفي هذه الصفة المقيتة السافلة فيكون من الهالكين، فالمؤمن وخاصة الضعيف كريم على الله عز وجل يغضب له إذا انتهكت حرمته أو سيء إليه. وقد جاء في صحيح البخاري أن أبا سفيان مر بعد إسلامه على سلمان وصهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم فقالوا: إن سيوف الله لم تأخذ مأخذها من عدو الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان عندهم أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما قالوا، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

(لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك...) الحديث. وما ذلك إلا لما لهم من المنزلة عند الله تعالى مع أن الصديق لم يقل لهم شيئا ينكر عليه رضي الله تعالى عنه. وجاء في الصحيحين أن رجلا مر على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال لرجل عنده جالس: (ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال لا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: هذا خير من ملئ الأرض مثل هذا). فالمؤمنون الضعفاء الخاملون الذين يسخر منهم هم محط رحمة الله فبهم ينصر العباد وبهم يرزقون كما جاء في الجهاد من صحيح البخاري عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم). وجاء في صحيح مسلم عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره).

فلا تحقرن مسلما، ولا تستصغر أحدا من المؤمنين المتقين فتكون من الخاسرين.

من اللطائف الإلاهية في الأرزاق

ذكر الجاحظ المعتزلي... في كتاب الحيوان: إن من العجب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله، والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد يلتمس فرخ الزنابير فيأكلها، والزنابير يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها.

فقوله النحلة تصيد الذبابة فتأكلها خطأ لأن النحلة ترعى من الأعشاب والأشجار والزهور والثمار فلا تأكل إلا طيبا.

من الأمثال الوهمية عن الحيوان

ذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء عن المعافي بن زكرياء قال: زعموا أن أسدا وثعلبا وذئبا اصطحبوا فخرجوا يتصيدون فصادوا حمارا وظبيا، وأرنبا، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك الحمار لك والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب، والظبي لي، فخبطه الأسد فأطاح رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة هات أنت يا أبا معاوية فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك الحمار لغذائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك من علمك هذه الأقضية قال: رأس الذئب الطائح عن جثته.

وفي رواية عن الشعبي قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة من أين تعلمت هذا قال: مما رأيت من أمر الذئب.

وفي هذا عبرة لمن له فكرة فإن في حياة الحيوان عجائب الحكم وفي هذا الموضوع ألف ابن المقفع كتابه العجيب - كليلة ودمنة - ففيه من الأمثال والحكم ما يحمل على قراءته والاهتمام به.

محنة موسى الكاظم والإفراج عنه

موسى الكاظم هو ابن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما كان من أكابر أهل البيت وساداتهم وكان يسكن المدينة المنورة فأقدمه المهدي العباسي بغداد فحبسه وسجنه ثم أطلقه لرؤيا رآها كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان ثم ذكر أن هارون الرشيد كان حبسه أيضا... فدعى صاحب شرطته ذات يوم فقال له: رأيت في منامي كأن حبشيا قد آتاني ومعه حربة فقال إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك في هذه الساعة بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال: نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاث ألف درهم وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك لك ففعل ذلك وأخبره بأنه رآى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في منامه فقال له يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول: قال قل: (يا سامع كل صوت، ويا سائق القوت، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا، ولا يحصى عددا، فرج عني).

غريبة فيها عبرة

نقل العلامة كمال الدين الدميري في حياة الحيوان من كتاب النصائح لابن طفر قال دخلت ثغرا من ثغور الأندلس فألفيت فيه شابا متفقها من أهل قرطبة فآنسني بحديثه، وذاكرني طرفا من العلم ثم إني دعوت فقلت يا من قال: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ فقال: ألا أحدثك عن هذه الآية بعجب قلت بلى فحدثني عن بعض سلفه أنه قال: قدم علينا من طليطلة راهبان كانا عظيمين القدر بها، وكانا يعرفان اللسان العربي، فأظهرا الإسلام وتعلما القرآن والفقه، فظن الناس بهما الظنون، قال: فضممتهما إلي وقمت بأمرهما وتجسست عليهما فإذا هما على بصيرة من أمرهما وكانا شيخين فقلما لبث أحدهما حتى توفى وأقام الآخر أعواما ثم مرض فقلت له يوما: ما سبب إسلامكما؟ فكره مسألتي فرفقت به فقال: إن أسيرا من أهل القرآن كان يخدم كنيسة نحن في صومعة منها فاختصصنا به لخدمتنا، وطالت صحبته لنا حتى فقهنا اللسان العربي، وحفظنا آيات كثيرة من القرآن لكثرة تلاوته له فقرأ يوما: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ فقلت لصاحبي: وكان أشد مني رأيا وأحسن فهما، أما تسمع دعاوى هذه الآية فزجرني ثم إن الأسير قرأ يوما:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقلت لصاحبي: هذه أشد من تلك فقال: ما أحسب الأمر إلا على ما يقولون، وما بشر عيسى إلا بصاحبهم قال: واتفق يوما أني غصصت بلقمة والأسير قائم علينا يسقينا الخمر على طعامنا فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها، فقلت في نفسي يا رب إن محمدا قال عنك أنك قلت: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ وإنك قلت: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فإن كان صادقا فاسقني فإذا بصخرة ينفجر منها الماء فبادرت فشربت منه فلما قضيت حاجتي انقطع وورائي ذلك الأسير فشك في الإسلام ورغبت أنا فيه وأطلعت صاحبي على أمري فأسلمنا معا وغدا علينا الأسير يرغب في أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا، ثم إنه فارق دينه وتنصر، فحرنا في أمرنا، ولم نهتد لوجه الخلاص، فقال صاحبي وكان أسد مني رأيا لم لا ندعو بتلك الدعوة فدعونا بها في التماس

الفرج ونمنا القائلة فأريت في المنام أن ثلاثة أشخاص نورانية دخلوا معبدا فأشاروا إلى صور فيه فانمحت، وأتوا بكرسي فنصبوه ثم أتى جماعة مثلهم في النور والبهجة وبينهم رجل ما رأيت أحسن خلقا منه فجلس على الكرسي، فقمت إليه فقلت له: أنت السيد المسيح؟ فقال: لا أنا أخوه أحمد فأسلمت ثم قلت: يا رسول الله كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمتك؟ فقال لشخص قائم بين يديه اذهب إلى ملكهم وقل له يحملهما مكرمين إلى حيث أحبا من بلاد المسلمين وأن يحضر الأسير فلانا ويعرض عليه العودة إلى دينه فإن فعل يخلي سبيله وإن لم يفعل فليقتله قال: فاستيقظت من منامي وأيقظت صاحبي وأخبرته بما رأيت وقلت له ما الحيلة؟ فقال: قد فرج الله أما ترى الصور ممحوة فنظرت فوجدتها ممحوة فازددت يقينا ثم قال لي صاحبي: قم بنا إلى الملك فآتيناه فجرى في تعظيمنا على عادته وأنكر قصدنا له فقال له صاحبي افعل ما أمرت به في أمرنا وأمر فلان الأسير فانتقع لونه وأرعد ثم دعا بالأسير وقال له: أنت مسلم أو نصراني فقال: بل نصراني فقال له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه فقال: لا أرجع إليه فاخترط الملك سيفه وقتله بيده فجهزهما وأخرجهما مكرمين فذهبا إلى بيت المقدس...

ويشبه هذه القصة ما حكي أن رجلين كانا متحابين يتعبدان فخرجا حاجين فمرا في طريقهما على قرية بالشام فوجدا جارية نصرانية تسقي من عين هنالك فجعل أحد الرجلين ينظر إليها فشغف بها وقال لصاحبه أنا سأبقى ههنا وأتزوج بهذه الفتاة فنهاه عن ذلك وأصر على البقاء فانصرف وتركه فتبع تلك الجارية وطلب منها أن تتزوج به فقالت له: هذا والدي إن وافق تزوجت بك فلما لقى والدها وكلمه في ذلك قال له: إن تنصرت زوجتك بها فقال: هو نصراني فتزوج الجارية وبقى معها سنة وأنجبت له ولدا ثم مات على نصرانيته. ولما قضى صاحبه حاجته وزيارته ورجع مر على تلك القرية ينظر ما آل إليه أمر صاحبه فلما سأل عنه قالوا له إنه توفى فسأل عن زوجته فآتاها فأخبرته بأنه مات نصرانيا وهذا ولده مني ثم أخبرها خبرهما فرغبت في التزوج به فعرض عليها الإسلام فأسلمت فتزوجها حتى فارق بينهما الموت.

فهذا قضاء الله عز وجل وهذا عدله لا يسأل عما يفعل، وهذا ما يدل عليه الحديث الصحيح المشهور الذي جاء فيه: (فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل

الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة). رواه الستة من حديث ابن مسعود.

غير أن انقلاب عامل عمل أهل الجنة إلى عمل أهل النار نادر وضده وهو توبة المنحرفين وإسلام الكافرين هو الأكثر.

جماعة من النساك كانوا منحرفين فتابوا

في التاريخ الإسلامي الكثير والكثير ممن كانوا مسرفين على أنفسهم فهداهم الله تعالى فتابوا إليه واستقاموا حتى الموت وكان منهم كثير من مشاهير العباد الزهاد ومنهم الآتون من رجال السلف:

مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه:

هو مالك بن دينار الشامي البصري أحد أعلام الزهاد والوعاظ له كلام رائق في الوعظ والرقائق توفي سنة ثلاثين ومائة.

ذكر غير واحد عنه أنه كان مسرفا على نفسه مدمنا سكيرا فماتت له بنت فحزن عليها فرآى ليلة نصف شعبان كأنه خرج من قبره وحية عظيمة تتبعه كلما أسرع أسرعت إليه فمر بشيخ ضعيف فرجاه أن ينقذه منها، فقال أنا عاجز فأسرع لعلك تنجو منها فأسرع وهي خلفه حتى مر على طبقات النار وهي تفور، وكاد أن يهوى فيها، وإذا بصوت: لست من أهلي، فمر حتى أشرف على جبل به طاقات وستور، وإذا بصوت أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فأشرف عليه أطفال فيهم بنته فنزلت إليه وضربت بيدها اليمنى الحية فولت هاربة وجلست في حجره قائلة: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ فقال: أتقرءون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم ثم سألها ما مقامكم هنا؟ فأخبرته أنهم أسكنوا هنا إلى يوم القيامة ينتظرون آباءهم يقدمون عليهم ثم سألها عن تلك الحية فقالت: ذاك عملك السوء، وعن الشيخ فقالت: عملك الصالح أضعفته حتى لم تكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله تعالى ولا تكن من الهالكين ثم ارتفعت عنه واستيقظ فتاب توبة نصوحا لوقته وانقطع للعبادة حتى كان من أمره ما هو معروف عنه وهو من رجال الحلية والصفوة.

عتبة الغلام:

هو عتبة بن أبان البصري كان في ابتداء أمره منحرفا فتاب في مجلس الحسن البصري رضي الله تعالى عنهما. وكان دائم البكاء لا يفتر عنه، أخباره كثيرة في ذلك وفي زهده وعبادته قتل شهيدا في الغزو وكان من دعائه في حياته واجعلنا

من الأحياء المرزوقين مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

الفضيل بن عياض:

الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ولد بخرسان وقيل بسمرقند وقدم الكوفة وكان في ابتداء أمره شاطرا يقطع الطريق وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذا هو يسمع تاليا يتلو: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فقال: يا رب قد آن نرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم: نرتحل وقال قوم حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا فناداهم أنتم في أمان من الفضيل فقد تاب، ثم انقطع للعبادة وتزهد وجاور بمكة حتى توفي سنة سبع وثمانين ومائة ويعد الفضيل بن عياض أحد أركان النساك الزهاد له أخبار في ذلك كثيرة وحكم عنه مشهورة وهو من كبر رجال الرسالة القشيرية رضي الله تعالى عنه ومثل أحوال هؤلاء الملايين والملايين في هذه الأمة فلا يخلو زمان ولا مكان من التائبين بعد شرودهم وتمردهم على الله تعالى وإسرافهم على أنفسهم وأغلبهم يتربون أواخر أعمارهم.

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا أراد الله بعبد خيرا عسله قيل: وما عسله؟ قال: يوفقه لعمل صالح فيموت عليه) أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وهذا من لطف الله تعالى بعباده وتفضله عليهم.

أسود يستسقى للناس فيسقون بعد اليأس

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرا لإجابة فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البنابي ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرون حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلى فلما أظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفذ ما عندك أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعة الساعة فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت له أما تستحيي مما قلت؟ قال وما قلت؟ قلت قولك بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟ قال تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته؟ أتراه بدأني بذلك إلا بمحبته لي؟ ثم بادر يسعى فقلت: ارفق بنا قال: أنا مملوك علي فرض من طاعة مالكي الصغير فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له: هل عندك من غلام تبيعنيه للخدمة؟ قال: نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد، وأنا أقول غير هذا إلى أن قال: ما بقي عندي أحد فلما خرجنا إذا الأسود قائم في حجرة خربة، فقلت: بعني هذا قال: هذا غلام مشئوم، لا همة له إلا البكاء فقلت: ولذلك أريده فدعاه وقال لي: خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين دينارا فلما خرجنا قال: يا مولاي لماذا اشتريتني؟ قلت: لنخدمك نحن قال: ولم ذاك؟ قلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟ قال: وقد اطلعنا على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال: إلاهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة فإذا هو ميت.

قال مالك بن دينار: فبقبره نستسقى ونطلب الحوائج إلى يومنا هذا. ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة في عباد البصرة وقوله ونطلب الحوائج يعني من الله عز وجل فإنه من مواطن الاستجابة قبور الصالحين واستدل الشوكاني لذلك لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (هم القوم لا يشقى جليسهم) يعني أحياء وأمواتا.

خطر المكس

ذكروا في ترجمة مالك بن دينار رحمه الله تعالى أن تاجرا مر بسفينة له موقرة بالتجارة فحبسها عليه المكاسون وطلبوا منه تعشير ما فيها فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له قال: فقام مالك فمشى معه إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل قالوا: قد فعلنا قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من العشور فقالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى قال: قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

ومعناه أن كل من أخذوا منهم عشر مالهم يدعون عليهم لظلمهم إياهم ودعوة المظلوم مستجابة، والمكاسون من كبار الظلمة وما يأتونه من ذلك عظيم الجرم فذنبهم أعظم من الزنا ويدل عليه حديث الغامدية التي رجمها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لزناها فسبها خالد بن الوليد فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له) رواه مسلم وأهل السنن.

وجاء في حديث آخر: (لا يدخل الجنة صاحب مكس) رواه أحمد 143/4 وأبو داود 2937 والدارمي1666 وغيرهم.

فليتق الله تعالى المكاسون وليتوبوا إلى الله من ظلمهم عباد الله فإن مال المسلم حرام لا يجوز أخذه منه إلا بحقه كالزكاة مثلا ونفقة الأهل...

غريبة من غرائب الدنيا

روى الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخه العظيم لدمشق المطبوع في سبعين مجلدا أن سليمان بن عبد الملك المرواني كان نهما في الأكل، وقد نقل عنه أشياء غريبة، فمنها أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية، وأربعين بيضة، وأربع وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة، ثم أكل مع الناس على السماط العام. ومنها أنه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجني ثماره ويستطيب له، وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل، فأكل أكلا ذريعا، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على الفاكهة فأكل أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال على الفاكهة فأكل أكلا ذريعا ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوء سمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع، ثم سار إلى دار الخلافة وأتى بالسماط فما نقص من أكله شيء.. ومنها أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة، وخروفا، وست دجاجات، وأتي بمكوك زبيب طائفي فأكله أجمع..

وأقول ما سمعنا بمثل هذا رغم أن الأكالين في التاريخ كثيرون فيهم من كان يأكل الشاة وحده أو خمس دجاجات أو عشرين بيضة مثلا وأعرف رجلا توفي قديما أكل سبع كيلو من الخليع أما هذا العدد المذكور عن سليمان بن عبد الملك فهو شيء مدهش وهو عندي لا يخلو من أحد أمرين إما أن الرجل كان ممسوسا يسكنه عفريت فكان يأكل كل ما ذكر وهذا واقع موجود في كثير من الناس المصابين بالعفاريت الكبار وأنا أعرف رجلا أكل أكثر من عشرين كيلو سمكا، وإما أن يكون ذلك كذبا مفتعلا فإن مثل ذلك يستحيل عادة وعقلا أن يأكله إنسان طبيعي ولله في خلقه شئون فالله أعلم بالواقع.

قصة في الكرم والبخل واللؤم

الهيثم بن عدي الكوفي كان أخباريا راوية له المصنفات الكثيرة توفي سنة سبع ومائتين وكان مختصا بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد العباسيين.

قال الهيثم قال لي المهدي: ويحك يا هيثم إن الناس يخبرون عن الأعراب شحا ولؤما، وكرما وسماحة، وقد اختلفوا في ذلك فما عندك؟ قلت: على الخبير سقطت خرجت من عند أهلي أريد ديار قرابة لي ومعي ناقة أركبها إذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها ونظرت فإذا خيمة أعرابي فأتيتها فقالت ربة الخباء: من أنت؟ فقلت: ضيف، فقالت: وما يصنع الضيف عندنا؟ إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ولم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال: من الرجل؟ فقلت: ضيف فقال: مرحبا حياك الله ثم قال: يا فلانة ما أطعمت ضيفك شيئا فقالت: لا فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتاني به وقال: اشرب فشربت شرابا هنيئا فقال: ما أراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل إليها مغضبا وقال: ويحك أكلت وتركت ضيفك قالت: وما أصنع به؟ أطعمه طعامي؟ وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها فقلت: ما صنعت عافاك الله فقال: لا والله ما يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا وأجج نارا وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول: كلي لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركني ومضى، فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر إليه من النظر فقال: هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره، وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خباء فسلمت فردت السلام صاحبة الخباء وقالت: من الرجل فقلت: ضيف، فقالت: مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزا روته بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت: كل واعذر، فلم ألبث أن أقبل أعرابي كريه الوجه فسلم فرددت السلام عليه فقال: من الرجل؟ قلت: ضيف قال: وما يصنع الضيف عندنا، ثم دخل إلى أهله فقال: أين طعامي؟ فقالت أطعمته الضيف فقال: أتطعمين الضيف

طعامي فتجاريا في الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج إلي فقال: وما يضحكك؟ قلت: خير فقال: والله لتخبرني فأخبرته بقضية المرأة والرجل الذين نزلت عندهما قبله، فأقبل علي وقال: إن هذه التي عندي هي أخت ذاك الرجل، وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت. ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان.

ثم قال: وأغرب من هذه الحكاية ما روي أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوج السائل امرأته فبينا الزوج الثاني يأكل بين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته: ناوليه الدجاجة فناولته، ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرته بالقصة فقال الزوج الثاني: أنا والله ذاك الرجل المسكين الأول الذي خيبني فحول الله نعمته وأهله إلي لقلة شكره..

عبرة للمتكبرين

مر رجل من الأكابر الأفاضل على رجل متكبر مع جماعة له فلم يعبأ به ولم يعرج عليه فناداه يا فلان أولم تعرفني؟ فقال له: بلى أنا أعرف الناس بك فقال: من أنا قال أنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك حامل للعذرة.... فاعتبروا يا أولي الأبصار.

طريفة مضحكة

خرجت امرأة بدوية من قريتها قاصدة قرية أخرى فخرج بعدها شيخ فلحقها ولم تشعر به فجعلت تضرط ضرطات متوالية فلما انتهت التفتت فوجدت الشيخ وراءها فخجلت وقالت له:

يا عم فلان متى لحقتني؟

فقال لها: منذ بدأت ضرطاتك حتى نهايتها، فازدادت خجلا.

أحمد بن أبي دواد وفتنة

القول بخلق القرآن

أحمد بن أبي دواد المعتزلي قاضي القضاة قدم به والده من قنسرين إلى دمشق وبها نشأ وتعلم العلوم العربية والأدب والفقه وعلم الكلام ثم قدم بغداد وصحب واصل بن عطاء ويحيى بن أكثم وتشبع بمذهب الإعتزال قال فيه الذهبي جهمي بغيض وكان أديبا شاعرا مجيدا فصيحا بليغا لا يجارى في ذلك كريما جوادا اتصل بالمأمون ثم أوصى به أخاه المعتصم وجعله قاضي القضاة ثم صحب الواثق ولما ولي المتوكل أقصاه وصادر أمواله فأصابه الفالج ثم هلك سنة أربعين ومائتين جازاه الله بما يستحق.

وهو الذي كان حمل المأمون والمعتصم والواثق على القول بخلق القرآن وامتحان العلماء في ذلك فوقعت بذلك فتنة عظيمة وامتحان لكبار العلماء وسجنوا وضربوا وقتلوا لقولهم بقدم القرآن حتى ولي المتوكل فرفع ذلك وسخط على ابن أبي دواد وأبغضه وكان عدو الله يتولى مناظرتهم فمن أجابه إلى مذهبه بأن القرآن مخلوق عفا عنه وتركه ومن صمد ووقف في وجهه وخالفه نكل به وكان ممن أبلى البلاء الشديد في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه فكان يجيبه بكل صراحة: القرآن كلام الله قديم فمن قال خلاف هذا فهو كافر. ولذلك شدد الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه في هذا الموضوع حتى إنه كان يقول بتكفير من يقول لفظي بالقرآن مخلوق سدا للذريعة وقد تبعه على ذلك جماعة من أهل العلم وخالفهم آخرون من معاصريهم وممن جاء بعدهم كالبخاري وغيره فقد ألف كتابا سماه خلق أفعال العباد ومما قال فيه:

- حركات العباد وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو

كلام الله ليس بخلق - قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾. وقصة البخاري مع الإمام محمد الذهلي في شأن خلق التلفظ بالقرآن وتشهير الذهلي به مشهورة فلا داعي لإيرادها هنا.

القرآن والتلفظ به

وإتماما للفائدة نورد هنا كلاما هاما قاطعا للنزاع في شأن القرآن والتلفظ به من كتاب - معرفة القراء - للإمام الذهبي:

فقال رحمه الله تعالى و**قال القاسم** بن أحمد الأصبهاني الحافظ: حدثنا أبو بكر بن موسى المصري وجماعة قال: سألت أحمد بن صالح قلت: إن قوما يقولون: إن لفظنا بالقرآن هو الملفوظ، والحكاية هو المحكي، والدراسة هي المدروس وهو كلام الله غير مخلوق، ومن قال لفظي به مخلوق فهو كافر.

قال الذهبي: قلت: اللفظ يطلق على ألفاظ القرآن وكلماته وحروفه التي بلغها جبريل عن الله تعالى إلى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فليس لجبريل عليه السلام ولا للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في القرآن إلا مجرد البلاغ ومحض الأداء من غير زيادة حرف فيه، ولا نقصان، ولا تصرف.. ويطلق اللفظ أيضا على تلفظ القارئ، ونطقه، وتلاوته للملفوظ المتلو المسموع، تقول: فلان حسن التلفظ، وعذب التلاوة، ومليح القراءة، ورديء الأداء، وبشع القراءة، ولا تقول: فلان حسن الملفوظ ولا المقروء لأن التلاوة والتلفظ والقراءة من فعل القارئ وأفعاله مخلوقة. قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ولا يوصف المقروء ولا الملفوظ من كتاب الله تعالى إلا بما وصفه الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من العظمة والهدى والإعجاز، والحق في نفسه شيء واحد من حيث النعوت الكاملة سواء قرأه خير الناس أو شر الناس. لكن الصوت الحسن واللفظ العذب يزيده حلاوة وطلاوة وبراعة، في الأسماع والقلوب، لا سيما إذا سمع كذلك من قارئ مجود صاحب قلب منيب، وخوف شديد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

(زينوا القرآن بأصواتكم) وقال لما سمع قراءة أبي موسى: (لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود) وقال: (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد) وقال أبو موسى يا رسول الله لو أعلم تتسمع لحبرته تحبيرا يعني لحسنت صوتي وتلاوتي تحسينا يطربك ويسرك.

قال الله تعالى: ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ جاء في التفسير قال: هو السماع. فالصوت وتحسينه والتلاوة وتجويدها والتلفظ وتحبيره ونحو ذلك جميعه من كسب العبد.

والقرآن الملفوظ المتلو المسموع المكتوب كلام الله تعالى وقوله غير مخلوق فمن زعم أنه كلام البشر فقد ضل وكفر، وأضل منه من زعم أن صوت العبد أو تلفظه وتلاوته وكتابته غير مخلوقة قال: وقد غلط غير واحد من الكبار في هذه المسألة، وما ذكرته لك فهو فصل الخطاب وهي من أدق المسائل التي يعذر الله فيها العباد بالجهل إن شاء الله تعالى فقد جهل بعض الناس وقالوا صوت العبد قديم، كما جهل بعض الناس وقالوا ليس يعد كلام يسمع...

دعاء عظيم بليغ يرجى معه الغفران

عمر بن ذر الهمداني الكوفي الزاهد العابد من رجال البخاري وكان إماما في الإرجاء ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء وأطال في ترجمته ونقل عنه أنه قال: (اللهم إنا قد أطعناك في أحب الأشياء إليك أن تطاع فيه: الإيمان بك، والإقرار بك، ولم نعصك في أبغض الأشياء أن تعصى فيه: الكفر والجحد بك، اللهم فاغفر لنا بينهما وأنت قلت: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثن من يموت أفتراك تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة؟).

كلا والله لا يكون ذلك للمؤمنين الصالحين أما غيرهم فهم في مشيئة الله عز وجل.

طرف للإمام الأعمش رحمه الله تعالى

سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي للإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين ولد سنة إحدى وستين بقرية من أعمال طبرستان وقدموا به إلى الكوفة ورآى أنس بن مالك وروى عنه وروى عن أكابر التابعين وروى عنه الأئمة الكبار وكان مع حفظه وكثرة علمه عابدا متقشفا قنوعا توفي بالكوفة سنة ثمان وأربعين ومائة ترجمه غير واحد من المؤرخين ومنهم الحافظ الذهبي وقد ذكر له طرفا في سير أعلام النبلاء.

منها أنه أتاه أضياف فأخرج إليهم رغيفين فأكلوهما، فدخل فأخرج لهم نصف حبل قت فوضعه على الخوان، فقال أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي فكلوه وفي رواية عن أبي بكر بن أبي عياش قال: كان يخرج إلينا شيئا فنأكله فقلنا يوما: لا يخرج شيئا إلا أكلتموه فأخرج شيئا فأكلناه، وأخرج فأكلناه، فدخل فأخرج فتيتا فشربناه، فدخل فأخرج إجانة وقتا وقال: فعل الله بكم وفعل، أكلتم قوتي وقوت المرأة، وشربتم فتيتها، هذا علف الشاة..

ومنها قال عبد الله بن إدريس: قلت للأعمش: يا أبا محمد ما يمنعك من أخذ شعرك؟ قال: كثرة فضول الحجامين قلت: فأنا أجيئك بحجام لا يكلمك حتى تفرغ فأتيت جنديا الحجام وكان محدثا فأوصيته فقال: نعم فلما أخذ نصف شعره قال: يا أبا محمد كيف حديث حبيب بن أبي ثابت في المستحاضة فصاح صيحة وقام يعدو وبقى نصف شعره بعد شهر غير مجزوز.

ومنها قال عيسى بن يونس خرج الأعمش فإذا بجندي فسخره ليخوض به نهرا يعني قهرا فلما ركب الجندي على الأعمش قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ فلما توسط الأعمش به النهر قال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ثم رمى به يعني في وسط النهر.

ومنها عن محمد بن عبيد قال: جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعمش فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة فالتفت إلينا الأعمش وقال: انظروا إليه لحيته تمتد حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتاب.

ومنها أنه كان ربما خرج إلى أصحابه وعلى كتفه مئزر العجين وأنه لبس مرة فروا مقلوبا فقال له قائل: يا أبا محمد لو لبستها وصوفها إلى داخل كان أدفأ لك قال كنت أشرت على الكبش بهذه المشورة.

ومنها وهي من عند غير الذهبي أن رجلا قال له يا أبا محمد من أعمشك؟ قال: رؤية الثقلاء أمثالك.

ومنها أنه خرج مرة ليحدث طلبة الحديث فقال له بعض الطلبة: كيف بت يا أبا محمد فلم يكلمه فقام ودخل البيت فأخرج فروة ووسادة ففرش الفروة ووضع الوسادة ثم اضطجع فقال له: هكذا بت...

وهذه الطرف لا تخلو من فائدة أو عبرة فاعلم ذلك.

الله مخالف لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله

" ليس كمثله شيء "

من العقائد اليقينية أن الله عز وجل لا يشبه خلقه لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله وكل ما يخطر ببالك فربنا مخالف لذلك. وللقاضي عياض رحمه الله تعالى كلام هام في هذا الموضوع ذكره في الشفاء فإنه لما ذكر تشريف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما سماه به من أسمائه الحسنى، ووصفه به من صفاته العلى وذلك كالرءوف الرحيم، والحق المبين، والنور، والشهيد، والكريم، والعظيم، والعليم، والصادق، والولي، والمولى، والهادي، والمؤمن، والعزيز، إلى غير ذلك قال: جل ربنا أن يشبه خلقه لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ثم قال: نختم هذا الفصل بما يزيل الإشكال فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم، يخلصه من مهاوي التشبيه، ويزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله تعالى جل اسمه في عظمته، وكبريائه، وملكوته، وحسنى أسمائه وعلي صفاته، لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يشبه به، وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق، وعلى المخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته وأسمائه، وكفى بهذا في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ ولله در من قال من العلماء والعارفين المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة عن الصفات.

وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ

للفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة.

قال: وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم قال: وقد فسر الإمام القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد، وكيف تشبه ذات الله ذات المخلوقين، وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس ودفع نقص حصل؟ ولا بخواطر وأغراض وجد، ولا بمشاورة ومعالجة ظهر، وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه.

وقال آخر من مشايخنا: ما توهمتموه بأوهامكم، أو أدركتموه بعقولكم، فهو محدث مثلكم.

وقال أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه، ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد...

قال: وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى: حقيقة التوحيد " أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج ". " وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه". "و ما تصور في وهمك فالله بخلافه".

قال القاضي: وهذا كلام عجيب نفيس محقق، فالجملة الأولى تفسير لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ والثانية تفسير لقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ والثالثة تفسير لقوله جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

أقول: ما ذكره سيدي عياض رحمه الله تعالى في هذه الخاتمة هو غاية في التحقيق وهو المطلوب والواجب اعتقاده في الله عز وجل، وفي صفاته، وفي أفعاله، وكل ما جاء في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الصحيحة مما ظاهره تشبيه الله بخلقه يجب الإيمان به كما جاء، وإمراره على ظاهره بدون تأويل، ولا تكييف، ولا تشبيه ولا تعطيل. هذا ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى في حديث النزول من جامعه: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات. وقال في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال كيف كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وقال في تفسير المائدة:

قال الأئمة: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفوا شيئا منها..

وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرآى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى قال: والذي نرتضيه رأيا، وندين الله تعالى به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع، على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذاك هو الوجه المتبع.

وقال القرطبي: وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزه عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال، ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه، وأسمائه، قبلناه، واعتقدناه، وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف...

ومن أراد أن يعرف عقيدة السلف في الله وفي صفاته فليقرأ: التوحيد للإمام البيهقي، والطحاوية، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم والإبانة لأبي الحسن الأشعري...

الوليمة في الإسلام

الحمد لله سئلت كثيرا عن الحفلات والولائم التي تقام هنا وهناك في الأعراس.. وفي المناسبات وما يحصل فيها من أمور تخالف الآداب الإسلامية فكنت أجيب بما يناسب الوقت... وإلى من يهمه الأمر في ذلك نقول: الوليمة في الإسلام وخاصة عند الزواج والزفاف مطلوبة فقد ندب إليها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأمر عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عندما تزوج بقوله: (أولم ولو بشاة) يعني أقم حفلة لعرسك شكرا لله تعالى وإكراما للأصحاب... واذبح لهم ما أمكنك ذبحه، ولو كان ذلك على الأقل شاة. والحديث رواه الستة عن أنس والبخاري عن ابن عوف نفسه كما ثبت عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه احتفل عند زواجه بزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها واستدعى ذلك أصحابه وأشبعهم لحما وخبزا وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ الآية كما جاء ذلك مبسوطا في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وثبت في الصحيح أيضا أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أولم على صفية الإسرائيلية رضوان الله تعالى عليها في طريق مقدمه من خيبر واحتفل بها ثلاثة أيام. وثبت بطريق التواتر أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يحتفلون في أعراسهم... فالوليمة في العرس، وفي العقيقة، سنة من سنن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم القولية والفعلية بل بالغ ابن حزم فأوجب الوليمة في العرس بالشاة، لكنه يشترط للاحتفال بذلك شروط مأخوذة من شريعة الإسلام:

أولاً: أن تكون الوليمة خالية من المباهاة والتفاخر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ وجاء في حديث مسلم وغيره عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (ولا يفخر أحد على أحد) وقد جاء النهي عن أكل ما ذبح مفاخرة.

ثانياً: أن يكون خاليا من الإسراف في الطعام الذي اعتاده كثير من الناس وخاصة الأثرياء وذوي السلطة فإن ذلك محرم أشد التحريم قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ

ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ وقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة) رواه أحمد والنسائي من حديث ابن عمرو و- المخيلة - الكبر.

ومن شاهد ما ينفق اليوم الأثرياء والمترفون وذوو السلطة في الحفلات حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يعتقدون حسابا ولا عقابا ويا ليتهم لو كانوا يقدمون ما يفضل عنهم للفقراء والمساكين والمحتاجين وما أكثرهم لكن ذلك يكون سبيله ومآله المزبلة.

ثالثاً: أن يعم صاحب الحفل والوليمة الدعوة، ولا يخص بها الأغنياء والوجهاء والمنعمين... وإلا كانت تلك الوليمة شرا محضا. فقد قال رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (شر الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتيها، ويدعى إليها من يأباها). رواه مسلم وغيره.

رابعاً: أن يدعى إليها الملتزمون والصالحون... لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري بسند حسن.

فمن دعا الطبقة الثرية والفسقة والمنحرفين، أو خلط فقد خالف أمر الله تعالى وخرج عن هدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكانت وليمته جاهلية.

خامساً: أن لا يتسامح في احتفاله باختلاط الرجال والنساء كما هي عادة الأكثر ممن لا يخافون الله تعالى ولا يقيمون لأحكام الشرع وزنا، فليحذر المسلم ذلك فإنه من أعظم المناكير، وأظهر مظاهر الجاهلية، وأكبر الفواحش البغيضة التي حرمها الإسلام لما يترتب على ذلك من المفاسد الاجتماعية الخلقية وانتهاك الأعراض والميوعة المقيتة.

سادساً: أن يكون الحفل خاليا من المتفرنجات، والفاجرات... بالنسبة لحفل النساء، فإن وجود أمثال هؤلاء في تجمع كهذا هو أخطر شيء على المسلمة الملتزمة وما أقلها.

سابعاً: أن ينزه الحفل عن حضور المغنيات الرسميات اللائي يتخذن الأغاني في الأعراس وغيرها مهنة، فإن هؤلاء فواجر فواسق وأغلبهن عواهر مائعات، ولا يلقين من الأغاني إلا ما فيه فضائح وفحش وميوعة كما هو الحال في الأغاني المتداولة اليوم بين الجمهور، والمسموعة في كل وقت ومكان من جهاز الراديو والتلفاز..

ثامناً: لصاحب الوليمة في العرس أن يسمح للحاضرين والحاضرات بإظهار الفرح والسرور بضرب الدفوف مثلا، والأغاني المباحة، لأن الزواج يحتاج إلى الإعلان والصوت واللهو واللعب، في إطار ما أباحه الإسلام فقد جاءت السنة النبوية بإباحة ذلك والندب إليه.

فقد جاء في صحيح البخاري وغيره عن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (يا عائشة ما كان معكم لهو؟) يعني غناء (فإن الأنصار يعجبهم اللهو).. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: (أهديتم الفتاة؟) قالوا: نعم، قال: (أرسلتم معها من يغني؟) قالت: لا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن الأنصار قوم فيهم غزل(*)، فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم، أتيناكم، فحيانا وحياكم) رواه ابن ماجة وغيره.

وعن محمد بن حاطب الجمحي قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما بسند حسن وصححه الحاكم والذهبي.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل بظواهرها على الرخصة في اللهو والغناء في العرس تظاهرا بالفرح والسرور مع رفع الصوت، غير أن ذلك يختلف باختلاف الجنسين، فإن كانوا رجالا كان لهم رفع أصواتهم كيفما شاءوا بالأغاني المباحة الخالية من وصف العيون والخدود والنهود والقدود... وما إلى ذلك من أغاني الفاسقين. وكذا الحال في النساء غير أنهن لا يرفعن أصواتهن بحيث يسمعن

(*) الغزل بفتحتين من معانيه اللهو.

الرجال الأجانب لا سيما إذا كان ذلك بالأبواق المكبرة للأصوات كما هي عادتهن اليوم، فإن ذلك يعد منهن للرجال زنا وفتنة.

تاسعاً: ليحذر صاحب الحفل مما اعتاده الناس من التصوير المرئي أو المرئي والسمعي للعروسين أولهما وللحاضرين وخاصة حفل النساء فإن ذلك منكر عظيم يترتب عنه معاصي ومفاسد هذا من جهة، وأما من جهة من يأتي الوليمة فله شروط وهي أن لا يكون هناك منكر، وأن لا يكون له عذر، وأن لا يضيع بذلك صلاة في وقتها، وأن لا يكون في الحفل من يتأذى به، وأن لا يكون هناك ثقلاء ومنهم أولائك الثرثارون الذين تعجبهم نفوسهم بإلقاء الدروس الغير المناسبة مع الإطالة المقيتة. أما بالنسبة للنساء فعليهن لزاما أن يلتزمن بشروط إذا توفرت فيهن كان لهن أن يحضرن وإلا منعن من الحضور فإن فعلن كن عاصيات لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولمن له الولاية عليهن وكن في سخط الله. الشرط الأول ما تقدم في شأن الرجال. الشرط الثاني أن لا يخرجن إلا بإذن أزواجهن وأن يكن متحجبات الحجاب الشرعي بأن يكون لباسهن واسعا غير ضيق سابغا لجميع الجسم، غير رقيق شفاف ولا لباس الزينة في نفسه، ولا هو مما يلفت الأنظار، وأن لا يستعملن العطورات والمساحيق وأن لا يمشين وسط الطريق وأن لا يتفاخرن على بعضهن بالألبسة الفاخرة، وأنواع الحلي والجواهر...

وكل هذه الشروط الشرعية المعتبرة في خروج المرأة قد أصبحت عند النساء في خبر كان... والله الهادي الموفق.

مناظرة بين شيخ وبين ابن أبي دواد في القول بخلق القرآن

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة ابن أبي دواد بسنده إلى طاهر بن خلف قال: سمعت محمد بن الواثق الذي يقال له المهتدي بالله يقول: كان أبي - يعني الواثق - إذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا ذلك المجلس فأتي بشيخ مخضوب، مقيد، فقال أبي: ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه يعني ابن أبي دواد قال: فأدخل الشيخ والواثق في مصلاه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له: لا سلم الله عليك فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مؤدبك قال الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها فقال ابن أبي دواد: يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال له: كلمه فقال: يا شيخ ما تقول في القرآن؟ قال الشيخ: لم تنصفني ـيعني ولى السؤالـ فقال له: سل فقال له الشيخ: ما تقول في القرآن؟ فقال: مخلوق، فقال: هذا شيء علمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ فقال: شيء لم يعلموه فقال: سبحان الله شيء لم يعلمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت؟ قال: فخجل فقال: أقلني والمسألة بحالها قال: نعم، قال: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق، فقال: هذا شيء علمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه؟ فقال: علموه ولم يدعوا الناس إليه قال: أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال: ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفـاه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون علمته أنت سبحان الله شيء علمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم ثم دعا عمار الحاجب فأمر أن يرفع عنه القيود

ويعطيه أربعمائة دينار ويأذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعد ذلك أحدا... كان الخوض في خلق القرآن من أولئك المعتزلة البغضاء من الفضول المقيت، والدخول فيما لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا تكلم فيه السلف من الصحابة وغيرهم وهذا كما يوجد في عصرنا بعض الفضوليين ممن يسمون أنفسهم سلفيين فتراهم يمتحنون الناس قائلين أين الله فإن أجابوهم بما لا يوافقهم حكموا عليهم بالكفر وقاطعوهم...

فيقال لهؤلاء المبتدعة الفضوليين هل ثبت في حرف واحد عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه كان يمتحن الصحابة بذلك أم أنهم تلقوا عنه (الرحمن على العرش استوى) فآمنوا بذلك وسكتوا واعتقدوا أن الله ليس كمثله شيء ثم انصرفوا يعبدون الله تعالى ويشتغلون بما يهمهم.

فائدة في محبة الله تعالى

قال أبو الفداء ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾.

وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه. فتلا عليه الصوفي هذه الآية: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ قال: وهذا الذي قاله حسن. وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلا رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار؟ قال فخفضهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: (لا والله ما يلقي حبيبه في النار) تفرد به أحمد وهو عنده ورواه الحاكم في البر والصلة من المستدرك 177/4 وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي وفي الحديث بشارة للمؤمن المحب لله عز وجل.

فائدة جليلة صوفية تتعلق بتعلم العلم

حاتم الأصم الزاهد المشهور المتوفى سنة سبع وثلاثين ومائتين كان تلميذا لشقيق البلخي من زهاد خرسان وكبار مشايخهم توفي شهيدا سنة أربع وتسعين ومائة.

نقل أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب العلم من الإحياء عن حاتم فائدة هامة تعلمها من شيخه البلخي فقال في صفة المتعلم: بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله تعالى عنهما أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة فقال: فما تعلمت في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل قال شقيق له: (إنا لله وإنا إليه راجعون) ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: **نظرت** إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية؟

فقال: **نظرت** في قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا.

الرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

والخامسة أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه فتركت عداوة الخلق عني.

والسادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضا، فرجعت إلى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فعاديته وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده.

الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على المخلوق، هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى: (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي..

قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة..

قال أبو حامد رحمه الله تعالى: فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتسربه اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام..

تعدد الجماعات في المسجد الواحد بعد الإمام الراتب

جاءتني رسالة من أحد الدعاة القاطنين ببلجيكا يقول فيها: إنه قرأ في كتاب لبعض العلماء أنه يمنع تعدد الجماعة في المسجد الواحد بعد الإمام الراتب وقال: إن الواجب على من جاء المسجد بعد الفراغ من الجماعة الراتبة أن يصلي فذا، ولا يجوز إحداث جماعة أخرى في كلام له. فأجبته بالآتي:

الحمد لله تعدد الجماعة في المسجد الواحد بعد صلاة الإمام الراتب جائز لا مانع في الشرع يمنعه بل السنة الصحيحة وعمل الصحابة يشهدان لذلك. أما السنة وهي العمدة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبصر رجلا يصلي وحده فقال ألا من رجل يتصدق على هذا فيصلي معه. رواه أحمد 85/64/45/5/3 وأبو داود 574 وابن حبان 436 بالموارد والحاكم 209/1 وابن حزم في المحلى 238/4 من طريق ابن أبي شيبة في المصنف 322/2 بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي رقم 198 بتهذيبي باب ما جاء في الجماعة والبيهقي69/3 باب الجماعة في مسجد قد صلى فيه إذا لم يكن فيها تفرق الكلمة بلفظ قال: دخل رجل المسجد وقد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: (أيكم يتجر على هذا؟) فقام رجل فصلى معه..

فهذا الحديث الشريف الصحيح صريح في جواز تعدد الجماعة بعد الراتبة ولا يخدش في الاستدلال به كون أحد المصلين متنفلا، فإن ذلك خارج عن الموضوع لأن المقصود هو ثبوت الجماعة مرة ثانية.

وقد حصل ذلك بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبطلب وإرشاد منه. وسواء كانوا مفترضين أم البعض مفترضا والبعض الآخر متنفلا كقصة الحديث.

وبهذا عمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون وغيرهم رحمهم الله تعالى فأخرج ابن أبي شيبة في المصنف 321/2 والبيهقي 70/3 عن أبي عثمان اليشكري رحمه الله تعالى قال: صلينا الغداة في مسجد بن أبي رفاعة وجلسنا فجاء أنس بن مالك في نحو من عشرين من فتيانه فقال: أصليتم؟ قلنا: نعم فأمر بعض فتيانه فأذن وأقام ثم تقدم فصلى بهم. وسنده صحيح على شرطهما فهذا أنس خديم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينشىء الجماعة مرة ثانية وهو لا يفعل ذلك إلا اعتمادا على ما عرفه من سنة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وليس ذلك رأيا له واجتهادا منه. وأخرج ابن أبي شيبة أيضا 323/2 عن سلمة بن كهيل رحمه الله تعالى أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه دخل المسجد وقد صلوا فجمع بعلقمة ومسروق والأسود وسنده صحيح.

وأخرج أيضا عن زياد مولى قريش رحمه الله تعالى قال: دخلت مع الحسن رحمه الله تعالى مسجد البصرة فوجدناهم قد صلوا فصلى بي وسنده صحيح. وورد مثل ذلك أيضا عن قتادة وواصل بن عبد الرحمن وعبد الله بن حميد وإبراهيم النخعي كما ذكر ذلك كله ابن أبي شيبة.

وبذلك قال الأئمة أحمد بن حنبل وداود الظاهري وإسحاق بن راهويه وابن المنذر واختاره ابن حزم وكلام محيي السنة البغوي يومئ إلى قوله به وهو اختيار البيهقي من الشافعية مع شرط له يأتي وتصدير الترمذي به في جامعه يؤذن باختياره إياه حيث قال تحت ترجمة ما جاء في الجماعة في مسجد قد صلى فيه بعد إيراده حديث أبي سعيد.

وهو قول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيرهم من التابعين قالوا: لا بأس أن يصلي القوم جماعة في مسجد قد صلى فيه جماعة وبه يقول أحمد وإسحاق وقال آخرون من أهل العلم يصلون فرادى وبه يقول سفيان وابن مبارك ومالك والشافعي يختارون الصلاة فرادى وقال ابن حزم في المحلى 237/236/4 مسألة: ومن أتى مسجدا قد صليت فيه صلاة فرض جماعة بإمام راتب، وهو لم يكن صلاها فليصليها في جماعة ولو أعادوا آذانا وإقامة فحسن لأنه مأمور بصلاة الجماعة وهو قول أحمد بن حنبل وأبي سليمان وغيرهما.

وقال البغوي رحمه الله تعالى في شرح السنة 437/3 على حديث ابن سعيد فيه دليل على أنه يجوز إقامة الجماعة في مسجد مرتين وهو قول غير واحد من الصحابة والتابعين انتهى.

إذا عرفت هذه النبذة اليسيرة اتضح لك بجلاء جواز إنشاء جماعة ثانيا وثالثا بعد الجماعة الراتبة، وأنه لا ضير في ذلك وليست ببدعة كما يقال وكان من المفروض على صاحب ذلك الكتاب الذي حرم إعادة الجماعة وأوجب على الآخرين أن يصلوا فرادى أن يبين للناس أن المسألة خلافية وأن هناك من أهل العلم صحابة وتابعين وأئمة من قال بذلك وأن لا يلزم الناس باتباع ما اختاره مع أنه مخطىء في ذلك ولا كرامة.

نعم يشترط لإعادة الجماعة أن لا يكون في ذلك تفرقة لكلمة المسلمين وجماعتهم وإثارة الأحقاد بين المؤمنين والتسبب في الفتنة بين المصلين ففي هذه الحالة لا يجوز إقامة جماعة ثانية بعد الراتبة ولا سيما إذا كان هنالك جماعة شاذة متطرفة تكفر المسلمين وتحرم الصلاة خلف أئمتهم كما كانوا عندنا هنا بطنجة فكانوا إذا دخلوا المسجد اجتمعوا في آخر المسجد منتظرين سلام الإمام ثم بعد يقيمون جماعتهم فأمثال هؤلاء يجب إبعادهم وطردهم من المسجد إن لم يصلوا مع المسلمين لأنهم خوارج وقد صدر أمر من طرف السلطات بمنع هؤلاء بإقامة جماعة ثانية.

وبهذا التعليل الذي ذكرنا علل كراهة الإعادة مالك والشافعي وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى كما ذكره الشافعي في الأم، وسحنون في المدونة، والنووي في شرح المهذب... وذلك ظاهر معقول أما منعها على الإطلاق فلا.

فإن قيل عارض ما ذكرته حديث أبي بكرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أقبل من نواحي المدينة يريد الصلاة فوجد الناس قد صلوا فمال إلى منزله فجمع أهله فصلى بهم. رواه الطبراني في الأوسط وأورده الهيثمي في المجمع 45/2 وقال: رجاله ثقات. وما ورد عن إبراهيم النخعي أن علقمة والأسود أقبلا مع ابن مسعود إلى المسجد فاستقبلهم الناس وقد صلوا فرجع إلى البيت ثم صلى بهما رواه عبد الرزاق في المصنف 409/2 وعنه الطبراني في الكبير رقم 9380 بسند حسن. فالحديث صريح في أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

صلى في بيته ولم يصل في المسجد بعد الجماعة الراتبة، كما أن ابن مسعود فعل مثل ذلك. وجوابا عن ذلك نقول: إن إحداث جماعة ثانية بعد الجماعة الراتبة ثبتت عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من قوله وفعله وتقريره. وتجميعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأهله في البيت ثبتت من فعله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقط، وإذا تعارض الدليلان وجب الجمع بينهما ما أمكن ولا يجوز الأخذ بأحدهما وطرح الآخر فإذا لم يمكن الجمع رجحنا أحدهما على الآخر إن لم نعرف التاريخ عن المتقدم منهما والمتأخـر.

وهنا يمكن الجمع بين الحديثين فيحمل كل منهما على الجواز فمن صلى في المسجد جماعة فقد أحسن على الشرط المتقدم، ومن ذهب إلى منزله وصلى بأهله فقد أحسن أيضا وكلاهما سنة.

أما إذا اخترنا الترجيح كان إيقاع الجماعة في المسجد أرجح وذلك لأمور أما أولا فإن حديث أبي سعيد قول، وحديث بكرة فعل، والقول مقدم على الفعل عند التعارض. وأما ثانيا فإن حديث أبي سعيد فيه تشريع للأمة يعم كل أفرادها بينما فعله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم محتل للخصوصية به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن القواعد الأصولية أن قوله للأمة إذا عارضه فعله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحمل على الخصوصية به عند كثير من الأصوليين. وأما ثالثا فإن حديث أبي سعيد سنده صحيح ومخرج في المسند وسنن أبي داود والترمذي وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم بينما حديث أبي بكرة لم يخرجه إلا عبد الرزاق والطبراني وسنده حسن فقط والحسن لا يقاوم الصحيح فيرجح الأول بدون خلاف. أما بالنسبة لأثر ابن مسعود فإنه عارضه أثره الآخر وهو أصح من هذا على أنه يحمل أيضا على جواز الأمرين عنده كما هي السنة فيكون ذلك من كمال فقهه.

أما من قال بالصلاة أفرادا فهو قول مخالف للسنة سواء قلنا بالصلاة في المسجد أم في البيت والله تعالى أعلم.

من الصادقين مع الله

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة محمد بن سعيد الحربي الصوفي بسنده إليه قال: سمعت سريا السقطي يقول: مكثت عشرين سنة أطوف بالساحل أطلب صادقا فدخلت يوما إلى مغارة فإذا أنا بزمنى، وعميان، ومجذومين قعود، فقلت: ما تصنعون ههنا؟ قالوا: ننتظر شخصا يخرج علينا يمر يده علينا فنعافى، فقلت: إن كان صادق فاليوم قال: فجلست فخرج كهل وعليه مدرعة من شعر، فسلم وجلس ثم مر يده على عمى هذا فأبصر، وأمر يده على زمانة هذا فصح، وأمر يده على جذام هذا فبرأ، ثم قام موليا فضربت يدي إليه فقال لي: سري خل عني فإنه غيور، لا يطلع على سرك فيراك وقد سكنت إلى غيره فتسقط من عينه تعالى وتقدس.

هـــم الـــرجال أدام الله مجـــدهم والغيـــر والله أوبـــاش وغـــوغاء

وذكر في ترجمة أبي العباس أحمد المؤدب بسنده إليه قال: دخلت على سري السقطي يوما فقال: لا يحجبنك من عصفور يجئ فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعدت له لقمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل، فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سري ما العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحا طيبا فقلت في سري أنا تائب من الملح الطيب فسقط على يدي فأكل وانصرف. ومثل هذا ما جاء في ترجمة أبي مدين شعيب المغربي دفين تلمسان قال: أنه كانت تأتيه في خلوته ظبية فتشمه وتلعب بين يديه وكان إذا مر في طريقه لمسجد القرويين يجد في طريقه كلابا فتبصبص وتفرح به، وإنه مرة صحب معه دراهم لضيافة صاحب له جاء من الأندلس فلما مر بالكلاب تعرضت له حتى منعته المرور، وجاءت الظبية فشمته ثم جعلت تنطحه ثم نفرت وهربت منه فدفع تلك الدراهم وأنفقها فلما رجع لم ير شرا من كلاب القرية ولما جاءت الظبية شمته فجلست بين يديه على عادتها.

وذكر أبو العباس أحمد بن عجيبة أحد أكابر زهاد المغرب النساك في فهرسته عن نفسه أنه كان يتعبد بمسجد بتطوان فكان يأتيه عصفور ويجلس بحذائه يأنس به.

فهذه من الكرامات التي يكرم الله تعالى بها عباده الصادقين معه المعرضين عما سواه الزاهدين في هذه الحياة الصاخبة.

مهنة المحاماة

سؤال: هل مهنة المحاماة مشروعة في الإسلام؟

المحاماة بلغة العصر هي الوكالة بلغة الإسلام واللغة العربية وهي مشروعة فقد وكل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أشخاصا في عدة قضايا كما ثبت في الصحاح وغيرها، فالمحامي هو الوكيل الذي ينوب عن صاحب الدعوى لدى المحاكم في الدفاع عنه وعن حقوقه، فالمهنة في أصلها مشروعة وقد يكون صاحبها مأجورا عليها حسب نيته، لكنه يبقى الأمر بعد ذلك فيما يطرأ عليها ويعتريها، فإن كان المحامي ملتزما ونزيها - وهذا عزيز بل بعيد جدا اليوم - كان عمله جائزا ومشروعا، وإن كان على غير ذلك كمحامي عصرنا الذين يدافعون على الحق والباطل مع علمهم بذلك، ففي هذه الحالة يكون العمل فيها غير مشروع، وما يأخذه من أجرة في مقابلة دفاعه يأخذه سحتا صرفا ويكون هذا المحامي ممن ينطبق عليه حديث (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها و(الألد الخصم) هو الذي يخاصم كثيرا ويهزم خصمه في الحق والباطل.

الخطبة في العدة

سؤال: هل تجوز خطبة المعتدة قبل انقضاء عدتها؟

الخطبة أيام عدة المرأة محرمة إجماعا، سواء كانت في عدة الطلاق الرجعي أم البائن، وسواء في ذلك عدة الطلاق أم عدة الوفاة، كانت المعتدة بالأقراء أم بالأشهر، أم بالحمل. الكل في ذلك سواء نعم أباح الله تعالى التعريف بالخطبة كقوله للمرأة أو لوليها إني أريد أن أتزوج نرجو الله أن يهيء لي زوجة صالحة أو يقول منذ مدة وأنا أبحث عن زوجة تصلح لي وإلى الساعة لم أجدها فمثل هذا الكلام لا بأس به من غير تصريح كأن يقول لها لا تتزوجي أحدا غيري فأنا أنتظر انقضاء عدتك أو يتفق معها أو مع وليها بالزواج صراحة فضلا عن أن يعقد عليها فإن ذلك محرم. وفي هذا الموضوع جاءت الآية الكريمة في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ الآية.

فكل من الخطبة، أو العقد، أو الدخول بها حالة العدة محرم، وكل ما وقع من ذلك حالة العدة باطل لا يصح ولا يعتد به، بل بالغ إخواننا المالكية فقالوا: من خطب امرأة في عدتها أو عقد عليها حرمت عليه إلى الأبد.

من أخبار الإمام عبد الله بن المبارك

عبد الله بن المبارك بن واضح هو الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته كان محدثا فقيها أديبا ناسكا متألها كريما كان تاجرا وما ربحه أنفقه على طلبة الحديث وكان مع ذلك قويا فارسا قال عبد الله بن سنان: كنت مع ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان، بطرسوس، فصاح الناس النفير - يعني الجهاد - فخرج ابن المبارك والناس فلما اصطف الجمعان خرج رومي فطلب البراز فخرج إليه رجل فشد العلج عليه فقتله حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفت إلي ابن المبارك فقال: يا فلان إن قتلت فافعل كذا وكذا ثم حرك دابته وبرز للعلج فعالج معه ساعة فقتل العلج، وطلب المبارزة فبرز له علج آخر فقتله حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز فكأنهم كاعوا عنه - أي جبنوا وانهزموا - فضرب دابته وطرد بين الصفين ثم غاب فلم نشعر بشيء وإذا أنا به في الموضع الذي كان به.

وكان يكثر الجلوس وحده فإذا قيل له: ألا تستوحش وحدك فيقول: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه. يعني في قراءة الحديث الشريف وقال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه. وسئل: من الناس؟ قال: العلماء قيل فمن الملوك؟ قال: الزهاد قيل فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه يعني من أمراء الظلمة قيل فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم وكان يقول: إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من كلب. قال أحمد بن جميل المروزي قيل لابن المبارك: إن إسماعيل بن علية قد ولي القضاء فكتب إليه:

يا جاعل العلم له بازيا	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بعد ما	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها	عن ابن عون وابن سيرين

أيـــن رواياتـــك فـــيما مـــضى   فـــي تـــرك أبـــواب الـــسلاطين

إن قلـــت أكـــرهت فمـــاذا كـــذا   زل حمـــار العلـــم فـــي الطـــين

توفي ابن المبارك في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان من تلامذة أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

قال محمد بن الفضيل: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: أي العمل أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه قلت: الرباط والجهاد قال: نعم قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة.

وقال أبو حاتم الفربري: رأيت ابن المبارك واقفا على باب الجنة بيده مفتاح، فقلت: ما يوقفك؟ قال: هذا مفتاح الجنة دفعه إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال: حتى أزور الرب، فكن أميني في السماء كما كنت أميني في الأرض.

وقال إسماعيل بن إبراهيم المصيصي: رأيت الحارث بن عطية في النوم فسألته فقال: غفر لي قلت فابن المبارك قال: بخ بخ ذاك في عليين ممن يلج على الله كل يوم مرتين.

وعن نوفل قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث عليك بالقرآن، عليك بالقرآن. ترجمه الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء وعنه نقلت ما تقدم وله ترجمة طويلة في تاريخ بغداد وفي الحلية وغيرها.

خطاب يشتمل على ثلاثة عشر سؤالا

جاءتني رسالة من شرق شمال المغرب من أحد الإخوان وجه فيها إلي بضعة عشر سؤالا وهذا نص الإجابة عنها:

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه:

موت الملائكة لا نعلمه لأنه من عالم الغيب، ولم يرد شيء في ذلك عن الشارع علما بأنهم سيموتون ويفنون مثلنا لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ وقد كنت قرأت للعارف الدباغ رحمه الله تعالى في الإبريز أن كل من أمنى من غير إمناء شرعي قتل نيفا وثلاثمائة ملك قال: لأن كل نطفة تنزل من الإنسان يخرج معها هذا العدد من الملائكة فإذا كان في حلال عاشوا وإذا كان في حرام ماتوا هكذا قال فإن كوشف بذلك وكان كشفا صحيحا فلا مانع من تصديقه وإلا احتمل واحتمل فالله أعلم.

وأما كون لغة سيدنا آدم عليه السلام هي السريانية، وأنها أصل اللغات فلم يصح شيء في ذلك عن الشارع، وإنما هي مجرد إسرائيليات، والذي صح عندنا هو أن الله عز وجل علم آدم عليه السلام جميع اللغات التي يتداولها أولاده لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ فكان له علم بجميع أسماء المسميات بجميع اللغات.

أما عن الصحن الذي سقط بأمريكا وخروج مخلوق فضائي منه فقد يكون ذلك من إرسال روسيا أو غيرها وقد يكون من سكان الجن السماويين.

أما بالنسبة لما يقال من أن هناك مخلوقات عجيبة تنزل إلى الأرض فتختطف مخلوقات الأرض فهؤلاء بلا شك إن وجدوا من العفاريت والزوابع المتمردة الذين جعلهم الله تعالى من سكان الفضاء.

أما هل يمكن أن توجد مخلوقات أخرى في كواكب غير الأرض فالعقل لا يحيل ذلك، ولم يأت عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

ما يمنعه.. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ يشير إلى أنه هناك مخلوقات في غير هذا الكوكب الأرض غير أن الآية ليست نصا قطعيا في الموضوع، لأنها تحتمل بسكان السماء الملائكة فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد) رواه أحمد وغيره وهو حديث صحيح. فالملائكة هم سكان السماء نصا وغيرهم محتمل.

أما بالنسبة لحديث: إن الله تعالى قال للقلم: اكتب علمي في خلقي فهذا الحديث لا أصل له وإنما جاء بلفظ: (اكتب ما هو كائن إلى الأبد) كما جاء في صحيح مسلم وغيره وعلم الله تعالى غير محدود ولا محصور في خلقه.

واللوح المحفوظ لا يعلم صفته وطوله وعرضه إلا الله عز وجل، فإنه من عالم الغيب، فحسبنا الإيمان به وكفى، وكل ما جاء في صفته في بعض الكتب فخرافات إسرائيلية لا أساس لها من الصحة.

أما حديث (كل أمر ذي بال)الخ فهو بلفظ البسملة واه بل حكم عليه بعض الحفاظ بالوضع، وأما بلفظ (لا يبدأ فيه بحمد الله) فأخرجه أبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم... وحسنه ابن الصلاح والنووي وابن السبكي وغيرهم وضعفه آخرون.

أما حديث: (من كنت مولاه فعلي مولاه) فهو حديث متواتر رواه الجم الغفير من الصحابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد أورده الحافظ السيوطي والعارف الإمام الكتاني في الأحاديث المتواترة.

أما كيف يتعامل طالب الحديث مع كتب الحديث والرجال؟ فالبنسبة لمتون الأحاديث فهناك ما ينبغي حفظه والاهتمام به كأحاديث الأحكام وأهم ما يحفظ منها: عمدة الأحكام للحافظ المقدسي الذي جمع فيها ما يقارب خمسمائة مما أخرجه البخاري ومسلم. ومنها بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر وكأحاديث الأخلاق والسلوك والترغيب والترهيب وأحسنها وأخصرها رياض الصالحين للإمام النووي وهو كتاب قيم جدا وعدا ذلك من كتب الأمهات

والمختصرات منها فبالمطالعة والممارسة لها تصير كل الأحاديث مستحضرة في الذاكرة بعون الله وفضله.

أما الرجال فينبغي لطالب الحديث أن يقرأ بعض ما ألف في ذلك بداية من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمن بعدهم وأخصر في ذلك على العموم لرواة الأمهات الست تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر والخلاصة للخزرجي. وفي الصحابة: الإصابة للحافظ وما عدا ذلك فمن باب التوسع والاطلاع، وإذا عرض لك بحث في رجل ما ترجع فيه إلى ما ألف في الرجال حسب الراوي المبحوث عنه مثل تهذيب التهذيب وهو للحافظ وهو خاص برجال الكتب الستة، وتاريخ البخاري الكبير، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وتاريخ بغداد للخطيب وهذه عامة في الرواة، وهناك كتب أخرى كثيرة ستعرفها بحول الله تعالى فيما بعد مع البحث.

أما كيفية معرفة عدد رواة حديث ما؟ فترجع إلى جامع الترمذي الذي يشير عقب كل حديث إلى ما في الباب من الأحاديث أو ترجع إلى كتب التخريج كنصب الراية للزيلعي والتلخيص الحبير للحافظ وغيرهما من كتب التخريج وهي كثيرة ومن مظان ذلك المقاصد الحسنة للسخاوي، وكذا الكتب المختصرة من الأمهات كمشكاة المصابيح، وجامع الأصول لابن الجزري، ومجمع الزوائد للهيثمي، ومنتقى الأخبار للمجد ابن تيمية، وشرحه للمحقق الشوكاني، والجامع الكبير والصغير للحافظ السيوطي... فإن هذه الكتب تستوعب ما في كل باب من أحاديث ورواتها، وبذلك تستطيع الرجوع إلى أصولها المسندة لتبحث في أسانيدها التي تريد الوقوف على رتبها ببحثك واجتهادك حسب القواعد الحديثية المقررة التي قرأتها.

أما كيف التعامل مع المسانيد مع جهالة الصحابة فالأمر كان في ذلك في القديم صعبا جدا وقد عانينا بعض ذلك منذ مدة أما الآن فأصبح والحمد لله الأمر ميسرا سهلا من أبسط الأمور لمن وفقه الله لخدمة السنة المشرفة فهناك مفاتيح جامعة لأكثر كتب السنة المطبوعة كالمعجم المفهرس، ومفتاح كنوز السنة، وموسوعة أطراف الحديث النبوي كما هناك مفاتيح خاصة لمسند الإمام أحمد،

وصحيحي البخاري ومسلم، والسنن الأربع، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي وغير ذلك مما يطول.

أما تصحيح الألباني فهو مع اعترافنا له بمعرفة الحديث المعرفة التامة واطلاعه الواسع على كتبه فهو كسائر البشر يصيب ويخطئ وليس بالمعصوم كما قد يتوهمه البعض، فصوابه في التصحيح أكثر من خطئه وقد أحصيت له وطبعت لبعضهم وكفى بالمرء نبلا أن تعد أخطاؤه أو معايبه ولذلك كان من الاحتياط أن لا يقلد فيما اختص بتصحيحه أو تضعيفه كغيره من المحدثين.

أما عن توبة اللعين رشدي فإن صحت ولا أظن ذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ ويقول نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (الإسلام يهدم ما قبله) رواه مسلم وغيره.

المواعدة بالزواج

سؤال: أنا بنت في سن الزواج، وقد وعدني شاب بزواجه بي، لكنه غاب منذ مدة فهل لي أن أتزوج غيره؟

الحمد لله هذا الموعد كان غير شرعي، لأنه كان مصحوبا بالمخادنة مع الخلوة كما هو الحال بين الشباب والفتيات اليوم، وذلك من عادات الجاهلية والغربيين التي تسربت إلينا وغزت شبابنا وفتياتنا ثم على فرض أنه وعدك بالزواج على أي حال فمطلق الوعد لا ينعقد به النكاح ولا تحلين له، بل لا زلت أجنبية عنه، نعم إذا كان تم بينكما العقد المعتبر شرعا من حضور الولي، والشهود العدول، وتعيين الصداق، ثم غاب وتركك ففي هذه الحالة لا بد لك من طلاق وفسخ عقدة النكاح، إما بطلاقه شخصيا إن وجد، وإما بطلاق القاضي غيابيا فإن تزوجت على هذه الحالة كان نكاحك باطلا فاسدا، وكنت زانية والسلام.

العرب مع إسرائيل والأفغان مع الروس

سؤال: العرب رغم اتحادهم لم يستطيعوا أن يهزموا عدوا ضعيفا هو إسرائيل سنة 1967 والأفغان استطاعوا أن يهزموا ثانية قوة في العالم وهي - الاتحاد السوفياتي - فما الفرق بين العرب والمجاهدين الأفغان؟

الحمد لله هناك فوارق كثيرة بين الأفغان وعرب الشرق الأوسط... منها أن الأفغان كانوا ملتزمين مقيمين لشعائر الدين وهذا أعظم سبب للانتصار قال الله تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ وقال جل علاه: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ وفي آيات أخر.

ومنها أنهم كانوا متحدين رغم تعدد طوائفهم وأحزابهم لأنهم كانوا يعلمون أنهم يحاربون عدوا عظيما في قوته العسكرية وآلاته الحربية فاتحدوا ضد عدوهم المشترك.

ومنها أنهم كانوا قد انضم إليهم عدد كبير من مسلمي العالم المخلصين الصادقين يريدون بذلك وجه الله والاستشهاد.

ومنها أن أمريكا كانت إلى جانبهم تساعدهم بالأسلحة وغيرها... بينما العرب الذين كانوا وما زالوا يحاربون إسرائيل وهم فلسطين والأردن وسوريا ومصر والعراق غير متحدين اتحادا خالصا بل فيهم خيانة وخونة... وليسوا بملتزمين، ولا بمسلمين كما أمرهم الله تعالى فهم ما بين شيوعيين يساريين، وبين رأسماليين غربيين وكلهم متفقين على تطبيق العلمانية ومحاربة الإسلام والمسلمين وفي تلك الأيام كان المسلمون علماء أو دعاة.. في زنازين مصر وسوريا وغيرها يعانون أشد ما يتصور من أنواع العذاب ظلما وعدوانا والله لا يؤيد الظالمين ولا ينصر الطغاة الباغين.

أضف إلى ذلك قلة عدتهم الحربية بالنسبة لعدوهم وهم يعلمون أنهم يحاربون عدوا من أقوى دول العالم فإسرائيل بنت أمريكا ومدعمة من طرفها كما هي مدعمة من الدول الأخرى العظمى كإنجلترا وفرنسا وغيرهما فكيف مع كل هذا ينتصر العرب على اليهود. ولو كانوا مسلمين ملتزمين متحدين لانتصروا ولو مع ضعفهم المادي. وهذا الأمر له مواضعه الخاصة ورجاله المعتنون به فليطلب ذلك منهم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

من هم العلماء؟

سؤال: كثيرا ما نسمع من الخطباء يقولون: اتفق عليه العلماء أو كما قال العلماء فمن هؤلاء العلماء؟

العلماء في الإسلام إذا أطلقوا فالمراد بهم علماء الدين الذين اعتنوا ويعتنون بالكتاب والسنة وفقههما ويشمل ذلك المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة المجتهدين منذ عصر الصحابة وأيام السلف حتى يومنا هذا، فإذا سمعت: اتفق عليه العلماء.. فالمقصود بهم علماء الدين وأئمة الإسلام أمثال الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وداود وابن راهويه وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي وابن جرير الطبري وأصحابهم وأتباعهم ومن نحا نحوهم من السابقين واللاحقين رحمهم الله تعالى فهؤلاء هم العلماء عند المسلمين أما علماء الدنيا والمهتمون بالكائنات فلا يشملهم اسم العلماء في الإسلام...و السلام.

أصل الخلاف بين السنة والشيعة

سؤال: ما هو جوهر الخلاف بين أهل السنة والشيعة؟

الحمد لله أصل الخلاف في ذلك هو الإمامة وظلم فاطمة عليها السلام في حرمها من إرثها في زعمهم فعن ذلك تفرعت كل الطامات والفضائح حيث إنهم يعتبرون الإمام عليا عليه السلام هو الخليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ووصيه الذي أوصى له بالإمامة بعده، وأنه كان أحق وأولى بها من غيره، وأن الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم كانوا ظلمة طغاة لأنهم ظلموا عليا ونزعوا منه حقه الذي عهد إليه به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كمل ظلموا بنته مولاتنا فاطمة... في حرمها من إرثها من والدها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم زاد الشيعة فضللوا كل من بايع الخلفاء الثلاثة وأيدهم من المهاجرين والأنصار ورموهم بالعظائم وجعلوا الخلفاء الثلاثة وباقي العشرة هم أئمة النواصب وزادوا فضللوا كل الأمة بأئمتها وعلمائها وقاداتها وقرروا في كتبهم أن الجميع في النار ما عداهم فإنهم في الجنة وحدهم وبناء على هذه العقيدة المنحرفة المقيتة ضللهم كل علماء الإسلام وحكموا عليهم بأحكام مختلفة. فمنهم من كفرهم ومنهم من فسقهم مع اتفاقهم على ضلالهم وخروجهم عن طريق المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.. وأنهم شر فرقة وأخبث طائفة تنتمي إلى الإسلام.

وقد أفردت كتابا خاصا لبيان عقائدهم وفضائح غلاتهم ولله الحمد وهو مطبوع فعليك به فإنك ستجد فيه ما لا يخطر على بالك من فضائح القوم.

زلة عالم

ابن خزيمة قال فيه الذهبي: الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة... من شيوخه إسحاق بن راهويه ومحمود بن غيلان وعلي بن حجر وأحمد بن منيع... ومن تلامذته محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وأبو علي النيسابوري والبخاري ومسلم رويا عنه خارج الصحيح كان قد انتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان صنف الصحيح المشهور بصحيح ابن خزيمة وكتاب التوحيد توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة عن تسع وثمانين سنة وله أخبار ومناقب وكرامات.

ألف كتاب التوحيد ضمنه صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة كالنفس، والوجه وسبحاته، والسمع، والبصر، واليد والأصابع والقدم والكلام والعلم والضحك والاستواء على العرش... وعزز ذلك بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وحمل كل ذلك على ظواهرها مع نفي التشبيه كما هو مذهب السلف لكنه قسى على المعتزلة والجهمية والمعطلة ورماهم بألفاظ نابية من التكفير...

فجاء فخر الدين الرازي صاحب مفاتيح الغيب في التفسير بعده بأكثر من مائتي وخمسين سنة فانتقده في كتاب التوحيد وسماه كتاب الشرك وقال في ابن خزيمة إمام الأئمة كان رجلا مضطرب الكلام قليل الفهم ناقص العقل... وبعد أن نقل عنه ما ذكره في الكتاب من صفات الله التي لا تشبه صفات خلقه قال: وأقول هذا المسكين الجاهل إنما وقع في أمثال هذه الخرافات لأنه لم يعرف حقيقة المثلين.. ذكر ذلك في تفسيره عند قوله تعالى من سورة الشورى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ فهذه زلة صدرت من فخر الدين رحمه الله تعالى في حق ابن خزيمة بل وفي حق كل أئمة السلف لأن ما ذكره ابن خزيمة هي عقيدة السلف التي مضوا عليها لكن غلاة الأشاعرة كالمعتزلة... لا يعجبهم مذهب السلف ولا يرضونه بل أبوا إلا التأويل والتعطيل نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل المنعم عليهم وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه آمين.

ومثل هذه الزلة ما صدر من عالم آخر صوفي كبير ألا وهو الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي الصوفي المشهور بحاشيته على الجلالين المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف. فقد قال في حاشيته على الجلالين عند قوله تعالى من سورة الكهف: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ما نصه: ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصحيح، والآية. قال: فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك إلى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

فماذا نقول للصاوي بعد هذا وبماذا نحكم عليه فلولا تحسين ظننا به وأنه قال ما قال متأولا، ومتأثرا بالتقليد الأعمى لكان لنا وله شأن فالله يغفر لنا وله ويجازيه حسب نيته. فإن ما قاله شيء عظيم وكفر بواح فإن وجوب تقليد الأئمة الأربعة أو غيرهم على الخصوص ما أنزل الله به من سلطان ثم ليت شعري كيف يكون الآخذ بآية من القرآن أو حديث صحيح أو قول صحابي ضالا مضلا مع أنه الواجب على كل مسلم إن هذا لعجب العجاب.

فهل هناك رسل أرسلوا إلينا نلزم باتباعهم والاقتداء بهم غير رسولنا خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إن الله عز وجل لم يخاطبنا في القرآن إلا بطاعته وطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يوجب علينا طاعة أحد من خلقه في التشريع إلا نبينا الذي ختم به الرسالة فمن زعم أن هناك مشرعا آخر يجب علينا اتباعه كان مشركا قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ فرسولنا الوحيد الذي يجب أن ننقاد له ويلزمنا اتباعه شرعا هو سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وهو الذي جعل الله طاعته طاعته فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ وجعل علامة محبته في اتباعه فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وجعل من لم يحكمه في كل شيء ووجد في نفسه حرجا مما قضى ولم يسلم تسليما غير مؤمن فقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ ولم يجعل ما

ذكرناه لأحد غيره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا للأئمة الأربعة ولا العشرة بل سائر الأمة كلهم مأمورون باتباعه ووجوب الوقوف عند سنته وهديه سواء في ذلك الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة وغيرهم...

ولنسأل سيدي الصاوي ومن نحا نحوه من المتعصبين هل كان الصحابة ومن بعدهم إلى عصر انتشار المذاهب الأربعة ملزمين باتباع مذهب خاص أم لا فإن قالوا لا أقروا واعترفوا بالواقع والواجب وإن قالوا كانوا ملزمين بتقليد علمائهم ومن سبق قبلهم سقط الكلام معهم لأنهم مفترون على التاريخ.

ثم إن أولائك الأئمة الأربعة على الخصوص الذين يوجبون تقليدهم ويحرمون الخروج عنهم هم أنفسهم كانوا متبعين للقرآن والسنة الصحيحة وأقوال الصحابة فما الفرق بينهم وبين من جاء بعدهم من أهل العلم فكانوا رحمهم الله لا يقدمون على السنة غيرها لا أقوال شيوخهم ولا أقوال الصحابة بل كانوا يأمرون أصحابهم وتلامذتهم باتباع ما صح من السنة إذا خالفت آراءهم وكانوا ينهون عن تقليدهم كما جاء ذلك أيضا عن المتفتحين من أصحابهم وأتباعهم عبر العصور وإليك بعض نصوصهم في ذلك:

قال **أبو حنيفة** رحمه الله تعالى مخاطبا تلميذه أبا يوسف: لا تكتب كلما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا، وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد. وقال: إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى وخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاتركوا قولي.

وقال **مالك** رحمه الله تعالى: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. وقال: ليس أحد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وقال **الشافعي** رحمه الله تعالى: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى اله تعالى عليه وآله وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ودعوا ما قلت. وقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد. وقال إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وقال الإمام **أحمد** رحمه الله تعالى وقد سأله أبو داود الأوزاعي هو أتبع أم مالك؟ لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد الرجل فيهم مخير وفي رواية: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا وقال: رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة، كله رأي وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار.

وقال: من رد حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو على شفا هلكة. انظر العلم لابن عبد البر والأحكام لابن حزم وأعلام الموقعين لابن القيم والمجموع للنووي وحاشية ابن عابدين وإيقاظ الهمم للفلاني وغيرها.

هذه بعض أقوال الأئمة الأربعة في وجوب اتباع الآثار وترك التقليد أما غيرهم من العلماء فنقولهم كثيرة في ذلك أيضا ولنكتف ببعض عيونها فنقول: قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في قواعده: ومن العجب كل العجب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من يشهد الكتاب والسنة والأقبسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس فإذا ذكر لأحدهم خلاف ما وطن نفسه عليه تعجب منه غاية التعجب من غير استرواح إلى دليل بل لما ألفه من تقليد إمامه حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه ولو تدبر إمامه لكان تعجبه من مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة وما رأيت أحدا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره بل يصر عليه مع علمه بضعفه ويعده إلى آخره فراجعه ج 136/135/2 من قواعده.

وقال ابن أبي العز: فمن يتعصب لواحد معين - يعني الأئمة - غير الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويرى أن قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الأئمة الآخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافرا يستتاب فإن تاب وإلا قتل فإنه متى اعتقد أنه يجيب على الناس اتباع واحد يعنيه من هؤلاء الأئمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين دون الأئمة الآخرين فقد جعله بمنزلة النبي صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم وذلك كفر، بل غاية ما يقال أنه يسوغ أو يجب على العامي أن يقلد واحدا من الأئمة من غير تعيين زيد ولا عمرو.

وقال الشعراني رحمه الله تعالى في الميزان بعد كلام: فإن الأئمة أسراء كلهم في يد الشريعة... ومن قال لا أعمل بحديث إلا أن يأخذ به إمامي فاتَه خير كثير كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذا لوصية الأئمة. انتهى

وقال الشيخ نور الدين أحمد الصابوني في شرح الهداية في الأصول: ولا يخفى أن الانتقال من مذهب إلى مذهب ما كان معلوما في الصدر الأول وقد انتقل كبار العلماء من مذهب إلى مذهب وهكذا كان الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة ينتقلون من قول إلى آخر. انتهى

وقال المحدث محمد حياة السندي رحمه الله تعالى: اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني القرآن وتتبع الأحاديث وفهم معانيها وإخراج الأحكام منها فإن لم يقدر فعليه أن يقلد العلماء من غير التزام مذهب لأنه يشبه اتخاذه نبيا، وينبغي له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة قال: أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب فجهل وبدعة وتعسف وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سنة وإنا لله وإنا إليه راجعون. نقله في الإيقاظ.

ولابن عبد البر رحمه الله تعالى كلام رائق في الموضوع أورده في كتاب العلم فانظره والنقول في هذا كثيرة قد ألف فيها الناس الأجزاء والمجلدات.

والحاصل أن الواجب على المسلم إن كان عالما يفهم نصوص الكتاب والسنة أن يتبع الأثر والدليل ولا يجوز له أن يقلد أحدا إلا فيما لا نص فيه أو تضاربت فيه الأفهام فله أن يختار ما ظهر له الأقرب إلى الحق فإن كان عاميا أو قاصرا فهذا لا بد له أن يقلد العلماء ولا يلزم باتباع مذهب معين إلا إن شاء، هذا مذهب السلف والمحققين من العلماء... والله الموفق الهادي.

فائدة خاصة بأهل العلم

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في صيد الخاطر: قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله، إلا أن طلاب العلم افترقوا فكل تدعوه نفسه إلى شيء **فمنهم** من أذهب عمره في القرآت وذاك تفريط في العمر، لأنه إنما ينبغي أن يعتمد على المشهور منها لا على الشاذ، وما أقبح بالقارئ أن يسأل عن مسألة في الفقه ولا يدري، وليس ما شغله عن ذلك إلا كثرة الطرق في روايات القرآت. **ومنهم** من يتشاغل بالنحو وعلله فحسب، **ومنهم** من يتشاغل باللغة فحسب، **ومنهم** من يكتب الحديث ويكثر ولا ينظر في فهم ما كتب، وقد رأينا في مشايخنا المحدثين من كان يسأل مسألة في الصلاة فلا يدري ما يقول، وكذلك القراء، وكذلك أهل اللغة والنحو، وحدثني عبد الرحمن بن عيسى الفقيه قال: حدثني ابن المنصوري قال حضرنا مع أبي محمد بن الخشاب وكان إمام الناس في النحو واللغة فتذاكروا الفقه فقال: سلوني عما شئتم، فقال له رجل: إن قيل لنا رفع اليدين في الصلاة ما هو؟ فماذا نقول؟ فقال: هو ركن فدهشت الجماعة من قلة فهمه. وإنما ينبغي أن يأخذ من كل علم طرفا، ثم يهتم بالفقه ثم ينظر في مقصود العلوم وهو المعاملة لله سبحانه والمعرفة به والحب له. **وما أبله** من يقطع عمره في معرفة علم النجوم، وإنما ينبغي أن يعرف من ذلك التسيير والمنازل لعلم الأوقات، فأما النظر فيما يدعي أنه القضاء والحكم فجهل محض، لأنه لا سبيل إلى علم ذلك حقيقة وقد جرب فبان جهل مدعيه، وقد تقع الإصابة في وقت، وعلى تقدير الإصابة لا فائدة فيه إلا تعجيل الغم فإن قال قائل يمكن دفع ذلك فقد سلم أنه لا حقيقة له. **وأبله** من هؤلاء من يتشاغل بعلم الكيمياء فإنه هذيان فارغ، وإذا كان لا يتصور قلب الذهب نحاسا، لم يتصور قلب النحاس ذهبا، فإنما فاعل هذا مستحل للتدليس على الناس في النقود، هذا إذا صح له مراده، **وينبغي** لطالب العلم أن يصحح قصده إذ فقد الإخلاص يمنع قبول

الأعمال، **وليجتهد** في مجالسة العلماء والنظر في الأقوال المختلفة وتحصيل الكتب فلا يخلو كتاب من فائدة، **وليجعل** همته الحفظ، ولا ينظر ولا يكتب إلا وقت التعب من الحفظ **وليحذر** صحبة السلطان، **ولينظر** في منهاج الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعلمه ومن تولاه الحق وفقه.

فائدة أخرى من جنس ما قبلها

للشوكاني

وقال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى في ترجمة ابن الوزير من كتابه - البدر الطالع - ما نصه مع طوله: وإني لأكثر التعجب من جماعة من أكابر العلماء المتأخرين الموجودين في القرن الرابع وما بعده كيف يقفون على تقليد عالم من العلماء ويقدمونه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. مع كونهم قد عرفوا من علم اللسان ما يكفي في فهم الكتاب والسنة بعضه، فإن الرجل إذا عرف من لغة العرب ما يكون به فاهما لما يسمعه منها صار كأحد الصحابة الذين كانوا في زمنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن صار كذلك وجب عليه التمسك بما جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وترك التعويل على محض الآراء، فكيف بمن وقف على دقائق اللغة وجلائلها إفرادا وتركيبا وإعرابا وبناء، وصار في الدقائق النحوية والصرفية والأسرار البيانية والحقائق الأصولية بمقام لا يخفى عليه من لسان العرب خافية، ولا يشذ عنه منها شاذة ولا فاذة، وصار عارفا بما صح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في تفسير كتاب الله وما صح عن علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأتعب نفسه في سماع دواوين السنة التي صنفها أئمة هذا الشأن في قديم الأزمان وفيما بعده. فمن كان بهذه المثابة كيف يسوغ له أن يعدل عن أية صريحة، أو حديث صحيح إلى رأي رآه أحد المجتهدين حتى كأنه أحد العوام الأعتام الذين لا يعرفون من رسوم الشريعة رسما فيالله العجب إن كانت نهاية العالم كبدايته، وآخر أمره كأوله، فقل لي: أي فائدة لتضييع الأوقات في المعارف العلمية فإن قول إمامه الذي يقلده هو كان يفهمه قبل أن يشتغل بشيء من العلوم سواه كما نشاهده في المقتصرين على علم الفقه فإنهم يفهمونه بل يصيرون فيه إلى غاية لا يخفى عليه منه شيء ويدرسون فيه ويفتون وهم لا يعرفون سواه بل لا يميزون بين الفاعل والمفعول.

قال: والذي ادين الله تعالى به أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله تعالى بعد أن يقيم لسانه بشيء من علم النحو والصرف وشطر من مهمات كليات أصول الفقه في ترك العمل بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز ثم إذا انضم إلى ذلك الاطلاع على كتب السنة المطهرة التي جمعها الأئمة المعتبرون، وعمل بها المتقدمون والمتأخرون، كالصحيحين، وما يلتحق بهما مما التزم فيه مصنفوه الصحة، أو جمعوا فيه بين الصحيح وغيره مع البيان لما هو صحيح، ولما هو حسن، ولما هو ضعيف، وجب العمل بما كان كذلك من السنة ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي، سواء كان قائله واحدا أو جماعة أو الجمهور، فلم يأت في هذه الشريعة الغراء ما يدل على وجوب التمسك بالآراء المتجردة عن معارضة الكتاب أو السنة، فكيف بما كان منها كذلك بل الذي جاءنا في كتاب الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ إلى غير ذلك وصح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: (كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد) فالحاصل أن من بلغ في العلم إلى رتبة يفهم بها تراكيب كتاب الله تعالى ويرجح بها بين ما ورد مختلفا من تفسير السلف الصالح، ويهتدي به إلى كتب السنة التي يعرف بها ما هو صحيح، وما ليس بصحيح فهو مجتهد، ولا يحل له أن يقلد غيره كائنا من كان في مسألة من مسائل الدين، بل يستروي النصوص من أهل الرواية ويتمرن في علم الدراية بأهل الدراية، ويقتصر من كل فن على مقدار الحاجة والمقدار الكافي من تلك الفنون هو ما يتوصل به إلى الفهم والتمييز، ولا شك أن التبحر في المعارف وتطويل الباع في أنواعها هو خير كله، لا سيما الاستكثار من علم السنة وحفظ المتون، ومعرفة أحوال رجال الإسناد والكشف عن كلام الأئمة في هذا الشأن، فإن ذلك مما يوجب تفاوت المراتب بين المجتهدين لا أنه يتوقف الاجتهاد عليه. " فإن قلت " ربما يقف على هذا الكلام من هو متهيئ لطلب العلم فلا يدري بماذا يشتغل، ولا يعرف ما هو الذي إذا اقتصر عليه في كل فن بلغ إلى رتبة الاجتهاد، والذي يجب عليه عنده العمل بالكتاب والسنة.

" قلت " لا يخفى عليك أن القرائح مختلفة، والفطن متفاوتة، والأفهام متباينة، فمن الناس من يرتفع بالقليل إلى رتبة عالية ومن الناس من لا يرتفع من حضيض التقصير بالكثير، وهذا معلوم بالوجدان.

ولكني ههنا أذكر ما يكفي به من كان متوسطا بين الغايتين فأقول: **يكفيه** من علم مفردات اللغة مثل القاموس، وليس المراد إحاطته به حفظا بل المراد الممارسة لمثل هذا الكتاب أو ما يشابهه على وجه يهتدي به إلى وجدان ما يطلبه منه عند الحاجة. **ويكفيه** في النحو مثل الكافية لابن الحاجب، والألفية وشرح مختصر من شروحها، **وفي الصرف** مثل الشافية وشرح من شروحها المختصرة مع أن فيها ما لا تدعو إليه حاجة، **وفي أصول الفقه** مثل جمع الجوامع، والتنقيح لابن صدر الشريعة، والمنار للنسفي، أو مختصر المنتهى لابن الحاجب، أو غاية السول لابن الإمام، وشرح من شروح هذه المختصرات المذكورة، مع أن فيها جميعها ما لا تدعو إليه حاجة، بل غالبها كذلك، ولا سيما تلك التدقيقات التي في شروحها وحواشيها فإنها عن علم الكتاب والسنة بمعزل، ولكنه جاء في المتأخرين من اشتغل بعلوم أخرى خارجة عن العلوم الشرعية ثم استعملها في العلوم الشرعية فجاء من بعده فظن أنها من علوم الشريعة فبعدت عليه المسافة، وطالت عليه الطرق فربما بات دون المنزل ولم يبلغ إلى مقصده، فإن وصل بذهن كليل، وفهم عليل، لأنه قد استفرغ قوته في مقدماته، وهذا مشاهد معلوم، فإن غالب طلبة علوم الاجتهاد تنقضي أعمارهم في تحقيق الآلات وتدقيقها ومنهم من لا يفتح كتابا من كتب السنة، ولا سفرا من أسفار التفسير، فحال هذا كحال من حصل الكاغد والحبر وبرى أقلامه ولاكَ دوَاته ولم يكتب حرفا فلم يفعل المقصود إذ لا ريب أن المقصود من هذه الآلات هو الكتابة، كذلك حال من قبله ومن عرف ما ذكرناه سابقا لم يحتج إلى قراءة كتب التفسير على الشيوخ لأنه قد حصل ما يفهم به الكتاب العزيز، وإذا أشكل عليه شيء من مفردات القرآن رجع إلى ما قدمناه من أنه يكفيه من علم اللغة، وإذا أشكل عليه إعراب فعنده من علم النحو ما يكفيه، وكذلك إذا كان الإشكال يرجع إلى علم الصرف، وإذا وجد اختلافا في تفسير السلف التي يقف عليها مطالعه فالقرآن عربي، والمرجع لغة العرب، فما كان أقرب إليها فهو أحق مما كان أبعد، وما كان من تفاسير الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو مع كونه شيئا يسيرا موجود في كتب السنة ثم هذا المقدار الذي قدمنا يكفي في معرفة معاني متون الحديث، وأما

ما يكفيه في معرفة كون الحديث صحيحا أو غير صحيح فقد قدمنا الإشارة إلى ذلك ونزيده إيضاحا فنقول: إذا قال إمام من أئمة الحديث المشهورين بالحفظ والعدالة وحسن المعرفة أنه لم يذكر في كتابه إلا ما كان صحيحا، وكان ممن مارس هذا الشأن ممارسة كلية كصاحبي الصحيحين، وبعدهما صحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ونحوهما فهذا القول مسوغ للعمل بما وجد في تلك الكتب وموجب لتقديمه على التقليد، وليس هذا من التقليد، لأنه عمل برواية الثقة، والتقليد عمل برأيه، وهذا الفرق أوضح من الشمس، وإن التبس على كثير من الناس، وأما ما يدندن حوله أرباب علم المعاني والبيان من اشتراط ذلك، وعدم الوقوف على حقيقة معاني الكتاب والسنة بدونه فأقول: ليس الأمر كما قالوا لأن ما تمس الحاجة إليه في معرفة الأحكام الشرعية قد أغنى عنه ما قدمنا ذكره من اللغة والنحو والصرف والأصول، والزائد عليه وإن كان من دقائق العربية وأسرارها، ومما له مزيد تأثير في معرفة بلاغة الكتاب العزيز لكن ذلك أمر وراء ما نحن بصدده، وربما يقول قائل بأن هذه المقالة مقالة من لم يعرف ذلك الفن حق معرفته، وليس الأمر كما يقول فإني قد شغلت برهة من العمر في هذا الفن فمنه ما قعدت فيه بين أيدي الشيوخ كشرح التلخيص المختصر وحواشيه، وشرحه المطول وحواشيه، وشرحه الأطول، ومنه ما طالعته مطالعة متعقب، وهو ما عدا ما قدمته وقد كنت أظن في مبادئ طلب هذا الفن ما يظنه هذا القائل ثم قلت ما قلت عن خبرة وممارسة وتجريب، والزمخشري وأمثاله وإن رغبوا في هذا الفن فذلك من حيث كون له مدخلا في معرفة البلاغة كما قدمنا وهذا الجواب الذي ذكرته ههنا هو الجواب عن المعترض في سائر ما أهملته مما يظن أنه معتبر في الاجتهاد، ومع ذلك كله فلسنا إلا بصدد بيان القدر الذي يجب عنده العمل بالكتاب والسنة، وإلا فحن ممن يرغب الطلبة في الاستكثار من المعارف العلمية على اختلاف أنواعها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، ومن رام الوقوف على ما يحتاج إليه طالب العلم من العلوم على التفصيل والتحقيق فليرجع إلى الكتاب الذي جمعته في هذا وسميته: "أدب الطلب ومنتهى الأرب " فهو كتاب لا يستغنى عنه طالب علم. على أني أقول بعد هذا إن من كان عاطلا عن العلوم الواجب عليه أن يسأل من يثق بدينه وعلمه عن نصوص الكتاب والسنة في الأمور التي يجب عليه من عبادة، أو معاملة، وسائر ما يحدث له فيقول لمن يسأله علمني أصح ما ثبت في ذلك من الأدلة حتى أعمل

به، وليس هذا من التقليد في شيء لأنه لم يسأله عن رأيه بل عن روايته، ولكنه لما كان لجهله لا يفطن ألفاظ الكتاب والسنة وجب عليه أن يسأل من يفطن ذلك، فهو عادل بالكتاب والسنة بواسطة المسئول، ومن أحرز ما قدمنا من العلوم عمل بها بلا واسطة في التفهيم وهذا يقال له مجتهد، والعامي المعتمد على السؤال ليس بمقلد ولا مجتهد بل عامل بدليل بواسطة مجتهد يفهمه معانيه، وقد كان غالب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين هم خير القرون من هذه الطبقة، ولا ريب أن العلماء بالنسبة إلى غير العلماء أقل قليل، فمن قال إنه لا واسطة بين المقلد والمجتهد قلنا له قد كان غالب السلف الصالح ليسوا بمقلدين ولا مجتهدين، أما كونهم ليسوا بمقلدين فلأنه لم يسمع عن أحد من مقصري الصحابة أنه قلد عالما من علماء الصحابة المشاهير بل كان جميع المقصرين منهم يسترؤون علماءهم نصوص الأدلة ويعملون بها وكذلك من بعدهم من التابعين وتابعيهم، ومن قال إن جميع الصحابة مجتهدون، وجميع التابعين وتابعيهم فقد أعظم الفرية، وجاء بما لا يقبله عارف، وهذه المذاهب والتقليدات التي معناها قبول قول الغير دون حجة لم تحدث إلا بعد انقراض خير القرون، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وخير الأمور السابقات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع، وإذا لم يسع غير العالم في عصور الخلف ما وسعه في عصور السلف فلا وسع الله تعالى عليه. انتهى. وهو كلام رائق غير أن عليه بعض مؤاخذات لعلنا نتعرض لها في فوائد لاحقة.

ومثل ما ذكره الإمام في هذا الموضوع ذكره أستاذنا سيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى مع بسط وزيادة تحقيق في رسائل خاصة بعث بها إلي بعض الإخوان وقد ضممتها كتاب در الغمام الرقيق برسائل الشيخ السيد أحمد بن الصديق فانظرها في أرقام الرسائل 22/21/20/19 فإنها مفيدة جدا جدا ولولا خوف الملل لأوردتها ههنا.

فائدة عجيبة غريبة

قال العارف الزاهد سيدي أحمد بن عجيبة رحمه الله تعالى في تفسيره البحر المديد عند قوله تعالى من سورة الأعراف: قال: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الآية ما نصه: " تنبيه " ذكر الفخر الرازي في تفسيره عن الشهرستاني: أن إبليس لعنه الله جرت بينه وبين الملائكة عليهم السلام مناظرة بعد الأمر بالسجود لآدم عليه السلام فقال لهم: إني أسلِم أن الله خالقي وموجدي وهو موجد الخلق، ولكن لي على حكمته أسئلة:

الأول: ما الحكمة في إيجاد خلقه لا سيما وكان عالماً بأن الكافر لا يستوجب عند خلقه الآلام؟

الثاني: ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود عليه نفع ولا ضرر وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف؟

الثالث: هب أنه كلفني بطاعته ومعرفته فلماذا كلفني بالسجود لآدم؟

الرابع: لما عصيته فلم لعنني وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه وفيه أعظم الضرر؟

الخامس: لما فعل ذلك فلِمَ مكنني من الدخول إلى الجنة ووسوسة آدم؟

السادس: ثم لما فعل ذلك فلم سلطني على أولاده ومكنني من إغوائهم وإضلالهم؟

السابع: ثم لما استمهلته بالمدة الطويلة في ذلك فلم أمهلني ومعلوم أن العالم لو كان خاليا من الشر لكان ذلك خيرا؟ انتهى.

قال شارح الأناجيل: فأوحى الله إليه من سرادقات الكبرياء: إنك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فأنا الله لاإلاه إلا أنا لا أسأل عما أفعل..

قال الشهرستاني: اعلم أنه لم اجتمع الأولون والآخرون وحكموا بتحسين العقل وتقبيحه لم يجدوا عن هذه الشبهات تخلصا، أما إذا أجبنا بما أجاب به الحق سبحانه زالت الشبهات واندفعت الاعتراضات.

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: من تشمرت فكرته بنور المعرفة وعرف أسرار الحكمة والقدرة لم يصعب عليه مثل هذه الشبهات وسأذكر الجواب عنها على سبيل الاختصار:

أما الحكمة في إيجاد خلقه فخلقهم ليعرف بهم وفي الحديث القدسي: (كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا لأعرف بهم) وليظهر بهم آثار قدرته وأسرار حكمته.

وأما تعذيب الكافر بالآلام فليظهر فيه مقتضى اسمه المنتقم.

أما فائدة التكليف فلتقوم الحجة على العبيد وليتميز من يستحق الإحسان ممن يستحق العذاب فإذا عذبه لم يكن ظالما له ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ولتظهر صورة العدل في الجملة.

وأما تكليفه بالسجود لآدم عليه السلام فلأنه ادعى المحبة ومقتضاها الطاعة للحبيب في كل ما يشير إليه، ولا تصعب إلا في الخضوع للجنس، أو من دونه، فأمره بالسجود لمن دونه في زعمه ليظهر كذبه في دعوى محبته.

وأما لعنه وطرده فهو جزاء من كذب وعصى، وهذا الطرد كان في علمه تعالى ولكن حكمته تعالى اقتضت ترتيب الأسباب وارتباطها بالمسببات، فكان امتناعه واعتراضه سببا لإظهار ما سبق له في علم الله، كما كانت وسوسته لآدم عليه السلام سببا في إظهار خروجه من الجنة السابق في علم الله تعالى.

وأما تمكينه من دخول الجنة فليتسبب عنه هبوط آدم عليه السلام الذي سبق في علمه، لأن الحكمة اقتضت أن لكل شيء سببا.

أما تسلطه على أولاده فليكون منديلا تمسح به أوساخ الأقدار إذ أن الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان إنما هو بمشيئة الواحد القهار، ولا فعل لغيره، لكن الحق تعالى علمنا الأدب فخلق الشيطان والنفس والهوى مناديل، فما كان فيه كمال نسبه له تعالى وما كان فيه نقص نسبه للشيطان والنفس أدبا مع الحضرة.

وأما إمهاله فليدوم هذا المنديل عندهم يمسحون فيه أوساخ المقادير التي تجري عليهم إلى انقضاء وجودهم وقولـه:

" معلوم أن العالم لو كان خاليا من الشر لكان ذلك خيرا " مغالطة، لأن حكمته تعالى اقتضت وجود الضدين الخير والشر، وبهما وقع التجلي والظهور ليظهر آثار أسمائه تعالى فإن اسمه المنتقم والقهار يقتضي كذا وجود الشر فيما نفهم، وليظهر انتقامه وبطشه للعيان، ومعلوم أن الملك إذا وصف بوصف جلالي، أو جمالي لا يظهر شرف ذلك الاسم إلا بظهور آثاره في مملكته، وقوله: " إنك ما عرفتني... الخ " يقتضي أنه لو عرف الله عز وجل حق معرفته لفهم أسرار هذه الأشياء التي اعترض بها على ما بيناه والله تعالى أعلم.

وأقول: هذه الشبه التي نقلت عن الشيطان سواء كان الخبر صحيحا أم باطلا مفتعلا لا تصدر إلا عن الشيطان أو عن نوابه من شياطين الإنس وكان سيدي ابن عجيبة رحمه الله تعالى موفقا في الإجابة عنها على أنه يكفينا معشر المؤمنين قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ فإن باب القدر ضيق لا يجوز الخوض والتدقيق فيه فحسبنا الإيمان به وكفى ولذلك ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا). رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود وفيه مسعر بن عبد الملك فيه لين كما في التقريب وحسنه الحافظان العراقي في تخريج أحاديث الإحياء وابن حجر في الفتح وللحديث شواهد يتقوى بها.

قال البغوي: القدر سر الله لم يطلِعْ عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه من طريق العقل بل يعتقد أنه تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا وأهل الشمال خلقهم للجحيم عدلا..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ وقال: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾.

وسأل رجل الإمام عليا عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال: طريق مظلم لا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه فأعاد فقال: سر الله قد خفِيَ عليك فلا تفشه.

وإنما نهى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخوض فيه كسابقيه لأن من يبحث فيه لا يأمن أن يصير قدريا صرفا لا يقول بأسبقية المقادير وأن الأمر أنف وأن العباد يخلقون أفعالهم، وإما أن يصير جبريا صرفيا.

ولذلك شد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيه فقد روى أحمد 1/ 196/195 وابن ماجة 85 من حديث ابن عمرو بسند صحيح أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقؤ وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: (بهذا أمرتم أم لهذا خلقتم تضربون القرآن بعضه ببعضه بهذا هلكت الأمم قبلكم) وأصله في صحيح في مسلم من كتاب العلم.

من أخبار عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما

عروة بن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة أيام التابعين أبوه الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة قتل شهيدا بوقعة الجمل وأم عروة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما ذات النطاقين وعائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها خالته وهو شقيق عبد الله بن الزبير وكان عالما فقيها صالحا زاهدا له أخبار تدل على جلالة قدره ومتانة دينه.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: وذكر العتبي أن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، وأخويه مصعب وعروة المذكور أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان، فقال بعضهم هلم فَلْنَتمنَّ فقال عبد الله بن الزبير: منيتي أن أملك الحرمين وأنال الخلافة، وقال مصعب: منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، وقال عبد الملك بن مروان: منيتي أن أملك الأرض كلها وأخلف معاوية، فقال عروة: لست في شيء مما أنتم فيه منيتي الزهد في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يروى عنه هذا العلم. قال فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله وكان عبد الملك لذلك يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير.

فكان رضي الله تعالى عنه أعقل الأربعة وأفضلهم لأن ما تمناه هو مطلب الصالحين من عباد الله عز وجل. وذكر ابن خلكان أيضا نقلا عن المبرد في مغازيه عن جماعة قالوا قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ولده محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتا، ووقعت في رجل عروة الأَكَلَة ولم يدع ورده تلك الليلة فقال له الوليد اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير، ولم يمسكه أحد، وقال: " لقد لقينا من

سفرنا هذا نصبا " وقدم تلك السنة قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقـال:

يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن واد، ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال، غير بعير وصبي مولود وكان البعير صعبا، فنَد فوضعت الصبي واتبعت البعير، فلم أجاوز إلا قليلا حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم الذئب وهو يأكله، فلحقت البعير لأحبسه فنفحني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني، فأصبحت لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بصر، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء.

قال: وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله تعالى وقد أبقى الله تعالى لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك نفعك الله وإيانا به والله ولي ثوابك والضمين بحسابك.

توفي رضي الله تعالى عنه في قرية بالفرعْ خارج المدينة سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين.

عائشة بنت طلحة

وسكينة بنت الحسين

يقولون إن الحديث ذو شجون أي يدخل بعضه في بعض.

قدمنا أن مصعب بن الزبير كان قد تمنى الجمع في التزوج بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنهما.

فمن هما هاتان الفتاتان اللتان شغلتا قلب مصعب حتى تمنى الجمع بينهما، أما عائشة فهي بنت طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة الذي قتل شهيدا أيضا بوقعة الجمل قتله مروان بن الحكم الأموي وأم عائشة أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وكانت أختا لعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت الصديق من الأب، وكانت عائشة هذه عالمة صالحة من فضليات التابعيات ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن شيخه المزي رحمهما الله تعالى قال: لم يكن في النساء أعلم من تلميذات عائشة أم المؤمنين: عمرة بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين، وعائشة بنت طلحة.

وكانت عائشة بنت طلحة يضرب بها المثل في الحسن فكانت أجمل نساء عصرها. وكانت قد تزوجها أولا ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم تزوجها أمير العراق مصعب بن الزبير فبلغه الله منيته وكان مصعب فارسا شجاعا جميلا وسيما.

غير أن عائشة كانت تقسو على مصعب وتغضب عليه ولا تطيعه وتترفع عليه فتكدر لذلك وكانت من أحب الناس إليه فشكاها إلى أشعب بن جبير المدني فقال له: مالي إن رضيت؟ قال: حكمك، قال أشعب: عشرة آلاف درهم قال مصعب: هي لك فانطلق أشعب حتى أتى عائشة فقال: جعلت فداك هذه حاجة قد عرضت لي تقضين بها حقي وترتهنين بها شكري قالت وما هناك يا أشعب؟ قال قد جعل الأمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه قالت: ويحك لا يمكنني ذلك قال: بأبي أنت فارضي عنه حتى يعطيني، ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء الخلق

فضحكت منه ورضيت عن مصعب ثم عادت إلى الدلال عليه وهجرانه وإعجابها بنفسها وتعاظمها عليه فشكاها مرة ثانية إلى كاتبه عبد الله بن أبي فروة لعله يجد له مخرجا أو حلا يخلصه من معاملتها السيئة معه فقال له: أتأذن لي في الحيلة؟ قال مصعب: نعم اصنع ما شئت فإنها أفضل من نلت من الدنيا فآتاها ابن أبي فروة ليلا فاستأذن عليها فقالت له: هذه الساعة؟ قال: نعم ففزعت ومعه رجلان أسودان ضخمان فقالت له مولاة لها: ما شأنك؟ قال شؤم مولاتك عائشة قالت: وما لها؟ قال: أمرني هذا الفاجر أسفك من خَلَقَ الله كدم حرام وأقتله للناس أن أحتفر بئرا وأدفنها فيه حية وقد حرصت والله أن يعفيني من هذا فأمر بقتلي قالت: فأنظرني أذهب إليه قال بلهجة الجاد الحازم: هيهات لا سبيل إلى ذلك أبدا ثم قال للأسود بن بتبرة أشد حزما احفرا فبكتْ عائشة ورأت الجد منه وقالت: يا ابن أبي فروة إنك لتقتلني؟ قال: ما منه بد، وإني لأعلم أن الله سيخزيه أو سيخزيه بعدك ولكنه قد غضب وهو كأضر الغضب قالت: فأي شيء أغضبه؟ قال: في امتناعك عليه وقد ظن أنك تبغضينه، وأنك تتطلعين إلى غيره فقد جن، فقالت: أذكِرِكَ الله إلا عاودْته قال: أخاف أن يقتلني فبكت وجواريها فلما رآى ذلك ولمس أنها اسْتكانتْ قال لها: قد رققت وأنا أغرر بنفسي فما أقول لمصعب؟ قالت: اضمن عني أني لا أعود أبدا إلى المخالفة قال: فأعطيني المواثيق فأعطته فقال للأسودين مكانكما ثم أتى مصعبا فأخبره بما جرى فقال له مصعب: استوثق منها بالأيمان فأتاها فقال إنه قد سكن بعض السكون فاحلفي لي أن لا تخالفيه فوثقت له وصلحت لمصعب بفضل الدرس البديع الطريف.

وبعد مقتل مصعب تزوجت عمر بن عبد الله بن معمر وأقامت معه ثماني سنين فمات فبكته قائمة إعلاما بأنها لا تتزوج بعده فعاشت أيما فكانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة توفيت سنة إحدى ومائة.

أما سكينة فهي آمنة بنت الحسين الشهيد بن الإمام علي عليهم السلام سبط رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وريحانته وأمها الرباب بنت امرئ القيس وكان والدها لقبها بسكينة لملامحها وحلوتها وكانت من فضليات نساء زمانها وجمالهن وحسنهن.

وتزوجها أيضا مصعب بن الزبير وأصدقها مليون درهم كضرتها عائشة المتقدمة غير أن سكينة لم تكن مع مصعب كعائشة بل كانت تحبه كثيرا وكانت له مكانة عظيمة عندها وقتل عنها فحزنت عليه كثيرا ولما قتل زوجها خرجت تريد المدينة المنورة فأطاف بها أهل الكوفة فقالــوا:

أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالت: والله لقد قتلتم جدي تعني عليا رضي الله تعالى عنه وأبي - الحسين - وعمـي - الحسن - وزوجي مصعبا أيْتَمْتموني صغيرة، وأرْمَلْتموني كبيرة، فلا عافاكم الله من أهل بلد، ولا أحسن عليكم الخلافة ثم خرجت ويممت وجهها تلقاء المدينة المنورة ثم بعد خطبها عبد الملك بن مروان فقالت: والله لا يتزوجني بعده قاتله أبدا ثم تزوجت عبد الله بن عثمان حفيد حكيم بن حزام ثم خلف عليها بعد موته عبد الله بن زيد حفيد عثمان بن عفان.

ولها أخبار كثيرة في الشعر والأدب والبلاغة والفصاحة توفيت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وقد قاربت الثمانين رضي الله تعالى عنها وعن أبيها وجدها وعنا معهم آمين.

رجل يدعي أنه عيسى ابن مريم عليه السلام

ذكر ابن عسكر في دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر في ترجمة العلامة الفقيه عبد الله الورياجلي أنه كان من عادته أن يشتغل بتدريس الطلبة في فصلي الشتاء والربيع وفي الصيف والخريف يخرج هو والطلبة يرابط ويجاهد البرتغاليين الذين كانوا قد احتلوا طنجة عام تسعة وستين وثمانمائة هجرية وأصيلا عام ستة وسبعين وثمانمائة هجرية فخرج مرة على عادته فلما رجع وذهب للمسجد لإلقاء الدرس على الطلبة لم يجد إلا واحدا منهم فسأله عن الطلبة فقال إنهم مجتمعون على رجل يزعم أنه عيسى ابن مريم عليه السلام وله دعاوي يدعيها وتظهر على يديه خوارق وانفعالات وتأتيه موائد من الطعام من حيث لا يدري أحد فقال الشيخ: قم واذهب بنا إليه فلما دخل على الرجل وقد اجتمع عليه آلاف من أهل المدينة - القصر الكبير - فتقدم إليه الشيخ فقال له: أخبرني عن الواجب، والجائز، والمستحيل في حق الله تعالى وفي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فلم يجد جوابا فقال له من أنت؟ فقال له أنا عيسى ابن مريم عليه السلام وهذه الصومعة تشهد لي وأشار إليها فولولت الصومعة وقالت: نعم فاستعاذ الشيخ بالله من الشيطان ثم لطم الرجل على وجهه وأخذ بشعر رأسه وأمر أصحابه بضربه وجره حتى ظنوا أنه مات ثم جروه إلى مزبلة وطرحوه عليها ثم لما أفاق أمر به إلى السجن ومكث به أربعة أشهر فبعث إلى الشيخ وقال له أنه تائب فأطلق سراحه فغاب بعد هذا الحادث سنتين وبينما الشيخ يوما يمشي مع أصحابه على فرس له وإذا برجل طلع عليه وسلم وجعل يقبل حافر فرسه فسأله الشيخ من أنت فقال له: أنا الرجل الذي أسلم على يديك فقال له الشيخ: أخبرنا بقصتك فقال أنه كان معه شيطان من الجن وأمره أن يدعي النبوة وهو يأتيه بكل ما يريد فكان الذي حصل ومن ذلك اليوم الذي ضربتني فيه لم أره ثم تبت إلى الله تعالى ولازمت تعلم العلم وقد أتيتك لآخذ عنك ديني حيث من الله تعالى علي بالإسلام على يدك فلازم الشيخ وصلح حاله وكان من خيار أصحابه. انتهى من دوحة الناشر ببعض تصرف.

وأقول مثل هذا الدجال ممن ادعى العيوسية أو المهدوية في التاريخ كثيرون وفي عصرنا ادعى ذلك جماعة من الدجاجلة في الشرق والغرب ومن مشاهير هؤلاء الدجاجلة الكذابين القاديانيون، والبهائيون الذين انتشروا في العالم وخاصة في أوربا وأمريكا وضل بدعوتهم أقوام جهلة أغرار نعوذ بالله من غضبه وسخطه.

من أخبار التوابين

للإمام العلامة فقيه الحنابلة موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي صاحب المغني في شرح متن الخرقي كتاب التوابين ذكر فيه جملة صالحة من التوابين عبر العصور، وإلى القارئ قصص بعضهم لتكون ذكرى وعبرة لمن يعتبر من الغافلين والمنحرفين وتحمله على التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

توبة العابد والمرأة البغي:

ذكر موفق الدين بسنده عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: كانت امرأة بغي لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وأنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها فقال إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت له: ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس الخاتن ذكر مقامه بين يدي الله تعالى فأخذته رِعْدَة فقال لها: أتركيني أخرج ولك مائة دينار قالت: ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت علي فعلت الذي فعلت فقال: فَرَقاً من الله تعالى ومن مقامي بين يديه، وقد بغِضْتِ إلي، فأنت أبغض الناس إلي فقالت: لا إلا أن تجعل لي أن تتزوج بي قال: لا حتى أخرج قالت: فلي عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجني قال: لعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده، وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه فقيل له: إن الملكة قد جاءتك فلما رآها شهق شهقة فمات وسقط في يديها وقالت: أما هذا فقد فاتني فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير قالت: فإني أتزوجه حبا لأخيه فتزوجته فنشر إليه منها سبعة أنبياء - وهذه من الإسرائيليات التي رخص لنا التحدث بها - .

ثلاث بنات من البغايا:

وذكر عن حسن أبي جعفر قال: كان لقمان الحبشي عبدا لرجل جاء به إلى السوق يبيعه قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي؟ فيقول

أصنع بك كذا وكذا قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني حتى جاء رجل فقال: ما تصنع بي؟ قال: أصيرك بوابا على بابي قال: أنت اشتريتني قال: فاشتراه وجاء به إلى داره قال وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين يعني يزنين في القرية وأراد أن يخرج إلى ضيعة له فقال له: إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء قال فقلن له: افتح الباب فأبى عليهن فشججنه فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره، ثم عاد مولاه بعد للخروج فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه فلا تفتحن الباب فلما خرج خرجن إليه فقلن له: افتح الباب فأبى فشججنه ورجعن فجلس فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء قال: فقالت الكبيرة: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هاتين وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت قال: فقال غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا فتابوا إلى الله عز وجل وكانوا عوابد القرية.

جارية من بنات الملوك:

وذكر الجنيد رحمه الله تعالى قال: كان أبو شعيب البراثي - وكان صديقا لبشر الحافي - أول من سكن بَرَاثَى في كوخ يتعبد فيه فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار كانت ربيت في قصور الملوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه فصارت كالأسير له فعزمت على التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب، فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون لك خادمة فقال لها: إن أردت ذلك فغيري من هيئتك وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت فتجردت عن كل ما تملكه ولبست ثياب النسك وحضرته فتزوجها فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف في مجلس أبي شعيب تقيه الندى فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك لأني سمعتك تقول إن الأرض تقول: يا ابن آدم تجعل اليوم بيني وبينك حجابا، وأنت غدا في بطني؟ فما كنت لأجعل بيني وبينها حجابا، فأخذ أبو شعيب الخصاف فرمى بها فمكثت معه سنين كثيرة تتعبد أحسن عبادة وتوفيا على ذلك متعاونين.

شاب وامرأة والسري السقطي:

عن السري السقطي رحمه الله تعالى قال: كنت يوما أتكلم بجامع المدينة فوقف علي شاب، حسن الشباب، فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول في وعظي:

" عجبا لضعيف يعصي قويا " فتغير لونه وانصرف، فلما كان من الغد جلست في مجلسي، وإذا بالفتى قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سري سمعتك بالأمس تقول: عجبا لضعيف يعصي قويا فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه، فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد فقال: يا سري كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردت الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد، والخراب، والمقابر، فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجا فلما كان بعد أيام أقبل إلي غلمان كثير، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه، إلا أن رجلا جاءني من صفته كذا وكذا ولا أعلم حاله، فقالوا: نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرفنا ودلوني على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبرا فبينا أنا ذات ليلة بعد عشاء الآخرة جالس في بيتي إذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه، ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عيني، وقال لي: يا سري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا فأومأت إلى صاحبي أن امضي إلى أهله فأخبرهم فمضى وإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حلي وحلل، وقالت له: يا سيدي أرملتني وأنت حي، وأيتمت ولدك وأنت حي، قال سري: فنظر إلي وقال: يا سري ما هذا وفاء، ثم أقبل عليها فقال: والله إنك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي، وأن هذا ولدي لأعز الخلق علي غير أن هذا سري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبي فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة، والأجساد العارية، وخرق قطعة من كسائه فلف فيها الصبي فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحال وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهق وقال: ضيعتم علي ليلتي بيني وبينكم الله وولى خارجا، وضجت الدار بالبكاء، فقالت: إن عدت سمعت له خبرا فاعلمني فقلت نعم، فلما كان بعد

أيام أتت عجوز، فقالت: يا سري بالشونِيزِيَة غلام يسألك الحضور، فمضيت فإذا به مطروح في تربة تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: يا سري ترى تغفر لي تلك الجنايات فقلت: نعم قال: يغفر لمثلي قلت نعم قال: أنا غريق قلت: هو منجي الغرقى فقال: علي مظالم فقلت: في الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة معه خصومه فيقال لهم: خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم فقال: يا سري معي دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر لي ما أحتاج إليه وكفني ولا تعلم أهلي لئلا يغيروا كفني بحُرام قال سري فجلست عنده قليلا ففتح عينيه فقال: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ ثم مات فأخذت الدراهم وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه وسرت نحوه فإذا بالناس يهرعون فقلت: ما الخبر؟ فقيل: مات ولي من أولياء الله نريد أن نصلي عليه فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة نفذ أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتني أن أريها قبره فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه قالت: لا والله فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرتهما وأعتقت جواريها وأوقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت.

أقول: في هذه القصة إن صحت مؤاخذات على سيدي السري وعلى الفتى وعلى المرأة ولا يخفى ذلك على اللبيب.

خبر عبد الرحمن القس مع جارية مغنية:

عن خلاد بن يزيد الباهلي قال: سمعت شيوخنا من أهل مكة منهم سليمان يذكرون أن القس كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادة وأظهرهم تبتلا وأنه مربوسا بسلامة جارية كانت لرجل من قريش فسمع غناءها فوقف يستمع فرآه مولاها فقال: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأبى عليه فلم يزل به حتى تسمح وقال: أقعدني في موضع لا أراها ولا تراني قال: أفعل فدخل فتغنت فأعجبته فقال مولاها هل لك أن أحولها إليك فتأبى ثم تسمح فلم يزل يسمع غناءها حتى شغف بها وشغفت به وعلم ذلك أهل مكة فقالت له يوما: أنا والله أحبك قال: أنا والله أحبك قالت: وأحب أضع فمي على فمك قال: وأنا والله قالت: أحب أن ألصق صدري بصدرك وبطني ببطنك قال: وأنا والله قالت: فما يمنعك؟ فوالله إن الموضع لخال قال: إني

سمعت الله تعالى يقول: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة قالت: يا هذا أتحسب أن ربي وربك لا يقبلنا إذا تبنا إليه؟ قال: بلى، ولكن لا آمن أن أفاجأ، ثم نهض وعيناه تذرفان فلم يرجع بعد، وعاد إلى ما كان عليه من النسك..

امرأة أرادت فتنة الربيع بن خثيم:

وبسنده إلى محرز الجلاب قال: حدثني سعدان قال: أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم - ثقة عابد - لعلها تفتنه وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة فقال لها الربيع: كيف بك ولقد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير - عليهما السلام - ؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيا عليها فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق...

فتى شاب وجارية جميلة:

وذكر عن رجاء بن عمر النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها، واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك كذلك مع وجدي بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي، فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أخاف نارا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهبها فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى؟ والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المسوح، وجعلت تعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه

حتى ماتت شوقا إليه، فكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها أحسن منظر، فقال: كيف أنت وما لقيت بعدي؟ فقالت:

نِعْـمَ المحـبة يـا حبيبـي حـبكاَ ... حـب يقـود إلـى خيـر وإحـسانِ

فقال على ذلك إلى ما صرت؟ فقالت:

إلـى نعـيم وعـيش لا زَوال لـه ... فـي جـنة خلـد مُلْـكٌ لـيس بالفانـي

فقال لها: اذْكرِني هناكِ فإني لست أَنْساكِ فقالت: ولا أنا والله أنساكَ. ولقد سألت ربي مولاي ومولاك، فأعِني على ذلك بالاجتهاد، ثم ولتْ مدبرة، فقلت لها: متى أراكِ؟ قالت: ستأتينا عن قريب، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله تعالى.

وقد أعطاهما الله عز وجل الموت على الشهادة فقد جاء في الحديث الصحيح:

(من عشق فعف مات شهيدا) (*) وقد تبادلا كل من الشاب والجارية العشق فاتقيا الله تعالى حتى ماتا عن عفة..

توبة القعنبي:

وذكر بسنده أيضا عن بعض ولد القعنبي بالبصرة قال: كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحْدَاثَ، فدعاهم يوما وقد قعد على الباب ينتظرهم فمر شعبة على حماره والناس خلفه يَهْرَعون فقال: من هذا؟ قيل: شعبة قال: وأي شعبة؟ قالوا محدث فقام إليه وعليه إزار أحمر فقال له: حدثني فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال: تحدثني أو أجرحك؟ فقال له: حدثنا منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إذا لم تَسْتَحْيِي فاصْنَعْ ما شِئت) فرمى سكينه ورجع إلى منزله فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فَهَرَاقَه وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا ومضى من وقته إلى المدينة فلزم مالك بن أنس رحمه الله تعالى فأثر عنه ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع منه غير هذا الحديث.

(*) لأستاذنا الحافظ سيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى رسالة في تصحيح هذا الحديث والرد على الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى حيث ضعفه في الهدي النبوي.

القعنبي هذا هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي الإمام الحافظ أحد تلامذة مالك بن أنس وأحد رواة الموطأ روى عنه البخاري ومسلم كان من أهل المدينة وسكن البصرة توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين.

توبة بشر الحافي وبعض أخباره:

بشر بن الحارث الحافي من كبار الزهاد النساك له أخبار كثيرة في الزهد والورع سكن بغداد وبها توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين. ذكر موفق الدين بسنده عن محمد ابن الدِّينَوَري قال: سمعت بشر بن الحارث وسئل: ما كان بدء أمرك؟ لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي قال: هذا من فضل الله تعالى وما أقول لكم كنت رجلا عَياراً صاحب عصبية فجزت يوما فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فمسحته وجعلته في جيبي وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة ثم كان ما كان.

قال موفق الدين: وحكي أن بشرا كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت: بل حر فقال: صدقت، لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافيا حاسرا وقد ولى الرجل فقال للجارية: ويحك من كلمك على الباب؟

فأخبرته بما جرى فقال: أي ناحية أخذ الرجل فقالت: كذا فتبعه بشر حتى لحقه فقال له: يا سيدي أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم قال: أعد علي الكلام فأعاده عليه فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد عبد ثم هام على وجهه حافيا حاسرا حتى عرف بالحفاء فقيل له: لم لا تلبس نعلا؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات.

ثم ذكر بسنده إلى فاطمة بنت أحمد أخت أبي علي الروذباري قالت: كان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث فوجهوا واحدا من الأحداث في حاجة لهم فأبطأ فحردوا عليه - أي غضبوا - فجاء وهو يضحك وبيده بطيخة فقالوا له: تبطئ وتجيء وأنت تضحك؟ فقال: جئتكم بأعجوبة، وضع بشر يده على هذه البطيخة

فاشتريتها بعشرين درهما، فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينيه فقال واحد منهم: بأي شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا بالتقوى فقال: هو يشهدكم أنه تائب إلى الله تعالى فقال القوم كلهم مثله ويقال إنهم خرجوا إلى طرسوس فاستشهدوا كلهم رحمهم الله تعالى.

وذكر أيضا عن أبي الفتح بن مخرق قال: تعلق رجل بامرأة من بنات الشام فتعرض لها بيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح من يديه إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل إلى الأرض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يرشح عرقا كثيرا ومضت المرأة بحالها فسألوه ما حالك؟ فقال: ما أدري ولكني حاكني شيخ وقال: إن الله تعالى ناظر إليك وإلى ما تعمل فَضَعفَتْ لقوله قدمي وهِبْته هيبة شديدة لا أدري من ذلك الرجل؟ فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث فقال: واسوأتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات اليوم السابع.

تاجر يطعن في الصوفية ثم يتوب فيصحبهم:

وذكر أيضا عن عبد الله بن الفضل حدثني أبو عبد الله القاضي قال حدثني أبي قال كان عندنا ببغداد رجل من التجار صديق لي وكان كثيرا ما أسمعه يقع في الصوفية قال: فرأيته بعد ذلك يصحبهم وأنفق عليهم جميع ما ملك قال: فقلت له: أليس كنت تبغضهم؟ قال فقال لي: ليس الأمر على ما توهمت قلت له: كيف؟ قال: صليت الجمعة يوما من الأيام وخرجت فرأيت بشراً الحافي يخرج من المسجد مسرعا قال: فقلت في نفسي: أنظر إلى هذا الرجل الموصوف بالزهد ليس يستقر في المسجد قال: فتركت حاجتي فقلت: أنظر أين يذهب قال: فتبعته فرأيته تقدم إلى الخباز واشترى بدرهم خبز الماء قال فقلت: أنظر إلى هذا الرجل يشتري خبز الماء قال: فتقدم إلى الشواء فأعطاه در هما وأخذ شواء، فزادني عليه غيظا، قال: وتقدم إلى الحَلاوي واشترى فَالوذَجاً بدرهم فقلت في نفسي والله لأنغصن عليه حين يجلس ويأكل قال: فخرج إلى الصحراء وأنا أقول يريد الخضرة والماء قال: فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه قال: فدخل قرية وفي القرية مسجد وفيه مريض، قال: فجلس عند رأسه وجعل يلقمه قال: فقمت لأنظر القرية قال: فبقيت ساعة ثم رجعت للعليل فقلت أين بشر؟ قال: ذهب إلى بغداد قال فقلت: وكم بيني وبين

بغداد؟ فقال: أربعون فرسخاً فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. أيْش عملت بنفسي وليس معي ما أكتري ولا أقدر على المشي قال: اجلس حتى يرجع فجلست إلى الجمعة القابلة قال: فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيء يأكله المريض فلما فرغ قال له العليل: يا أبا نصر هذا رجل صحبك من بغداد وبقى عندي منذ الجمعة فرده قال: فنظر إلي كالمغضَب وقال: لِمَ صحبتني؟ قال: فقلت: أخطأت قال لي قم امش قال: فمشيت إلى قرب المغرب قال: فلما قربنا قال لي أين محلتك من بغداد؟ قلت: في موضع كذا قال: اذهب ولا تعد قال: فتبْت إلى الله تعالى وصحبتهم وأنا على ذلك.

وأقول: كم في الدنيا من فضوليين مثل هذا التاجر يتتبعون عورات الناس ويتجسسون على أحوالهم وشئونهم ولا سيما إذا كانوا يعادونهم لكن هذا الرجل كان فضوله سببا في توبته وصحبته الصالحين.

سبب توبة شقيق البلخي:

وذكر موفق الدين ابن قدامة بسنده إلى علي بن محمد بن شقيق قال: كان لجدي ثلاثمائة قرية، ولم يكن له يوم مات كفن يكفن فيه قدمه كله بين يديه قال: وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدَث - شاب - إلى قوم يقال لهم الخَلُوخِيَة يعبدون الأصنام، فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالمهم قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا حمراً أرجوانية - شديدة الحمرة - فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق صانع ليس كمثله شيء له الدنيا والآخرة قادر على كل شيء رازق كل شيء فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك فقال له شقيق كيف ذلك؟ قال زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء، وقد تعنيت إلى ههنا لطلب الرزق ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك ههنا يرزقك ثم فتربح العناء قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم. وشقيق البلخي هذا كان من كبار مشايخ صوفية خراسان وزهادهم توفي شهيدا سنة أربع وتسعين ومائة.

توبة ذي النون المصري:

وذكر أيضا عن يوسف بن الحسين قال: لما استأنست بذي النون المصري قلت: أيها الشيخ ما كان بدء شأنك؟ قال: كنت شابا صاحب لهو ولعب ثم تبت

وتركت ذلك وخرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ومعي بضيعة - بضاعة - فركبت في المركب مع تجار مصر، وركب معنا شاب صبيح كأن وجهه يشرق، فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيسا فيه مال فأمر بحبس المركب ففتش من فيه وأتعبهم فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر وقام له الموج على مثال سرير ونحن ننظر إليه من المركب وقال:

يا مولاي إن هؤلاء اتهموني وإني أقسم يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر.

قال ذو النون: فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رءوسها وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على متن الماء ويقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ حتى غاب عن بصري فهذا الذي حملني على السياحة وذكرت قول النبي صلى الله تعالى عليه وأله وسلم: (لا يزال في هذه الأمة ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحدا) (*).

توبة سكران بسبب حية وعقرب:

وذكر عن يوسف بن الحسين أيضا وهو الرازي الزاهد قال: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عَبَرَتْ فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنا فامض بنا فجعلنا نقفو أثرها، فإذا برجل نائم سكران، وإذا بحية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت. فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال يا فتى انظر مما نجاك الله هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك ثم أنشأ ذو النون يقول:

(*) رواه أحمد في المسند 322/5 من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ألخ وفي سنده الحسن بن ذكوان قال في التقريب صدوق يخطئ وكان يدلس. وفي الباب أحاديث جمعها السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والأبدال وهو مطبوع.

يــا غــافلاً والجلــيل يحْرُسُــهُ   مـن كـل سـوءٍ يَـدِب فـي الظلـم

كـيف تـنام العـيون عـن مَلِـكٍ   تأتــيه مــنه فــوائد الــنعم

فنهض الشاب وقال: إلاهي هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟ ثم ولى، فقلت إلى أين؟ قال: إلى البادية، والله لا عدت إلى المدن أبدا.

هذا السكران الذي صدر من الضفدع والعقرب لأجله ما صدر كان قد سبق في علم الله تعالى أنه من أولياء الله تعالى فكان ما وقع كرامة مسبقة له تثبيتاً لفؤاده.

وذو النون المصري المذكور هو ثوبان بن إبراهيم المصري أحد كبار الزهاد والعباد المشاهير له كلام في الأحوال والمقامات توفي بمصر سنة245.

وهذا آخر ما أردنا ذكره من كتاب موفق الدين التوابين وفيما أوردناه من تلك القصص الغث والسمين والصحيح والضعيف لكن علماءنا من السلف والخلف رحمهم الله تعالى يتساهلون في مثل هذا الموضوع ثم العهدة على إمامنا موفق الدين رحمه الله تعالى.

غريبة

ذكر الشعراني رحمه الله تعالى في لطائف المنن أن رجلا كان يعرفه كان له صديق من الجن فقال له مرة: هل تريد أن تصعد إلى السماء لتتنزه في الكواكب وغيرها؟ فأجابه إلى ذلك فقال له: سنحملك على ظهري وتلفف بكسائك وإذا صعدنا فإياك أن تذكر الله تعالى فإنك إن ذكرته خرج من فمك نور فترى الملائكة ذلك فتضربنا بشهب فلما صعد به لم تمر عليه إلا لمحة فجعل يشاهد الكواكب هنا وهناك كالجبال فنسي وقال لا إلاه إلا الله وإذا بشهاب وجه إليهما فأصاب الجني فمات وسقط صاحبه الإنسي ولم يشعر بنفسه إلا في رمال وصحراء قاحلة فقام واتصل بسكان تلك البلاد فسألهم عن مصر فقالوا له بينك وبين مصر سنين عدة فغاب عن أهله سنتين وبحثوا عنه فلم يجدوه وأيسوا من حياته فاعتدت زوجته عدة الوفاة وقسم الورثة ماله وبعد سنتين ظهر فأخبرهم بما حصل له فاسترد ماله من الورثة وطلقت الزوجة فردت إليه...

وحدثني بعض أصحابنا الثقات أنه كان بشفشاون مسجونا وكان بالسجن رجل والده إنسي وأمه جنية فجيء به مسجونا فتصادق مع صاحبنا حتى أطلعه على حاله فقال له ليلة: تريد أن تخرج ونفر بك من السجن فقال لي يا حبذا لو فعلت فقال له: استعد لذلك قال: فأمرني أن نتلفف ونشد عيني قال فركبت على ظهره فخرج بي من سقف السجن وما شعرت إلا داخل السحاب فقال لي: يا سيدي محمد إن زدنا في الصعود احترقنا فلا إذن لنا في الفرار حتى نقضي ما كتب علينا قال: فرجع بي وإذا بنا داخل منزلنا بالسجن.

ومثل هذا لا ينكر وقوعه من الجن فإن الله تعالى قد أعطاهم تصرفا في هذا الكون يسيحون فيه أينما شاءوا ويقطعون مسافة ما بين المغرب والمشرق في لمحة وهكذا صعودهم إلى السماء غير أنهم منعوا من استراق السمع ولهم عجائب وغرائب لا ينبغي للمؤمن أن يكذب ما يقال عنهم لأنهم أرواح كالملائكة غير أن الفرق بينهم وبين الملائكة أنهم أرواح ظلمانية شريرة والملائكة عليهم السلام أرواح نورانية خيرة والأرواح غير الأجسام الكثيفة.

من نوادر الصحابة وغيرهم من الأقدمين في الطول والقصر

ذكر ابن قتيبة رحمه الله تعالى في المعارف فصلا في الطوال وفصلا في القصار من الصحابة وغيرهم من الأقدمين فقال:

كان حبيب بن مسلمة الفهري كالمشرف على دابة لطوله، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كأنه راكب، والناس يمشون لطوله، والعباس بن عبد المطلب كان يمشي في الطواف كأنه عمارية على ناقة والناس كلهم دونه.

وكان جرير بن عبد الله البجلي يتفل في ذروة البعير من طوله وكانت نعله ذراعا - بل ذكروا عنه أنه كان في طوله ثلاثة أمتار - وكان عدي بن حاتم طويلا إذا ركب الفرس كادت رجله تخط في الأرض، وكان قيس بن سعد طويلا جسيما، وكتب ملك الروم إلى معاوية أرسل إلي سراويل أجسم أطول رجل عندك فقال معاوية: ما أعلمه إلا قيس ابن سعد فقال لقيس إذا انصرفت فابعث إلي سراويلك فخلعها ورمى بها إليه فقال: ألا بعثت بها من منزلك فقال:

أردت لكـي لا يعلـم الـناس أنهـا ... سـراويل قـيس والوفـود شـهود

وأن لا يقـول الـناس بـالظن إنهـا ... سـراويل عـادي نمـته ثمـود

وعبيد الله بن زياد كان طويلا لا يرى مشيا إلا ظنوه راكبا من طوله وكان علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا، وعجب قوم من طوله فقال رجل: يا سبحان الله كيف نقص الناس لقد أدركت العباس يطوف بهذا البيت وكأنه فسطاط أبيض فحدث بذلك علي فقال: كنت إلى منكب أبي وكان أبي إلى منكب جدي وكان جبلة ابن الأيهم آخر ملوك غسان طوله إثنا عشر شبرا - يعني تقريبا ثلاثة أمتار - وإذا ركب مسحت قدمه الأرض، وأسلم في خلافة عمر ثم تنصر بعد ذلك ولحق ببلاد الروم وكان عمارة بن عقبة الحنفي الخارجي طويلا ولما مات لم يجدوا سريرا يحملونه عليه فزادوا في السرير ألواحا وأمنه الحجاج فمات بالبصرة قال ابن قتيبة: عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه كان شديد القِصَرِ يكاد

الجلوس يوارونه من قصره، إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف كان قصيرا وتزوج سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم فلم ترض به فخلعت منه ثم ختم عن بعضهم قال: ما كان طول فرعون إلا ذراعا والله تعالى أعلم والله يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد وفي التاريخ نوادر من هذا القبيل وقد شاهدنا في حياتنا أقواما قصارا في الشرق والغرب لا يجاوزون مترا وأخبرني بعض أشياخنا أنه شاهد في معرض بالقاهرة امرأة في القفص مثل الطائر.

وشاهدت أنا بنفسي في إحدى حجاتي بالمدينة المنورة شابا مقدار ذراع.

قلة الصالحات في النساء

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) رواه الشيخان.

المراد بالكمال هنا الكمال المتناهي في الدين ويكون ذلك بالعقل، والعلم، والصواب، والعدل، والأدب وهذا الكمال موجود في الرجال بكثرة ولكنه في النساء قليل لأنهن قليلات عقل ودين ولذا كانت شهادة رجل تعدل شهادة امرأتين وكان النساء أكثر أهل النار وكان فيهن اعوجاج لا يكدن يستقمن لرجالهن.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار) فقلن: وبم يا رسول الله قال: (تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: (أليس شهادة امرأة مثل نصف شهادة الرجل) قلن: بلى قال (فذلك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم) قلن: بلى قال: (فذلك من نقصان دينها) وفي البخاري والترمذي عن عمران بن حصين، ومسلم والترمذي عن ابن عباس عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (اطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) وما كن أكثر أهل النار إلا لما جبلن عليه من اتباع الهوى وقلة الاستقامة وبعدهن عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وفتنتهن الرجال باستعمال ما يغويهم ويميلونهم إليهن ولذا جاء في الحديث الصحيح: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) وجاء في الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء). ففتنتهن عظيمة لأن الله عز وجل جعلهن من شهوات الدنيا الأولى بالنسبة للرجال فقلما رجل ينجو من الإفتتان بهن لا سيما إذا استعملن ما يثير من الملابس الشفافة أو الضيقة أو

كشفن عن زينتهن الداخلية وأصبحن عرايا كنساء وقتنا فإنهن كشفن عن كل شيء، من أبدانهن إلا موضع القذارة...

ولما فيها من الفتنة شبهها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في إقبالها وإدبارها بالشيطان فقال: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأتي أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه) رواه مسلم عن جابر فالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يشير بهذا إلى نساء عصرنا فهن شياطين في صور البشر وهن بالإضافة إلى ما سبق لا يكدن يستقمن لرجالهن ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) رواه مسلم وغيره. ويرحم الله تعالى من قال:

النساء شياطين خلقن لنا فنعوذ بالله من شر الشياطين

وحكى القرطبي في التذكرة وغيره في غيرها عن الإمام علي عليه السلام أنه قال أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمرا، ولا تدعوهن يدبرن أمر عسير فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك، وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات، وأما المعصومات فهن المعدومات، فيهن ثلاث خصال من يهود، يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات، ويتمنعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن.

وليس معنى هذا أنه لا يوجد في النساء صالحات مستقيمات بل فيهن الصالحات الطيبات العفيفات والناسكات العابدات والعالمات الربانيات ولولا وجود الصالحات فيهن ما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

فكل هذه الصفات موجودة يحملنها نساء في كل عصر من العصور ولكنهن قلائل.

وجنس النساء أكثر من جنس الرجال لحكم يعلمها الله عز وجل ولا غنى للرجال عنهن لا في الدنيا ولا في الآخرة أما الدنيا فليبقى نظام التناسل مع قضاء كل من الجنسين الشهوة التي ركبت فيهما ولذا قال القائل رحمه الله تعالى:

النـــساء رياحـــين خلقـــن لـــنا وكلـــنا محـــتاج إلـــى الـــرياحين

وأما في الآخرة فسيعطى لكل رجل زوجتان من نساء الدنيا مع ما يضاف إلى ذلك من الحور العين اللائي سينشئهن الله إنشاء أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين.

والكلام على شأن المرأة طويل لا سيما المرأة المعاصرة التي كفرت بشريعة الإسلام وحاربت الله ورسوله واعترضت على ما شرعه الله تعالى وحكم به وزاحمت الرجل في كل الميادين وترجلت فلعنت وسقطت من عين الله تعالى.

ولعله يأتي بحث خاص في شأنها من هذه الناحية.

قولهم لولاك ما خلقت الأفلاك

سؤال: سئلت مرات عن الكلام الذي ينسبونه حديثا قدسيا وهو: (لولاك يا محمد ما خلقت الأفلاك) فكنت أجيب بأنه لا أصل له وإلى القارئ بسط الكلام عليه.

الحمد لله هو بهذا اللفظ لا أصل له لا في المرفوع ولا في الموقوف نعم جاء في حديث توسل آدم بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي رواه الحاكم وغيره ما يدل لذلك، فعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لاإلاه إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك "و لولا محمد ما خلقتك").

رواه الحاكم 615/2 وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وصححه الحاكم كما صححه السبكي في شفاء السقام والقسطلاني والزرقاني في المواهب اللدنية والسيوطي في الخصائص وأخرجه الحاكم أيضا 615/2 عن ابن عباس بلفظ فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار وصححه أيضا كما صححه شيخ الإسلام البلقيني في فتاويه والحديث مختلف فيه فمنهم من قال بوضعه كابن تيمية في قول له والذهبي ومنهم من صححه كما ذكرنا ومنهم من توسط فقال بضعفه وإليه مال ابن كثير في البداية 81/1 ولابن تيمية رأي آخر ذكره في الفتاوى 150/2 فإنه لما ذكر الحديث من رواية عمر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلمة قال: فهذا يؤيد الذي قبله قال: وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة.

فكلامه هذا يدل على أن الحديث ليس بموضوع عنده لأن الموضوع لا يستشهد به عند المحدثين هذا من جهة السند والرواية أما من جهة المعنى فهو صحيح واقع لأن الله عز وجل خلق هذا الكون بسمائه وأرضه للإنسان وسخره له تسخيرا وخاطبه في القرآن الكريم في غير ما آية بأنه خلقه وسخره له ففي أول سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾ فانظر إلى قوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل لكم: رزقا لكم ويقول تعالى في نفس السورة ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ ﴾ الآية وقال عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ﴾ وقال: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾...

وكلها تدل على أنه تعالى خلق هذا الكون وسخره للإنسان وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سيد هذا الإنسان وأكرم بني آدم على الله عز وجل فالكون إذا خلق لأجله ولجنس هذا البشر.

وقد رأيت كلاما هاما للإمام ابن تيمية في فتاويه 96/11 في الكبرى والصغرى ج 157/155/1 وجه فيه معنى ما ذكرنا فقال: ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق وأكرمهم عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن هنا قال من قال إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشا، ولا كرسيا، ولا سماء، ولا أرضا، ولا شمسا، ولا قمرا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم لا صحيحا، ولا ضعيفا، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ (٣٣) وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم(*) ومعلوم أن لله تعالى فيها حكما عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم من النعمة، فإذا قيل: فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل: لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة، بل يقتضي إذا كان أفضل صالحي بني آدم وأفضلهم محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

(*) كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾... ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ...﴾ ويلاحظ أن كل هذه الآيات التي ذكرت يقول فيها الله عز وجل: لكم مما يدل دلالة واضحة على أن هذا العالم كله خلق لنا كما تقدم فله الحمد في الأولى والآخرة حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ويرضى.

إلى أن قال فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرها، وهو الجامع لما فيها وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا، ومحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إنسان هذا العين، وقطب هذه الرحى، وأقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات، **فما ينكر أن يقال إنه لأجله خلقت جميعها، وإنه لولاه لما خلقت،** فإذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك انتهى.

وهذا كلام وجيه في غاية التحقيق ولذلك شاء الله عز وجل حينما يذهب المؤمنون وينقضي من الأرض من يوحد الله عز وجل التي لأجلهم خلقت ليعبدوا الله عليها يأتي وعد الله باضمحلال هذا العالم وفنائه بعلوبه وسفليه لأنه لم يبق له أهل ممن يستحقون تسخيره.

منزلة الغني والفقير عند الناس

رحم الله تعالى من قال:

يمـشي الفقيـر وكـل شـيء ضـده — والـناس تغلِـق دونَـه أبـوابـها

وتَـرَاهُ مبغوضـاً ولـيس بِمـذْنِبٍ — ويـرى العـداوة لا يَـرَى أسـبابها

حتَّـى الكِـلاَبُ إذا رأت ذَا ثَـرْوَةٍ — خـضعت لديـه وحـرَّكت أذنابهـا

وإذا رأت يـوما فقيـرا عابـراً — نَـبَحَتْ علـيهِ وكَـشَّرتْ أنـيابها

مجالسة الصالحين

مجالسة الصالحين تدعوك من ستة إلى ستة من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، وسوء النية إلى النصيحة.

من كلام إبراهيم بن أدهم وحكمه

قد قدمنا أن إبراهيم هذا كان من أبناء الملوك ثم تاب وتزهد وانقطع إلى التنسك وعبادة الله تعالى وله كلام في التوحيد وغيره فمن ذلك أنه مر على رجل وعلى وجهه أثر الهم والحزن فقال له إبراهيم: إني سائلك عن ثلاثة فأجبني فقال الرجل: نعم قال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم: أفينقص من أَجَلِكَ لحظة كتبها الله؟ فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم: فعلام هذا الهم؟

وهذه حكم وحقائق بالغة الأهمية فإن ما قدره الله عز وجل هو كائن لا محالة وما لم يقدره لا يمكن أن يقع بحال، ولكن الإنسان هكذا خلق، فهو لا يزال يفكر ويدبر، ويبني ويدمر، ويهتم ويحزن... هذه طبيعته.

وسئل ابن أدهم رحمه الله تعالى: لم لا تخالط الناس؟ فقال رحمه الله تعالى إن صحبت من هو دوني أذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل، ولا في وصله انقطاع، ولا في الأنس به وحشة. يعني بذلك الله عز وجل.

كرامة غريبة

قال أبو الفداء، الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى من الفجر ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ ما نصه:

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال: أسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولائك الثلاثة فقال: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾.

ثم غاص في الماء قال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولائك الثلاثة إلى الإسلام قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا..

الجنيد مع جارية في الطواف

ذكر ابن السُّبكي رحمه الله تعالى في طبقات الشافعية في ترجمة الإمام الجنيد رحمه الله تعالى بسنده إلى جعفر بن نصَير قال: سمعت الجنيد قال: حججت على الوحدة فجاورت بمكة، فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف فإذا بجارية تطوف وتقول:

أبَى الحب أن يخْفَى وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... فإن رمت قربا من حبيبي تقربا

ويبدو فأفنى ثم أحْيا بِهِ له ... ويسعدني حتى ألَذ وأطربا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقي الله، في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام فالتفتت إلي وقالت يا جنيد:

لولا التُّقى لم ترني ... أهجر طيب الوسن

إن التقى شردني ... كما ترى عن وطني

أفِرُّ من وجْدِي به ... فحبه هيمني

ثم قالت يا جنيد: تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر

وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم ... وحلوا محل القرب في باطن الفكر

فلو أخلصوا في الود غابت صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذكر

الاشتغال بالفقه والحديث يحتاج إلى الرقائق

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى في صيد الخاطر: رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين، لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها، وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق، لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم، وكيف يرق مع هذه الأشياء وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه، لا لاقتباس علمه وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سببا لرقة قلبك... وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتابا فيه أخباره وآدابه، فجمعت كتابا في أخبار الحسن، وكتابا في أخبار سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، وأحمد بن حنبل، ومعروف، وغيرهم من العلماء والزهاد والله الموفق للمقصود.

أقول: الأمر كما قال أبو الفرج فالتجرد لعلوم الآلة والفقه والحديث من غير التفات إلى الرقائق يقسي القلب ويرغب في الدنيا من حب ثناء الناس وانتشار الصيت وحب الرياسة والسعي في الوظائف مع ذوي السلطة والعمل لأجل ذلك وكل هذه علل تقدح في الإخلاص وطلب العلم لله تعالى وذلك هو الهلاك فإذا مزج اشتغاله بالعلوم بالنظر في أحاديث الرقائق والزهديات ومطالعة سير الصالحين والنساك والزهاد... رق قلبه وأخلص لله عمله وجاهد نفسه في التزود بالعمل للآخرة.

وقد جربنا ما ذكره ابن الجوزي كما جربه الملايين من أهل العلم فاسأل به خبيرا والله الموفق الهادي لأقوم طريق.

الذنوب وعقوبتها

قال أبو الفرج أيضا: من أراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل فإنه ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافيه التقوى وإن قل إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة، ومن الاغترار أن تسيء فترى إحسانا فتظن أنك قد سومحت وتنسى:

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ وربما قالت النفس أنه يغفر فتسامحت، ولا شك أنه يغفر ولكن لمن يشاء، وأنا أشرح لك حالا فتأمله بفكرك تعرف معنى العقوبة، وذلك أن من هف هفوة لم يقصدها ولم يعزم عليها قبل الفعل ولا عزم على العود بعد الفعل، ثم انتبه فاستغفر الله تعالى كان فعله وإن دخله عمدا في مقام خطإ مثل أن يعرض له مستحسن فيغلبه الطبع فيطلق النظر ويتشاغل في حال نظره بالتذاذ الطبع عن تلمح معنى النهي، فيكون كالغائب أو كالسكران، فإذا انتبه لنفسه ندم على فعله فقام الندم بغسل تلك الأوساخ التي كانت كأنها غلطة لم تقصد، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ فأما المداوم على تلك النظرة المردد لها المصر عليها فكأنه في مقام متعمد للنهي مبارزا بالخلاف، فالعفو يبعد عنه بمقدار إصراره ومن البعد أن لا يرى الجزاء على ذلك كما قال ابن الجلاء: رآني شيخي وأنا قائم أتأمل حدثا نصرانيا فقال: ما هذا لَتَرَيَن غِبها ولو بعد حين، فنسيت القرآن بعد أربعين سنة، وأعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب فإن العقوبة تتأخر، ومن أعظم العقوبة ألا يحِس الإنسان بها، وأن تكون في سَلْبِ الدين، وطَمْسِ القلوب، وسوء الاختيار للنفس، فيكون من آثارها سلامة البدن، وبلوغ الأغراض، قال بعض المعتبرين: أطلقت نظري فيما لا يحل لي ثم كنت أنتظر العقوبة فألجأت إلى سفر طويل لا نية لي فيه، فلقيت المشاق ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق عندي وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم عندي ثم تلافيت أمري بالتوبة فصلح حالي، ثم عاد الهوى فيحملني على إطلاق بصري مرة أخرى فطمس قلبي وعدمت رقته واستلب مني ما هو أكثر من فقد الأول، ووقع لي تعويض عن المفقود ما كان فقده أصلح، فلما تأملت ما عوضت وما سلب مني صحت من ألم تلك السياط، فها أنا أنادي من على الساحل:

إخواني احذروا لجة هذا البحر ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل، ولازموا حصن التقوى فالعقوبة مرة واعلموا أن في ملازمة التقوى مَرَارَاتٍ من فقد الأغراض والمشتهيات غير أنها في ضرب المثل كالحِمْيَةِ تعقب صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة...

وأقول الأمر في ذلك كما قال: وقد ذكرت ما للذنوب من آثار وعواقب وخيمة في كتابي: أسباب هلاك الأمم فاقرأه ولا بد.

الاعتزاز بالإسلام والاستهانة بالدنيا وأهلها

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر: أوه لو يقول هذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم **انا كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام، فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله به اذلنا الله** وفي رواية: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العز بغيره. رواه الحاكم 61/1 وصححه عل شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بنحوه.

وعن المغيرة بن شعبة أنه قال لعامل كسرى: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره، وجلت عظمته، إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط، ومن بقى منا ملك رقابكم. رواه البخاري في الجزية من صحيحه 75/74/7.

وله ولحذيفة بن محصن، وربعي بن عامر كلام ومحاورات هامة حول هذا الموضوع مع رستم عامل كسرى انظر ذلك مبسوطا في البداية والنهاية لابن كثير في وقعة القادسية ج 41/40/39/38/7.

وبذلك يدري القارئ كيف كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعتزون بالإسلام ويحتقرون الدنيا ويستهينون بها ولا يقيمون لها وزنا ولا يعيرون لأهلها قيمة قد تحققوا بقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

وقد جهل أو تجاهل مسلمو عصرنا فمن قبلهم هذا الجانب والركن الشديد فبدل أن يعتزوا بالإسلام وما جاء به من الأنظمة والأخلاق نظروا إلى ما عند شر خلق الله من الكفار فاغتروا بهم وبما عندهم وجعلوهم قدوة لهم في كل ما دب وهب فأهانهم الله لذلك وأذلهم ونسوا قول الله تعالى: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

هل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلم أصحابه ستا وستين عقيدة

تغالى جماعة من علماء الكلام فأوجبوا على كل عاقل بالغ أن يعرف الله تعالى بالدليل ولا يجوز له التقليد في ذلك وذكروا في المقلد ثلاثة أقوال عاص وغير عاص وكافر وأفرط بعضهم فقال: من لم يعرف ستا وستين عقيدة فليس بمؤمن وذلك بأن يعرف الصفات الواجبة في حق الله تعالى وفي حق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأضدادها وهي المستحيلات، ثم الجائزات في حقه عز وجل وفي حق الرسل وهي تبلغ عندهم ستا وستين صفة من الواجبات والمستحيلات والممكنات الجائزات وهذا شطط من القول، وضلال من قائله ومخالفة لكتاب الله تعالى ولسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخرق لإجماع السلف من الصحابة والتابعين والفاتحين الأقطار والأمصار وذلك أن توحيد الربوبية والألوهية، والخالقية، والقيمومية، شيء فطري في البشرية فكل من يولد، يولد على الفطرة وعلى استعداد لتوحيد الله تعالى كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم...) الحديث رواه مسلم وغيره فقوله حنفاء أي مسلمين موحدين أو مستعدين لقبول الهداية.

وفي الحديث الآخر عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه) رواه الشيخان.

فالإيمان بالله فطري في الإنسان لا يحتاج معه إلى استدلال أصالة وإنما يحتاج إلى من يرده إليه إذا ضل وأغوته الشياطين ولذلك أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب ليبين للناس ما نسوه وضلوا عنه من التوحيد الذي عاهدوا الله عليه في قوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾.

وقد أخبر الله تعالى عن الكفار بأنهم كانوا مع كفرهم وشركياتهم معترفين بأن الله تعالى هو ربهم وخالقهم وخالق السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ في آي أخر وكان كفار العرب مع شركهم يحجون ويلبون لله عز وجل وينفون عنه الشريك إلا ما كانوا يشركونه معه فكانوا يستثنونه ثم ينسبونه وما يملك لله تعالى.

وهكذا كل عابد غير الله فهو مفطور في باطنه على وجود خالق حي قادر مريد عالم مدبر لهذا العالم لكنه يحتاج إلى من يذكره ويرده إلى أصل فطرته وقد كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يزيدون في دعوة أممهم على قولهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلاه غيره كما حكى الله تعالى عن كل من نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام وكما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

وهكذا كان نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يزيد على قوله للرجل أسلم تسلم، وقوله: قولوا لاإلاه إلا الله تفلحوا وقال لعمه: قل لاإلاه إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة.

وهكذا كان شأنه مع أجلاف العرب والدهماء من الناس بل هؤلاء أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار لم يثبت عن إسلام واحد منهم أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يأمره عند إسلامه بالاستدلال الذي يذكر علماء الكلام ولا كان يقول لأحد منهم أنتم غير مؤمنين حتى تعلموا بالتفصيل صفات الله تعالى وصفات رسله صلى الله تعالى عليهم وسلم وما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز وكذا في حق الرسل بل كان يكتفي منهم لإسلامهم بأن يشهروا إسلامهم وينطقوا بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ونفي الشريك عنه ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنه رسول الله ثم يأمرهم بالفرائض والشرائع.

وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث المتواتر: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لاإلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله).

بل جاء في الصحيح عنه أنه قال لمن شاوره في قتل رجل: أليس يصلي أليس يشهد أن لاإلاه إلا الله... أولئك الذين نهاني الله عن قتالهم أو كما قال، وقال

لأسامة بن زيد حبه وابن حبه وقد كان قتل رجلا بعدما قال لاإلاه إلا الله ماذا تفعل مع لاإلاه إلا الله... أقتلته بعدما قال لاإلاه إلا الله فلم يزل يعاتبه على ذلك مع أن قتله إياه كان خطأ في اجتهاده رضي الله تعالى عنه، وهكذا كان شأن الصحابة الفاتحين للعراق والشام ومصر وإفريقيـة وبلاد فارس فما وراءها فلم يكونوا يطلبون من الداخلين في الإسلام أن يعرفوا ما قرره الفضوليون من علماء الكلام وضيقوا على الناس ما وسع عليهم وجعلوا سكان الجنة شرذمة قليلة من العلماء وحكموا على العوام بالضلال والكفر تعالى الله تعالى عن قولهم في الدين علوا كبيرا.

وقد كان صادقا بارا سيدي أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى حيث قال: أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين.

ونقل أبو المظفر السمعاني عن أكثر أئمة الفتوى أنهم قالوا: لا يجوز أن تكلف العوام اعتقاد الأصول بدلائلها لأن في ذلك من المشقة أشد من المشقة في تعلم الفروع الفقهية.

قال القرطبي في المفهم: وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات، منزه عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال، ثم متى ثبت النقل بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف.. وانظر كتاب الإيمان من فتح الباري 77/1 على قول البخاري رحمه الله تعالى في ترجمة: أنا أعلمكم بالله الخ.. وفي التوحيد ج 115/17 في باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمته إلى توحيد الله.. فما بعده والله الموفق الهادي.

فائدة

قال أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له. وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأوْلَى، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها، وطباعها، ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها، وحكمته، وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب وقد سئِل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله **إن البعْر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على السير**، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.

وحكى الرازي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له **باختلاف اللغات، والأصوات، والنغمات**، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء، وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها، من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي، والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، ليس لها صانع، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم - الحرير - وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة، والبقر، والأنعام، فتلقيه بعرا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب، ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جدرانه فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس رحمه الله تعالى عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق من الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز رحمه الله تعالى:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

وقال آخرون: من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها، واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سير يخصها ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف

الطعوم، والأراييح، والأشكال، والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته، ورحمته بخلقه، ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا ألاه غيره، ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب. انتهى.

فائدة أخرى عن ابن كثير أيضا

قال ابن كثير أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة، ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قال: والإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك، كما فعله عمر رضي الله تعالى عنه، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، أو مبايعة واحد منهم له فيجب التزامها، عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع والله أعلم، أو بقهر واحد من الناس على طاعته، فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف، وقد نص عليه الشافعي، وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة فيه خلاف، فمنهم من قال: لا يشترط، وقيل: بل يكفي شاهدان وقال الجُبَّائي يجب أربعة وعاقد ومعقود له كما ترك عمر رضي الله تعالى عنه الأمر شورى بين ستة فوقع الأمر على عاقده وهو عبد الرحمن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين وفي هذا نظر والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكرا حرا بالغا، عاقلا، مسلما، عدلا، مجتهدا، بصيرا، سليم الأعضاء، خبيرا بالحروب والآراء، قرشيا على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ، خلافا لغلاة الروافض، ولو فسق الإمام هل يعزل أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينعزل لقوله عليه الصلاة والسلام: (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) وهل له أن يعزل نفسه فيه خلاف، وقد عزل الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما نفسه وسلم الأمر إلى معاوية لكن هذا لعُذر وقد مدح على ذلك. فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من جاءكم وأمركم جميعا يريد أن

يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان) وهذا قول الجمهور، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين. وقالت الكرَّامِيَة يجوز إثنان فأكثر كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة، قالوا: وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة لأن النبوة أعلى مرتبة بلا خلاف، وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار، واتسعت الأقاليم بينهما، وتردد إمام الحرمين في ذلك قلت: وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق، والفاطميين بمصر، والأمويين بالمغرب.انتهى.

وقد ذكرت أحكام الخلافة والإمامة وشروط الإمام وغير ذلك في بداية الوصول، كما ذكرت ذلك في فضائل الصحابة المفرد، وفي السنة والشيعة...

من الفوائد الحديثية

أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى إذا روى عنه ثقة صح حديثه.

إسماعيل بن عياش رحمه الله تعالى إذا روى عن أهل بلده الشاميين كان حديثه صحيحا وإذا روى عن غيرهم من الحجازيين والعراقيين.. ضعف حديثه.

عبد الله بن لهيعة رحمه الله تعالى إذا روى عنه عبد الله بن وهب، وعبد الله القارئ، وعبد الله بن المبارك صح حديثه لأن هؤلاء سمعوا منه قبل احتراق كتبه ومن روى عنه بعد ذلك كان حديثه حسنا في الشواهد، ونور الدين الهيثمي يحسن له مطلقا.

بقية بن الوليد رحمه الله تعالى كان مدلسا... فإذا روى عن الشاميين صح حديثه.

عبد الرحمن بن أبي الزناد رحمه الله تعالى روايته عن المدنيين صحيحة.

المختلطون من المحدثين كثيرون وقد ألف فيهم جماعة والقاعدة فيهم أن من روى عنه قبل اختلاطه قبل حديثه ومن روى عنه بعد اختلاطه رد حديثه ويعرف ذلك من تراجمهم المطولة.

كل من الحديث المرسل أو من كان في سنده سيء الحفظ أو نحو ذلك مما كان ضعفه خفيفا إذا تعددت طرقه بشاهد مثله أو متابع مثلا ارتقى إلى درجة الحسن لغيره وقد يصبح صحيحا إذا كانت له طرق كثيرة.

الحديث المدلس لا يقبل سواء ورد بعن أو أن أو قال حتى يصرح المدلس بالسماع أو الأخبار.

عنعنة الثقة المعاصر محمولة على السماع إذا كان اللقي ممكنا وشدد البخاري وغيره في ذلك فلم يقبلوها إلا مع ثبوت اللقي.

تصحيح الترمذي رحمه الله تعالى مقبول صحيح في الأغلب وقد يتساهل أحيانا وقد اعتمده الأئمة والحفاظ في ذلك خلافا لمن شهر بعدم قبول تصحيحه وقد رددت على من رد تصحيحه في مقدمة تهذيب جامع الترمذي.

الحديث الحسن لذاته هو ما توفرت فيه شروط الصحيح غير الضبط فإنه يكون في راويه خفيفا.

ومن أقسام الحسن لذاته ما قيل في راويه صدوق يَهِم أو كان مجهول الحال وذكره ابن حبان في الثقات وروى عنه ثلاثة فأكثر.

جماعة من المحدثين يحسنون للمستور والمقبول كابن رجب وابن كثير والعراقي رحمهم الله تعالى قد يحسنون الحديث الضعيف بآية من القرآن، أو آثار الصحابة الصحيحة إذا تعارض الرفع والوقف أو الوصل والإرسال فالحكم للرفع والوصل.

الصحيح أن الحسن البصري رحمه الله تعالى سمع من سمرة بن جندب غير حديث العقيقة كما هو مذهب علي ابن المديني، و البخاري، والترمذي، والحاكم رحمهم الله تعالى جميعا هذه خواطر خطرت بالبال كتبتها بدون أي مراجعة.

الإضراب عن الطعام

اعتاد السجناء في عصرنا الإضراب عن الطعام توصلا بذلك إلى مطالبهم وقد يبقى أحدهم مضربا حتى الموت. وهذه جاهلية جاءتنا وتسربت إلينا من عند الكفار فلا يحل للمسلم أن يجوع نفسه في غير الصيام بل ولا له أن يعتدي على نفسه أو أي عضو منه بشيء لأن نفسه ليست ملكا له بل هي لله عز وجل ملكا وخلقا وعبدا فتجويع النفس لطلب مصالحها حرام، فإن الله عز وجل أنعم علينا بنعمة الإيجاد بعد أن لم نك شيئا مذكورا ثم أنعم علينا بنعمه الإمدادية التي منها الأكل والشرب واللباس محافظة على بنية الإنسان، وعلى بقاء نظام هذا الكون حتى يأتي أجله المحدود فتناول الطعام والسراب الكافيين لحياة الإنسان واجب لا يجوز تركه بحال إلا عند الصيام المفروض... ولذا أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ وقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة) فالأكل والشرب فيهما ما هو واجب، وما هو مباح، وما هو حرام...

فالواجب ما به قوام بنية الإنسان فمن ترك ذلك فقد أتى كبيرة من كبائر الذنوب فإذا مات من ذلك كان قاتلا نفسه منتحرا، وقد جاء في المنتحر عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا...) رواه الشيخان أيضا.

فمن تسبب في قتل نفسه عذب في جهنم بما قتل به نفسه أيا كان فمن جوع نفسه حتى مات عذب في جهنم بالتجويع الهائل الذي لا يطاق نعوذ بالله من سخطه وغضبه وعقابه.

والغريب في هذا الأمر هو أنك ترى من بين هؤلاء المضربين عن الطعام أولئك الذين يزعمون التسنن واتباع السلف... ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

الإنسان والأمل وحبه طول الحياة

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خط النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطوطا فقال: (هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب).

وفي رواية قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (هذا ابن آدم وهذا أجله، فوضع يده عند قفاه ثم بسطها فقال: وثم أجله، وثم أجله). رواه البخاري وأحمد والترمذي وغيرهم.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: خط النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا. رواه البخاري.

- الأعراض - جمع عرض بفتحتين كل ما ينتفع به، و- نهشه - أي أصابه بمعنى لدغه.

الاجل

الاجل . الانسان الامل

الاعراض الاعراض

الاجل

ومعنى هذا الحديث وسابقه أن أجل الإنسان أقرب إليه من الآمال التي يتمناها ويدبر أمرها، رغم ما يطرأ عليه من الآفات وبرسم هذا المثال يتضح معنى الحديثين وما فيهما جليا وهو كالآتي:

قوله في الحديث هذا الإنسان يشير إلى النقطة الداخلة عند الخط الداخلي وبقوله هذا أجله محيط به يشير إلى المربع المستوي الزوايا وبقوله وهذا الذي هو

خارج أمله يشير إلى الخط المستطيل الخارج من المربع وبقوله وهذه الخطط الصغار يشير بها إلى ما خط تحت الخط المستطيل الذي هو الأمل، وهي الأعراض التي ينتفع بها الإنسان فهذا مثل ضربه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإنسان وأمله وأجله والآفات والأعراض الطارئة عليه فإنه إن سلم من هذا لم يسلم من ذاك، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو أهل بغته أجله أو وقع في الهرم ثم وافاه الموت وأجله المحتوم كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث آخر: (مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منية، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت) رواه الترمذي في الزهد وصححه. - منية - أي مهلكة وبلية. فالإنسان في حياته الطويلة لا يخلو من البلايا والمهالك وأسباب الموت، فإن نجا منها في حياته وذلك نادر وقع في الداء الذي لا دواء له وهو نهاية الكبر من الشيخوخة والهرم والضعف ثم يعقب ذلك الموت والمقصود أن المثالين السابقين في الحديثين فيهما إشارة إلى قصر الأمل وهو أن يكون الإنسان دائم النظر إلى قرب أجله، وأن لا يكون حريصا على طول الحياة والبقاء فيها والشغف بالأماني الباطلة فإن ذلك من موجبات الغفلة وأسباب الحسرات وأن لا يكون ممن يشملهم قول الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾.

ومع كون طول الأمل مذموما شرعا فالإنسان كلما تقدم به السن ازداد أملا وحبا للمال وحرصا على الحياة كما في الحديث التالي:

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال (يهرم ابن آدم ويشب معه إثنان: الحرص على العمر، والحرص على المال). رواه الشيخان. - يهرم - يكبر ويضعف. و- يشب - أي يقوى ويعظم. و- الحرص - الرغبة في الشيء.

ابن حزم يوجب حد القذف على من فضل أحدا على الشيخين

فضل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما على غيرهما من الصحابة هو قول جمهور أهل السنة أما التفضيل بين الإمام علي وعثمان رضي الله تعالى عنهما فالجمهور على تقديم عثمان وذهب كثير من السلف وغيرهم إلى تقديم الإمام علي.

وذهب كل الشيعة وبعض أهل السنة إلى تفضيل الإمام علي عليه السلام على جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وممن فضله من الصحابة على الشيخين وغيرهما كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب: سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبو سعيد، وزيد بن أرقم. انتهى.

وذكر غيره جماعة آخرين منهم بنو هاشم.

والمسألة اجتهادية ظنية وليست من القطعيات فلا ينبغي أن يكفر مخالف الجمهور أو يضلل أو يفسق.

وقد رأيت وقرأت في المحلى لابن حزم رحمه الله تعالى أنه جعل حد القذف على من فضل عمر على أبي بكر فأحرى غيره واستدل على ذلك بما ذكره عن أحمد بن عمر العذري بسنده عن ابن أبي ليلى أن الجارود بن العلاء قال: أبو بكر خير من عمر فقال رجل من ولد عطارد بن حاجب: عمر خير من أبي بكر فبلغ عمر فضرب بالدرة الحاجبي حتى شغر برجله وقال: قلت عمر خير من أبي بكر إن أبا بكر صحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان أخير الناس في كذا وكذا من قال غير ذلك وجب عليه حد المفتري(*).

قال: وبالسند المذكور إلى أبي الجهمي... عن إبراهيم قال سمعت علقمة ضرب بيده على منبر الكوفة قال سمعت عليا عليه السلام يقول: بلغني أن قوما

(*) هذا اجتهاد لهما رضي الله تعالى عنهما وهذا حكم شرعي يحتاج إلى نص من الشارع ولا يوجد فنحن في حل من هذا المذهب هذا إذا صح ذلك عنهما وأنّا له ذلك.

يفضلونني على أبي بكر وعمر من قال شيئا من هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري وبه عن أبي عبيدة بن حجل أن علي بن أبي طالب قال: لا أوتى برجل فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

ولا نعلم أن أحدا من الأئمة قال بحد من فضل أحد الشيخين مع اعترافه بفضلهما والترضي عليهما وإنما اختلفوا فيمن أبغضهما أو سبهما هل يكفر أو يفسق أو يجلد أو يحبس فهذا نعم فإن سبهما أو بغضهما ضلال وفسق أما تكفيرهما أو تضليلهما فلا ينبغي أن يختلف في تكفيره وقتله وهكذا يقال فيمن ضلل الصحابة أو كفرهم وقد ذكرت هذا مبسوطا في السنة والشيعة وفي فضائل الصحابة.

طريفة

ذكر ابن حزم في المحلى رحمه الله تعالى أن رجلا أتى الإمام عليا عليه السلام فقال له:

أن فلانا رأى في منامه أنه ينكح أمي.

فقال له الإمام علي عليه السلام:

إذا رأيته فحد ظله.

وهذا جواب طريف من الإمام علي موافق لشكاية ذلك المغفل.

نور الدين الملك العادل وبناؤه السور على القبر النبوي الشريف

نور الدين هو صاحب الشام الملك العادل نور الدين تقي الملوك ليث الإسلام أبو القاسم محمود بن الأتابَك التركي الأصل.

قال فيه الذهبي رحمه الله تعالى في سير أعلام النبلاء كان حامل رايتي العلم والجهاد قل أن ترى العيون مثله. واتفق مؤرخوه على أنه كان ملكا عادلا ورعا صالحا متعبدا صواما قواما له أوراد وأذكار شهما شجاعا انتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة كانوا أخذوها واستعمروها وهو الذي فتح مصر وقضى على الدولة الفاطمية الباطنية الرافضية قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: طالعت السير فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أحسن من سيرته ولا أكثر تحريا منه للعدل، وأقول ويشبهه في مغربنا الملك العظيم يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى والملك محمد بن عبد الله العلوي فإنهما كانا من صالحي الملوك.

ومن فضائل الملك العادل ومفاخره بناؤه حول القبر النبوي الشريف بناءا حصينا بالرصاص المذاب... وكان السبب في ذلك أن رجال الكنيسة بالأندلس زودوا شابين بالمال بعد أن علموهما اللغة العربية ثم بعثوهما إلى المدينة المنورة كزائرين ومجاورين وأمروهما بنقل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليهم فأتيا المدينة في صورة عابدين وأجرو بيتا قريبا من الروضة الشريفة وقاسا ما بينها وبين بيتهما فجعلا يحفران بالليل ويرميان التراب بالبقيع متظاهرين بأنهما يزوران البقيع كل ليلة وداما على ذلك سنين حتى دنوا من القبر الشريف بالحفر. فرأى الملك العادل وهو بمصر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام وهو يشير إلى رجلين ويقول له خذ عني هذين أو نحو ذلك فاستيقظ وهو فزع قد هالَتْه الرؤيا فعلم أن شيئا حادث بالمدينة المنورة فبعث في الحال إلى وزير صالح له فقص عليه الرؤيا فقال له إن هذه رؤيا حق، ولا بد أن يكون شيء حاصلا في المدينة المنورة

يتعلق بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأشار إليه أن يعد العدة ويتظاهر بأنه ذاهب لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأن يصحب معه مبلغا كبيرا من المال فامتثل ما أشار به إليه هذا الوزير ثم شد الرحلة صحبة ذلك الوزير ولما دخل المدينة وزارا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له الوزير نادي في أهل المدينة بأن يأتوك ليأخذوا صلتهم منك وأن لا يبقى أحد منهم لا غنيهم ولا فقيرهم ففعل ذلك وجعل الناس يفدون إليه إلى أن قالوا له لم يبق أحد من أهل المدينة إلا رجلين زاهدين من الأندلس مجاورين هنا منذ زمان لا يقبلان من أحد شيئا فقال علي بهما فجاء الرسول إلى بيتهما فلم يجد فيه إلا واحدا منهما فقال له أجب أمير المؤمنين لتأخذ صلتك منه فقال: أنا في غنا عن ذلك فلا حاجة لي في الصلة فأخبر الملك بذلك فقال إيتوني به ولو كرها فأتي به فلما رآه عرفه كما رآه مع صاحبه في الرؤيا أشقر أزرق العنين فأخذه واختلى به وأصلت سيفه وقال له: اصدقني وإلا ضربت عنقك من أي بلد أنت وما مقصودك فأخبره بالواقع وأخبره بأن صاحبه ذهب إلى البلاد فضرب عنقه وصدق الله عز وجل رؤياه ثم بنى جدارا حول القبور الشريفة بالرصاص المذاب وجعل عمقه عدة أمتار.

فرحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة وجزاه الله تعالى عن نبينا وحمايته خيرا عظيما وأجرا جزيلا.

العزلة والخلطة وأيهما أفضل

اختلف علمائنا رحمهم الله تعالى من لدن عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى يومنا هذا في العزلة والخلطة أيهما أولى وأفضل، فذهب فريق منهم إلى تفضيل العزلة والابتعاد عن الناس لما في ذلك من السلامة والاشتغال بالله تعالى واختار هذا أكثر الزهاد والنساك وبعض أهل العلم وذهب فريق آخر وهم أكثر العلماء والأئمة إلى تفضيل الخلطة والانحكاك بالناس لما في ذلك من المنافع الدينية والدنيوية.

وأظهر وأشهر ما استدل به الأولون الأحاديث التالية:

اولا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) رواه البخاري وغيره.

- يوشك - أي يقرب، - شعف الجبال - بفتح الشين والعين أي أعلاها، و- مواقع القطر - أي الموضع الذي ينزل به المطر وينبت فيه الكلأ والأشجار والأب.

ثانيا حديث أبي سعيد أيضا قال: قال رجل يا رسول الله أي الناس أفضل قال:

(مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) قال: ثم من؟ قال: (ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره) رواه البخاري ومسلم.

- الشعب - بكسر الشين وسكون العين أصله الطريق بين الجبلين.

ثالثا حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) رواه الترمذي بسند صحيح.

رابعا حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إذا رأيت الناس مرجت عهودهم، وخفت أمانتهم، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) قال فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند

ذلك جعلني الله فداك؟ فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع عنك أمر العامة) رواه أبو داود وغيره وسنده صحيح.

خامسا حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد في إبل له وغنم فأتاه ابنه عمر بن سعد فلما رآه قال: أعوذ بالله من هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبتِ أرضيت أن تكون أعرابيا في إبلك وغنمك والناس يتنازعون في الملك؟ قال: فضرب سعد صدر عمر بيده وقال: اسكت يا بني، فإني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي).

رواه مسلم وغيره هذا أظهر وأصح ما استدل به من مال إلى العزلة.

أما الذين اختاروا الخلطة فأظهر ما استدلوا به وأصحه الحديث التالي: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) رواه أحمد والترمذي وغيرهما بسند صحيح.

واستدلوا بعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعمل الخلفاء بعده كما استدلوا بحديث: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال...) رواه الشيخان وغيرهما وغير ذلك مما هو خارج عن الموضوع.

والحق الأبلج الذي لا ينبغي أن يختلف فيه هو أن الموضوع يختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان.

فقد تكون العزلة واجبة أو مستحبة على الأقل إذا ظهرت الفتن وكثر الشر وأهل الفساد وعلى هذا تحمل الأحاديث المتقدمة فإن في حديث أبي سعيد يفر بدينه من الفتن، وفي حديث ابن عمرو إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم أي اختلطت وفسدت واضطربت ولم يبق لهم عهود ولا حرمة ولا ذمام وخفت أماناتهم أي قلت فيهم الأمانة وأصبحوا يموج بعضهم في بعض فلا يعرف الأمين من الخائن، ولا البر من الفاجر ولذلك شبك بين أصابعه إشارة لاختلاط أمورهم.

فإذا رأى المسلم في الناس ما ذكر في الحديث فعندئذ يلزم بيته ويعتزل الناس ويحفظ عليه لسانه إلا من خير ويأخذ ما يعرفه من الشريعة وأن يشارك الناس فيها كالجماعات والجمعة واتباع الجنائز والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من

المعروف ويترك ما ينكره من أمر الناس ولا يتعرض لهم وعليه نفسه فليجاهدها في الله وليَسْعْ في تزكيتها وليترك شؤون العامة فلا يتدخل فيها. هذا ما يقتضيه هذا الحديث الشريف وإذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمر بلزوم البيت وخاصة النفس وترك أمر العامة لوجود فقد العهود والأمانات فماذا يكون الأمر فيم حل بالأمة اليوم من ارتكابهم جميع الجرائم، وكبائر الذنوب وعظائم الفواحش وتمالؤهم عليها، وتجاهرهم بها مع الإصرار والفرح والمرح يضاف إلى ذلك كثرة الفتن بجميع أنواعها فلا يشك مسلم شحيح بدينه في وجوب عزلة هذا المجتمع الموبوء الحالي حفاظا على عقيدته وسلوكه وطلبا للسلامة من دخوله مع الجمهور في تلك المعاصي أو على الأقل مشاهدتها.

نعم ومع هذا فلا بد وأن يكون هناك من يقوم بالدعوة إلى الله ولو مع عموم الفساد لأن ذلك من فروض الكفاية فيخالط الناس على ما هم عليه ويدعوهم إلى دين الله ويستغفر الله عز وجل بيد أنه يحتاج من يقوم بذلك إلى متانة الدين والاستقامة ومراقبة الله تعالى والإكثار من تلاوة كتابه وذكره عز وجل.

فيكون بمثابة ما كان عليه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أوائل الدعوة فإن الناس كانوا في جاهلية جهلاء مثل جاهليتنا أو أكثر وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يغشى مجامعهم ومواسمهم وأسواقهم على ما فيها فيدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمن كان على قدمه فلا يضره ذلك وإلا كان على شفا جرف هار فالنجاة والسلامة في لزوم البيت لمن أمكنه ذلك لحديث عقبة المذكور حيث سأل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن النجاة فأرشده إلى ملك اللسان ولزوم البيت والبكاء على خطيئته...

أما ما استدل به من اختار المخالطة بحديث: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم) الخ.

فهذا لا نزاع في أفضليته ولكن مع السلامة في الدين وكيف يسلم من يخالط مجتمعا قد بلغ النهاية في الفساد فلا بد وأن يصيبه ما أصابهم، ويشمله ما شملهم.

وعلى أي فالأمر واضح وكل امرئ أمير نفسه يفعل بها ما يشاء وإفادة للقارئ وتذكرة لي وله سأورد ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في

إحياء علوم الدين في شأن العزلة والخلطة فإنه ذكر لكل من الأمرين فوائدهما وغوائلهما فكان كل من تكلم بعده عن الموضوع عِيّالا عليه فليصبر معنا القارئ على طول كلامه مع اختصار منه.

قال رحمه الله تعالى في الكتاب السادس من **ربع العادات**: **الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها**:

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده، فكذلك القول فيما نحن فيه، فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية، والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة، والمواضبة على العبادة والفكر، وتربية العلم، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء، وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محظورات يتعرض لها بالمخالطة، كالنظر إلى زهرة الدنيا، وإقبال الخلق عليها، وطمعه في الناس، وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة، والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائيه، أو سوء ظنه، أو نميمته، أو محاسدته، أو التأذي بثقله، وتشويه خلقته، وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد:

الفائدة الاولى: التفرغ للعبادة والفكر، والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا وأمر الآخرة، وملكوت السماوات والأرض، فإن ذلك يستدعي فراغا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إليه، ولهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله، ولقوا الله بذكر الله، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر، فالعزلة أولى بهم ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء

وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة (*) فكان الخلق لا يحجبونه عن الله تعالى فكان ببدنه مع الخلق، وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله فأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن استغراق همه بالله تعالى فقال: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله) (*) ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا، والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك، ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة، والناس يظنون أني أكلمهم، وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله تعالى استغراقا، لا يبقى لغيره فيه متسع، وذلك غير منكر، ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه، فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم، لشدة استغراقه، وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء، فلا يستحيل ذلك فيه، ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء: ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة؟ فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة، ويذوقوا حلاوة المعرفة، وقيل لبعض الرهبان: ما أصبرك على الوحدة فقال: ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى في بلاد الشام فقلت له: يا إبراهيم تركت خراسان فقال: ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن يراني يقول موسوس، أو حمال، أو ملاح. وقيل لغزوان الرقاشي: هَبْكَ لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ قال: إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي. وقيل للحسن: يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له: يا عبد الله أراك قد حببت

(*) رواه الشيخان عن عائشة... فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الخ

(*) رواه مسلم من حديث ابن مسعود

إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال: أمر شغلني عن الناس قال: فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن: وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة، والاستغفار من الذنب فقال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل: بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لأنس بك فقال أويس: ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره. وقال الفضيل بن عياض إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت: أخلوا بربي، وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس، وأن يجيء من يشغلني عن ربي.

وقال عبد الله بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة. وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه. وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه، وضيع عمره. وقال ابن المبارك: ما أحسن من انقطع إلى الله تعالى. ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابر خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك؟ فقال: يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري وسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله تعالى عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد، فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني، فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين، ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال: إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري، ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة، وحلاوة الانقطاع إليه، ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان، وعن الحور الحسان، وجمع همه في ذكره، فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس، قدوس، فإذا في الخلوة أنس بذكر الله تعالى واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل:

وإنـي لأستغـشي ومـا بـي غـشوة لعـل خـيالا مـنك يلقـى خيالـيا
وأخـرج مـن بـين الجلـوس لعلنـي أحـدث عـنك الـنفس بالـسر خالـيا

ولذلك قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم، وإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة، وليستخرج العلم والحكمة، وقد قيل: الإستأناس بالناس من علامات الإفلاس. فإذا هذه فائدة جزيلة، ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله تعالى فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة، **فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله تعالى عارفا بالله** ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر، ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة.

الفائدة الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة: الغيبة، والنميمة، والرياء، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا.

أما **الغيبة** فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون، فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكر بها والتنفل بحلاوتها، وهي طعمتهم ولذتهم، وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة، فإن خالطتهم ووافقت أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى، وإن سكت كنت شريكا، والمستمع أحد المغتابين، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذاك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبتهم، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم.

وأما **الامر بالمعروف والنهي عن المنكر** فهو من أصول الدين، وهو واجب كما يأتي بيانه في آخر هذا الربع، ومن خالط الناس فلا يخلو من مشاهدة المنكرات، فإن سكت عصى الله تعالى به، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر، إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما نهى عنه ابتداءا وفي العزلة

خلاص من هذا، فإن الأمر في إهماله شديد، والقيام به شاق، وقد قام أبو بكر رضي الله تعالى عنه خطيبا وقال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: (إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب) رواه أهل السنن وصححه الترمذي وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذ رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره. فإذا لقن الله لعبد حجته قال: يا رب رجوتك وخفت الناس) رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري وجوده العراقي وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق، ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر، وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة الخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة — وقد يستفيد البغضة المُتَنَصِّحُ

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا، فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه به عامة لاستقام، وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك.

وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فيه، وهلك كما هلكوا، وأقل ما يلزم فيه النفاق، فإنك إن خالطت متعاديين، ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (تجدون من شر الناس ذا الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) متفق عليه عن أبي هريرة. وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن من شر الناس ذا الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) رواه مسلم وهو الذي قبله.

وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه، ولا يخلو ذلك من كذب إما في الأصل وإما في الزيادة، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال

بقولك: كيف أنت وكيف أهلك؟ وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه، وهذا نفاق محض، قال سري: لو دخل علي أخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت أن أكتب في جريدة المنافقين. وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة يا أبا علي فقال: هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك، وتكذب لي وأكذب لك، إما تقوم عني أو أقوم عنك. وقال بعض العلماء: ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشْعَرَ به. ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب عليه وقال: لِمَ لَمْ تخاطبني بأمير المؤمنين؟ فقال: لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا.

فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين، فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم: كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك؟ وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم لحامد اللفاف: كيف أنت في نفسك؟ قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال: يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة. وكان إذا قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني.

وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا. وكان أبو الدرداء إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النار. وكان سفيان الثوري إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت أشكر ذا إلى ذا، وأذم ذا إلى ذا، وأفر من ذا إلى ذا. وقيل لأويس القَرَني: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح رجل إذ أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي. وقيل لمالك بن دينار: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد. وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي. وقيل لحكيم: كيف أصبحت؟ قال أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس.

والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق، وكل ذلك مذموم بعضه محظور، وبعضه مكروه، وفي العزلة الخلاص من ذلك فإن من لقى الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه، ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم.

وأما **مسارقة الطبع** مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين، فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له، وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب، فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله تعالى عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده، و تؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعم، وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة هذا تأثيره بالطبع. فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار، وإلى عبادته بعين الاستحقار، وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء، ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته ولذلك كانت تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين وتنزل اللعنة عند ذكر الفاسقين، وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم.

ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند

قوم، وحز الرقبة عند قوم، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه، ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب.

ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير، وخاتما من ذهب، أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها، وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس، ولا يستبعد منه ذلك، **والغيبية اشد من الزنا** فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب، وهون على النفس أمرها. فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأسد، لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة، ويهون عليك المعصية، ويضعف رغبتك في الطاعة، فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته، وسيرته فالزمه ولا تفارقه، واغتنمه ولا تستحقره، فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن، وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة، وأن الوحدة خير من الجليس السوء، ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة، أو التقرب إليه بالخلطة، وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة أو على الخلطة بأن إحداهما أولى إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلق من القول محض، ولا حق في المفصل إلا التفصيل.

الفائدة الثالثة: الخلاص من الفتن، والخصومات، وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها، وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها ثم ذكر بعض ما قدمنا من الأحاديث وذكر اعتزال بعض الصحابة الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية ثم ذكر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه لما بلغه أن الحسين رضي الله تعالى عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه فقال له: أين تريد؟ فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال: هذه كتبهم وبيعتهم فقال: لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال: إني أحدثك حديثا إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا، وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى، وقال: أستودعك الله من قتيل أو أسير - الطبراني

في الأوسط باختصار والبزار بنحوه وسندهما حسن - قال: وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا قال: وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال: فساد الزمان وحيف الأئمة - أي ظلمهم - ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له: لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية، والفاحشة في فجاجكم عالية، وفيما هناك عما أنتم فيه عافية. فإذن الحذر من الخصومات، ومثار الفتن، إحدى فوائد العزلة.

الفائدة الرابعة: الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة، ومرة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها، وتارة بالنميمة أو الكذب، فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال: ما هما؟ قال:

اخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم أنه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة ورائه. فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم، وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عِدَاتِهِ فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار، وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة، ولسنا نطول بتفصلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها، وفي العزلة خلاص من جميعها، وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة وعن أبي الدرداء مرفوعا: " اخْبُرْ تَقْلُهُ " - أبو يعلى والعسكري والطبراني في

الكبير بسند ضعيف - ومعناه: جرب الناس فإنك إذا جربتهم واختبرت أحوالهم قليتهم وأبغضتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سراريهم وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: في العزلة راحة من القرين السوء وقيل لعبد الله بن الزبير: ألا تأتي المدينة؟ فقال: ما بقى فيها إلا حاسد نعمة، أو فرح بنقمة، وقال ابن السماك: كتب صاحب لنا: أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد، وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال، إن سمع مني لم ينم علي، وإن تفلت في وجهه احتمل مني، وإن عربدت عليه لم يغضب. وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال: لم أر أسمى من الوحدة، ولا أوعظ من قبر، ولا جليسا أنفع من دفتر وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: أردت الحج فسمع ثابت البُناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله تعالى فقال: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك فقال له الحسن: ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات. وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات، الأولى في الدين والدنيا سترها، ولا تبقى السلامة مع انكشافها.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه كان الناس وَرَقاً لا شوك فيه، فالناس اليوم شوك لا ورق فيه.

وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول - والصحابة متوافرون والخير ظاهر - فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر. وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال لي سفيان الثوري رحمه الله تعالى في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته: **اقلل من معرفة الناس** فإن التخلص منهم شديد، ولا أحسب أني

رأيت ما أكره إلا ممن عرفت. وقال بعضهم: جئت إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال: دعه يا هذا، هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء. وقيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء. وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدْبَروه، ولا ظهر جواد إلا عَقَروه، ولا قلب مؤمن إلا خربوه. وقال بعضهم: أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك، وأخف لسقوط الحقوق عنك، لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق، وعسر القيام بالجميع. وقال بعضهم: **أنكرْ من تعرف، ولا تتعرف إلى من لا تعرف.**

الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك، وينقطع طمعك عن الناس، فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد، فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى، ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة، وعيادة المريض، وحضور الولائم، والأملاكات، وفيها تضييع الأوقات، وتعرض للآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير، ولا يمكن إظهار كل الأعذار، فيقولون له: قمت بحق فلان وقصرت في حقنا، ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل: من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره، ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم، ولو خصص استوحشوا وتعميمهم لجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار، فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا. وقال ابن الرومي:

عدوك من صديقك مستفاد   فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام والشراب

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك، ومهما اعتزل لم يشاهد، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم

يطمع. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) - رواه مسلم عن أبي هريرة - وقال عون عن عبد الله: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي، ودابة أفره من دابتي، فجالست الفقراء فاسترحت وحكي أن المزني رحمه الله تعالى خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رآى من حسن حاله، وحسن هيئته فتلا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ ثم قال: بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا. فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصَّبِرْ، أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له، وأما في الآخرة فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه...

الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم، فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر قيل للأعمش: مم عمشت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء، ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقال: في الخبر: إن من سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما - رواه البخاري بنحوه عن أنس في حديث قدسي - فما الذي عوضك فقال: في معرض المطايبة: عوضني الله منهما أنه كفاني رؤية الثقلاء... وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى: سمعت رجلا يقول: نظرت إلى ثقيل مرة فغشي علي. وقال جالينوس: لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر. وهذه الفوائد ما سوى الأوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة، ولكنها أيضا تتعلق بالدين، فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل، لم يأمن أن يغتابه، وأن يستنكر ما هو صنع إليه فإذا تأذى من غيره بغيبة، أو سوء ظن، أو محاسدة، أو نميمة

أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته، وكل ذلك يجر إلى فساد الدين، وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فلينفهم...

آفات العزلة:

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة، فانظر فوائد الخلطة والدواعي إليها وهي: التعليم، والتعلم، والنفع، والانتفاع، والتأديب، والتأدب، والاستئناس، والإيناس، ونيل الثواب، وإنالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع، واستفادة التجارب، من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فإنها من فوائد الخلطة:

الفائدة الاولى: التعليم، والتعلم، وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا، ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة، إلا أن العلوم كثيرة، وعن بعضها مندوحة، وبعضها ضروري في الدنيا، فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة، وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم، ورآى الإشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل، فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران، ولهذا قال النخعي وغيره: تفقه ثم اعتزل، ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها، ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور، يخيب سعيه ويبطل عمله، بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها، وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها، فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد، فالعلم هو أصل الدين، فلا خير في عزلة العوام والجهال أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة، ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها، فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه، فلا تليق العزلة إلا بالعالم.

وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم، ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم. **وحكم العالم في هذا الزمان** – في القرن الخامس – **أن يعتزل**

إن أراد سلامة دينه فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ، أو الجدل معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران، ويتقرب به إلى السلطان، ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة، وأقرب علم مرغوب فيه للمذهب - يعني فقه المذهب - ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات، واجتلاب الأموال - والآن الحصول على الشهادات للتوصل بها إلى الوظائف... - فهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم للاعتزال عنهم، فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله تعالى فأكبر الكبائر الاعتزال عنه، وكتمان العلم منه، وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو إثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان رحمه الله تعالى: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله تعالى وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم، واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها... وليس الخبر كالمعاينة.

واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث، وتفسير القرآن، ومعرفة سير الأنبياء، والصحابة، فإن فيها التخويف والتحذير، وهو سبب لإثارة الخوف من الله تعالى فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل قال: فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون قال فهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم، والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن، ولذلك قيل: اعتزال العامة مروءة تامة..

الفائدة الثانية: النفع والانتفاع أما **الانتفاع** بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة، والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه، فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة، فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق بمعرفة الله تعالى ومعرفة علوم الشرع، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله تعالى أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن

كشف وبصيرة، لا عن أوهام وخيالات فاسدة. **اما النفع** فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب، وذلك لا ينال إلا بالمخالطة، ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة.

الفائدة الثالثة: التأديب، والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمل آذاهم كسرا للنفس، وقهرا للشهوات، وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة، وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه، ولم تذعن لحدود الشرع شهواته، ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس، واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه، وكان هذا هو المبدأ في الأعصار الخالية، والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال، والاستظهار بكثرة الأتباع، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر، وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة، وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن للمقصود بالرياضة هو كسر شهوات النفس ليسلك طريق الآخرة وقد زكى نفسه وهذبها ومن فهم هذا واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل للإنسان المخالطة أولا والعزلة آخرا.

وأما التاديب فإنما نعني به أن يروض غيره، وهو حال شيخ الصوفية معهم فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم، وحاله حال المعلم، وحكمه حكمه، ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم، إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم، ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلب العلم كثرة، فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم، وليقابل أحدهما بالآخر، وليؤثر الأفضل، وذلك يدرك

بدقيق الاجتهاد، ويختلف بالأحوال والأشخاص، فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات.

الفائدة الرابعة: الاستئناس والإيناس وهو غرض من يحضر الولائم، والدعوات، ومواضع المعاشرة والأنس، وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال، وقد يكون ذلك على وجه حرام، بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته، أو على وجه مباح، وقد يستحب ذلك لأمر الدين، وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى، وقد يتعلق بحظ النفس، ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عميت، ومهما كان في الوحدة وحشة، وفي المجالسة أنس يروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن الله لا يمل حتى تملوا) - رواه البخاري ومسلم - وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح، وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة، فلا يستغني المعتزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة، فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (المرأ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) - رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم - .

وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين، وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق، والاهتداء إلى الرشد، ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس، وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه، فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة، والراضي عن نفسه مغرور قطعا، فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب، وأحوال الجليس أولا ثم لِيجالِسْ.

الفائدة الخامسة: في فضل الثواب وإنالته أما النيل فبحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وحضور العيدين، وأما حضور الجمعة فلا بد منه، وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الأملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم.

واما انالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزروه في المصائب، أو يُهَنُّوه على النعم، فإنهم ينالون بذلك ثوابا، وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه، فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطة بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة، وقد ترجح المخالطة. فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات، وعيادة المرضى، وحضور الجنائز، بل كانوا أحلاس بيوتهم، لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل.

الفائدة السادسة: من المخالطة التواضع فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة، وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة، فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر، ومانعه عن المحافل أن لا يوقر، أو لا يقدم، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله، وأبقى لطراوة ذكره بين الناس، وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا، ولا يحبون أن يزوروا، ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم، وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال: وهل جئتني إلا لأتزين لك وتتزين لي، وعن حاتم الأصم رحمه الله تعالى أنه قال للأمير الذي زاره: حاجتي أن لا أراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله عز وجل فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام، والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو مستكبر بعلمه أو دينه إذ كان علي رضي الله تعالى عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه

يقول: وهو والي المدينة والحطب على رأسه طرقوا لأميركم. وكان سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني أحمله فيقول:

(صاحب الشيء أحق بحمله) - رواه أبو يعلى عن أبي هريرة بسند ضعيف - وكان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون هلم إلى الغذاء يا ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول: إن الله لا يحب المستكبرين.

الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وأن ضرره ونفعه بيد الله تعالى ولا نافع ولا ضار سواه، وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، بل رضا الناس غاية لا تنال، فرضا الله أولى بالطلب. ولذلك قال الشافعي رحمه الله تعالى ليونس بن عبد الأعلى: والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله. وقال أيضا: ليس من أحد إلا وله محب ومبغض، فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله تعالى. وقيل للحسن: يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل: هون على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس، لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم. وقال موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم: يا رب احبس عني ألسنة الناس فقال: يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفعله بك وأوحى الله عز وجل إلى عزير إن لم تطب نفسا بأني أجعلك علكا في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين. فإذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو عناء حاضر في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فإذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما، بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته، وكثرت آفاته، ولتشوشت عليه عباداته، فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقى فإنها مهلكات في صور منجيات.

الفائدة السابعة: التجارب فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارب أحوالهم، والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا، وإنما تفيدها التجربة والممارسة، ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب، فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم، ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال، ولا يحتاج إلى المخالطة. ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه، وذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإن كل مجرب في الخلاء يسر، وكل عقوب، أو حقود، أو حسود، إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه، وهذه الصفات مهلكات في أنفسها، يجب إماطتها وقهرها، ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها، فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دُمَّلٍ ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته، ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدُّمَلِ في نفسه واعتقد فقده، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد، وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال، فكذلك القلب المشحون بالحقد، والبخل، والحسد، والغضب، وسائر الأخلاق الذميمة، إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك. وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا سعى في إماطته، حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس، أو حزمة حطب على رأسه، ويتردد في الأسواق ليجرب نفسه بذلك، فإن غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يتفطن لها، ولذلك حكي عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة، مع أني كنت أصليها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلا من نظر الناس إلي وقد سبقت إلى الصف الأول، فعلمت أن جميع صلواتي التي كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلي ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث وإظهارها، ولذلك قيل: السفر يسفر عن الأخلاق، فإنه نوع من المخالطة الدائمة وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير، وبالعلم بها يزكوا العمل

القليل، ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل، إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا للصلاة أفضل من الصلاة فإنا نعلم أن ما يراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي) - رواه الترمذي عن أبي أمامة وحسنه وصححه.

فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه: أحدها ما ذكرناه. والثاني عموم النفع لتعدي فائدته، والعمل لا تتعدى فائدته. والثالث أن يراد به العلم باللهو صفاته وأفعاله. فذلك أفضل من كل عمل، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته. فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين، والعمل كالشرط له فلنرجع إلى المقصود فنقول: إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مخالطته، وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل. وكلام الشافعي رحمه الله تعالى هو فصل الخطاب إذ قال: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال، وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل، هذا هو الحق الصُرَاح، وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل واحد عن حاله خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال...

فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة. **فان قلت**: فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه في العزلة؟ **فنقول**: إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة. وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته **كف شر نفسه عن الناس اولا** ثم طلب **السلامة** من شر الأشرار ثانيا. **ثم الخلاص** من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا. **ثم التجرد** بكنه الهمة لعبادة الله تعالى رابعا.

فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل، والذكر والفكر لِيَجْتَنِيَ ثمرة العزلة، وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته، وليكف السؤال عن أخبارهم، وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد، وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس في القلب... وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله تعالى والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها. وليقنع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم، وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة، فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة، وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفا عن سيره إلى طريق الآخرة، فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب، وإما بالفكر في جلال الله تعالى وصفاته وأفعاله وملكوت سماواته وأرضه، وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفدسات القلوب، وطلب طرق التحصن منها، وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر، وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا، بل يصبح على أنه لا يمسي، ويمسي على أنه لا يصبح، فيسهل عليه صبر يوم، ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل، وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة، وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله تعالى ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت، وأن من أنس بذكر الله تعالى ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر (فالمجاهد من جاهد نفسه) - رواه الحاكم عن فضالة بن عبيد وصححه - .

كما صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

والجهاد الأكبر جهاد النفس كما روي في حديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس) - رواه الخطيب في تاريخ بغداد بسند ضعيف وحسنه بعض المحدثين - .

فهذه نهاية ما ذكره أبو حامد رحمه الله تعالى في العزلة والخلطة وفوائدها وغوائلها وشروطها فليختر امرؤ ما بدا له منها ما سلم له دينه والله الموفق الهادي...

العقوبات والتأديبات في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وزوجه وحزبه:

إن دين الإسلام دين متكامل صالح لكل زمان وجيل ومكان... وهو دين الرحمة، والعدالة، والإحسان، والمساواة.

يأمر بعبادة الله تعالى وحده، وبالصلاة، والصدقة والصدق والصلة والعفاف، و أداء الأمانة، والوفاء بالعهد، ويحض على فعل المعروف ومكارم الأخلاق، وينهى عن الشرك بجميع مظاهره وأنواعه وعن الفساد والفحشاء، والمنكر والظلم والبغي، والاستبداد، والعلو في الأرض على عباد الله، والكذب، والخيانة، وخلف الوعد...

وأخبر الله عز وجل في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن من عصاه عز وجل بترك ما أمر به، أو انتهاك ما نهى عنه أنه تعالى سيعاقبه عقابين عقابا في الآخرة، بداية من القبر، فالبرزخ فموقف القيامة، فجهنم، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وعقابا في الدنيا إما بالبلايا، والمحن، والكوارث، وإما بالحدود وما يتبعها من التأديبات.

والحدود التي جعلها الشارع عقوبات للمعاصي والمخالفات هي بين المتفق عليه والمختلف فيه نحو سبع عشرة وهي: حد الردة، والحرابة، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وقتل النفس، والزنا، والقذف به، واللواط، وشرب الخمر، والسرقة، وجحد العارية، وإتيان البهيمة، والسحر إلى آخرها وهي مذكورة في بداية الوصول.

والحدود التي نفذها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأقامها في حياته هي الحرابة، والردة، وحد الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والقذف، ... وممن عرف من الصحابة وغيرهم الذين أقيمت الحدود عليهم: النفر العكليون الذين قتلوا الراعي وكفروا الخ وماعز الأسلمي، والغامدية، والرجل الذي اغتصب المرأة الغادية للمسجد، والعسيف، والمرأة التي اعترفت لأنيس، وأمة لرسول الله صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم، والرجل الذي وقع على امرأة أبيه، والرجل الأنصاري المريض الذي فسق بجارية، وحسان بن ثابت، ومِسْطَحُ بن أُثاثة، وحمنة بنت جحش ثلاثتهم حدوا حد القذف لقذفهم عائشة رضي الله تعالى عنها، والرجل الذي اعترف بامرأة فأنكرت فحد وأعفيت المرأة، والسارق الذي سرق لصفوان خميصته، والمرأة المخزومية، والرجل الذي اعترف بالسرقة فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما أخالك، والرجل الذي قطعه مرات، فقتله في الخامسة، ونعيمان أو ابن نعيمان، والرجل في شرب الخمر، والرجل والمرأة اليهوديان(*) وهذا العدد في ذلك المجتمع الذي كان قريب العهد بالجاهلية على امتداد عشر سنين منذ الهجرة إلى انتقاله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو قليل جدا وهو إن دل على شيء فإنما يدل على أن لإقامة الحدود دورا عظيما في استقرار الأمن، وصلاح المجتمعات، وتطهيرها من قاذورات المعاصي والفواحش وانتشارها.

ولذلك نرى الدول التي تحكم الشريعة الإسلامية في الجملة كالسعودية مثلا لا ترى فيها الفاحشة ولا شرب الخمر ولا السرقة ولا الإلحاد ولا القتل العمد... ولا غيرها ظاهرة منتشرة وما ذلك إلا لبركة إقامة الحدود. وهذا بخلاف باقي دول العالم فإن جميع ما خلق الله من الفواحش والقاذورات.. منتشرة فيها ظاهرة تحميها مقراطيتهم، وتؤيدوها سلطاتهم، وتدعو إليها وسائل إعلاميتهم، ولذلك ضرب الله تعالى هذا العالم الموبوء بالفتن والمشاكل وأنواع الكوارث والحروب والأمراض المختلفة المعضلة التي لم تكن في أسلافنا عقابا لهم ولعذاب الآخرة أخزى.

وهنالك عقوبات شرعية ليس لها حد خاص بل أمرها موكول إلى الحاكم الإسلامي واجتهاده وهي المعبر عنها بالتعزيرات والتأديبات إما بالضرب بأقل من عشرة أسواط، وإما بالحبس، وإما بغرامة مالية ويكون ذلك بالإخلال بالآداب العامة، أو اعتداء على شخص بالسب والشتم مثلا، أو غش، أو تزوير، أو احتيال، أو انتهاك حرمة امرأة الغير بتقبيل، أو جس... من غير فعل فاحشة، وغير ذلك مما لا حد له في الشرع فعقوبة أمثال ذلك موكولة للحاكم الشرعي.

(*) وانظر تفصيل هذه الحدود وأصحابها في كتابي بداية الوصول من كتاب الحدود.

من أحكام الردة

بمناسبة ذكر الردة سابقا رأيت من المفيد أن نبين معناها وأنواعها وحكمها فإن كثيرا من أهل العلم لا يعرفون تفاصيلها فضلا عن عامة القراء.

فالردة هي الخروج من دين الإسلام وذلك يكون بالاعتقاد، وبالقول، والفعل. والأنواع التي يرتد بها الإنسان ويبطل بها إسلامه كثيرة منها ما هو متفق عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه فمن المتفق عليه إنكار ما هو معلوم من الدين ضرورة كإنكار وجود الله تعالى أو اعتقاد شريك معه، أو وصفه بما لا يليق به من صفات خلقه أو إنكار نبوة رسولنا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو وصفه بما ليس فيه أو سبه، أو إلحاق نقص فيه، أو في نسبه، أو دينه، أو عرضه كنفي أولاده عنه، أو تشبيهه بشيء على طريق الإزراء.

ومنها إنكار القرآن، أو شيء منه ولو كلمة أو حرفا، أو تحريم ما أحل الله كاللحم مثلا، أو الخبز أو الماء أو الزواج.. أو إحلال حرام كالقتل والزنا، والقمار، وشرب الخمر، والتعامل بالربا، والحكم بغير ما أنزل الله أو الاستهزاء بالدين، أو بشعيرة من شعائره أو إلقاء مصحف أو بعضه أو اسم من أسماء الله في قاذورة أو مزبلة... أو قيل أن دين الإسلام ناقص، أو لا يصلح أن يكون اليوم نظاما للحكم، أو يجب فصل الدين عن الدولة، أو يجب إبعاد الدين عن الساحة إذا أردنا التقدم واللحاق بركب أوربا، أو قيل قول يفضي إلى تضليل الأمة كلها، أو تكفير جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى غير ذلك مما هو مذكور عند العلماء في كتب الردة، ...و سنشير لاحقا إلى مصادر ذلك.

ومن المختلف فيه أقوال أهل الأهواء والبدع من المتأولة كالخوارج، والروافض، والمعتزلة، والمعطلة... وغيرهم فمن الأئمة من كفرهم ومنهم من فسقهم، وكذا اختلفوا فيمن تشبه بالكفار وتزيأ بأزيائهم حتى لا يفرق بينه وبينهم كما اختلفوا فيمن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى من قوانين البشر من غير إنكار وجحود لأحكام الله تعالى أما من أنكر ذلك فلا خلاف في كفره.

وهناك أشياء كثيرة ذكرت في أنواع الردة فلتنظر في مظانها كالمغني لابن قدامة، وشرح المهذب، ومواهب الجليل بشرح مختصر خليل، والشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، والذخيرة للقرافي، وفتح القدير، والدر المختار، ومغني المحتاج، والمحلى لابن حزم، كلهم في الحدود أو الردة ومن أهم المراجع في ذلك آخر الفصول من الشفا للقاضي عياض، والصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإمام أحمد بن تيمية وهو أوسعها وأوعاها.

الإخوة السبعة العلماء الأشراف

الغماريون

من البيوتات المشهورة عندنا بالمغرب المحترمة بيت الأشراف التجكانيين الغماريين ينحدر نسبهم من سيدي داود بن مولانا إدريس دفين فاس بن مولانا إدريس دفين زرهون فاتح المغرب بن سيدي عبد الله الكامل بن سيدي الحسن المثنى بن سيدي الحسن السبط بن مولانا علي ومولاتنا فاطمة بنت سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم.

سكن أسلافهم بالأندلس برهة من الزمان ثم هاجر بعضهم إلى المغرب في القرن الخامس ونزل ببني يزناسن بنواحي تلمسان وفي وسط القرن العاشر هاجر القبيلة جدهم سيدي عبد المومن الثاني فنزل بقرية تجكان من قبيلة بني منصور الغمارية وتزوج بها واستوطنها ومنه تناسل الأشراف التجكانيون الموجودون حاليا بالقرية وبتطوان وطنجة، وفاس، وسلا والرباط، وبني زروال وغير ذلك.

وهؤلاء الأشراف يمتازون بقوة الذاكرة، وشدة الحفظ ولذلك تخرج منهم نوابغ فيهم دكاترة، وأساتذة وأئمة وخطباء ودعاة إلى الله تعالى وحفظة القرآن.

وكان أول من سكن طنجة وعرف بها الشيخ الإمام شيخ الإسلام علم الأعلام ولي الله والدال على الله أبو عبد الله سيدي محمد بن الصديق بن سيدي الحاج أحمد بن سيدي عبد المومن رضي الله تعالى عنهم المولود بتجكان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف الذي حفظ القرآن بالروايات وقرأ مبادئ العلوم بالقرية على بعض أقاربه ثم التحق بمعهد القرويين بفاس حيث تضلع به من جميع العلوم المنقول منها والمعقول وخاصة التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف حتى كان آية من آيات الله كما تجد ذلك مفصلا في ترجمته لنجله السيد أحمد المسماة: "بالتصور والتصديق بأخبار سيدي محمد بن الصديق" ثم لما فرغ من الطلب قصد طنجة بأمر من شيخه سيدي مْحَمَّدْ بن إبراهيم فنزلها وتزوج بنت خاله سيدي عبد الحفيظ حفيد ابن عجيبة المفسر المشهور وابتدأ حياته العلمية بهذه

المدينة في العقد الثاني من القرن الرابع عشر بالتدريس مع الطلبة الحديث والفقه والسيرة والعلوم العربية مع الخطابة والدعوة إلى الله تعالى فاشتهر وطار صيته وعرف بالزهد والورع ومراقبة الله تعالى فقصده الناس وأخذوا عنه وانتفعوا به.

ثم جاءت الكرامة والنادرة التاريخية وهو إنجاب عدة أولاد ذكورا وإناثا كان من بينهم سبعة ذكور علماء حفظة للقرآن خمسة أشقاء أربعة منهم محدثون، ولا نعلم في تاريخ الإسلام مثل هذا على هذا الوصف وهؤلاء العلماء السبعة هم كالآتي حسب مواليدهم:

السيد أحمد وهو أكبرهم وأعلمهم. ثم السيد عبد الله، ثم السيد محمد الزمزمي، ثم السيد عبد الحي، ثم السيد عبد العزيز، وهؤلاء أشقاء من والدهم ووالدتهم السيدة الزهراء العجيبية. ثم السيد الحسن ووالدته جاءت بعد موت والدة الأشقاء ثم السيد إبراهيم ووالدته كانت الزوجة الثالثة وهذا أصغرهم وتوفي مؤخرا وعمره يناهز السبعين سنة.

السيد أحمد:

هو أبو الفيض شهاب الدين السيد أحمد بن السيد محمد بن الصديق الحسني الغماري ثم الطنجي العلامة الإمام الحافظ الفقيه المجتهد المطلع المتقن المتبحر ولد في رمضان عام عشرين وثلاثمائة وألف وحفظ القرآن مبكرا وقرأ مبادئ العلوم على والده وعلى بعض أصحابه وحفظ كثيرا من المتون ثم التحق بالأزهر فقرأ به على كبار علماء وقته وجد واجتهد وحصل ما يحتاجه من العلوم في مدة وجيزة ثم أقبل على علم الحديث حتى أصبح فيه من نوادر الزمان وكان رحمه الله تعالى قوي الحافظة شديد الاستحضار واسع الاطلاع من أذكياء العالم وهو مع ذلك كان ذا أخلاق كريمة شجاعا سخيا زاهدا في الحياة لم يتطلع يوما ما لوظيفة شديدا على الكفار والملاحدة والعلمانيين.

من أشهر شيوخه والده، والسيد محمد بن جعفر الكتاني، والسيد أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ محمد بخيت المطيعي المصري عالم الديار المصرية، ومن أشهر تآليفه الهداية بتخريج أحاديث بداية ابن رشد طبع في سبع مجلدات، والمداوي لعلل المناوي طبع في ست مجلدات، ومسالك الدلالة باستخراج أدلة الرسالة مجلد ضخم، وجؤنة العطار في ثلاث مجلدات مشحون بالفوائد والمعارف

وله رسائل وأجزاء كثيرة أكثرها مطبوع وله ثلاثة كتب لم يؤلف مثلها في الحديث التطبيقي وهي فتح المَلِكِ العلي، ودرء الضعف، وإبراز الوهم المكنون وكلها مطبوعة.

توفي رحمه الله تعالى غريبا شهيدا بالقاهرة عام ثمانين وثلاثمائة وألف رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة.

السيد عبد الله:

هو أبو الفضل العلامة الفقيه النحوي المحدث الأصولي المحقق السيد عبد الله بن سيدي محمد بن الصديق ولد بطنجة عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف وحفظ القرآن الكريم وتلقى الدروس الأولية على شقيقه السيد أحمد وعلى خاله السيد أحمد بن عبد الحفيظ ثم شد الرحلة إلى فاس فقرأ على كبار علماء القرويين العربية والفقه المالكي والأصول والتفسير والحديث. ثم رجع وقرأ على والده عدة كتب ثم شد الرحلة إلى القاهرة صحبة أخيه الزمزمي فالتحق بالأزهر فقرأ مذهب الشافعي كأخيه السابق وتضلع من الأصول والتفسير والحديث وتقدم للامتحان فحصل على الشهادة العالمية الأزهرية.

من مشاهير شيوخه والده وشقيقه السابق وشيخ الجماعة بفاس السيد أحمد بن الجيلالي الأمغاري وشيخ مشايخ أهل مصر محمد بخيت.

وكان رحمه الله تعالى آية في الحفظ والاستحضار متقنا في كتاباته وأبحاثه إماما متضلعا في العربية والفقه والأصول والتفسير والحديث والتصوف لا مثيل له في ذلك بل هو من الأفراد الذين قل وجودهم.

له مؤلفات مفيدة في الفقه والحديث والأخلاق. من أهمها " فضاءل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في القرآن " " بدع التفاسير " " الحجج البينات في إثبات الكرامات " " الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " وهي كثيرة أغلبها لم يسبق إليها غير أنها كلها ليس فيها ما يزيد على مجلد أو جزء.

مكث في القاهرة أربعين سنة خديما للعلم وأصابه ظلم عبد الناصر فسجن أحد عشر عاما ولما أفرج عنه قدم إلى المغرب فقضى ما تبقى من حياته مدرسا

للطلبة حتى وافاه أجله المحتوم عام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف وعمره يناهز الستة والثمانين ودفن في روضة والده رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة آمين.

محمد الزمزمي:

هو العلامة الفقيه الأثري الداعية السيد محمد الزمزمي بن سيدي محمد بن الصديق ولد ببور سعيد بمصر في طريق والديه إلى الحج عام ثلاثين وثلاثمائة وألف. حفظ القرآن وقرأ المبادئ على شقيقيه أحمد وعبد الله ثم شد الرحلة إلى القاهرة مع أخيه السيد عبد الله فالتحق بالأزهر وقرأ العربية والفقه الحنبلي ومكث بالقاهرة خمس سنوات ثم رجع إلى طنجة بعد وفاة والده وجعل يلقي دروسا تطوعية بالجامع الكبير وبزاوية والده والتف حوله جماعة من الطلبة فقرأ معهم الأصول والعربية والبلاغة والمنطق وكان أثريا عاملا بالدليل شديدا على أئمة المذاهب وأتباعهم له نوادر في ذلك قوالا بالحق بعيدا عن الظلمة وذوي السلطة شديدا على المتفرنجين لا يقول بتعليم الأولاد والبنات في المدارس الحالية كثير التحذير منها ومن أهلها كأخيه الأكبر السيد أحمد.

من أشهر مشايخه شقيقاه المتقدمان والشيخ عبد السلام غُنَيْم، وعبد المجيد الشرقاوي، والشيخ محمد بخيت.

له تآليف بعضها مهم مفيد " كدلائل الإسلام " و" التفرنج " و" المحجة البيضاء " و" الحجة الواضحة عن أن حالق اللحية ملعون وصلاته باطلة " و" تحذير المسلمين من مذهب العصريين "..

توفي عام ثمانية وأربعمائة وألف ودفن بجانب مسجده رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة.

عبد الحي:

هو الشريف العلامة النحوي الأصولي الفقيه الأثري السيد عبد الحي بن سيدي محمد بن الصديق، ولد عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، التحق بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وعدة متون علمية ثم قرأ المبادئ على الشيخ سيدي العربي بوعياد وعلى الشيخ عبد الرحمن الجزائري وعلى خاله سيدي أحمد بن عبد الحفيظ ثم شد الرحلة صحبة أخيه السيد عبد العزيز إلى القاهرة فالتحق بالأزهر ومكث بها نحو من إثني عشر عاما بسبب الحرب العالمية الثانية ثم رجع

إلى بلاده واشتغل بالتدريس احتسابا فقرأ مع الطلبة البلاغة والأصول ومصطلح الحديث وفقه السنة ثم عين مديرا للمعهد الديني ثم أستاذا إلى أن أحيل على المعاش.

من مشايخه شقيقاه السيد أحمد والسيد عبد الله. والشيخ عبد السلام غنيم والشيخ العربي الدسوقي.

له مؤلفات مفيدة محققة " كتبيين المدارك لرجحان تحية المسجد وقت خطبة الجمعة في مذهب مالك " و" التيمم في الكتاب والسنة " وغير ذلك توفي عام خمسة عشر وأربعمائة وألف وسنه يناهز الثمانين رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة.

عبد العزيز:

هو العلامة المحدث الواعية الناقد المطلع سيدي عبد العزيز بن الصديق ولد عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف حفظ القرآن الكريم وقرأ العلوم الأولية على إخوته وبعض تلامذة والده وبعد أن توفي والده بسنة شد الرحلة مع أخيه السيد عبد الحي صحبة شقيقه الأكبر فالتحق بالأزهر واختار قراءة المذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجد في الطلب والتحصيل فقرأ على الشيخ محمد عزت وعلى شقيقه السيد عبد الله وعلى الشيخ عبد السلام غنيم الضرير.

واعتنى بعلم الحديث الشريف حفظا وقراءة وكتابة، وأعطاه كليته حتى مهر فيه وأصبح من كبار أهله المتقنين وكان شقيقاه السيد أحمد والسيد عبد الله يشهدان له بالرسوخ في علم الحديث.

وكان رحمه الله تعالى قوي الذاكرة ذكيا مستحضرا لمتون الأحاديث مطلعا على مذاهب الفقهاء والخلاف العالي وكان إلى جانب ذلك شديدا على الظلمة لا يخشى أحدا له في ذلك مواقف عظيمة مشهورة وقد امتحن لذلك وسجن وأوذي ومنع من الخطابة. وكان تقيا عابدا كثير الذكر متفانيا في محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومحبة آل بيته...

وله تآليف كثيرة في الحديث والفقه والتصوف والتاريخ لم يطبع منها إلا القليل منها " بلوغ الأماني من موضوعات الصغاني " و" تخريج أحاديث التعرف "

و" تخريج أحاديث إيقاظ الهمم " و" الجامع المصنف بما في الميزان من الراوي المضعف " ثلاث مجلدات في تآليف كثيرة.

من مشاهير مشايخه شقيقاه السيد أحمد والسيد عبد الله. والشيخ أحمد رافع الطهطاوي والمحدث عمر حمدان. والمحدث محمد زاهد الكوثري.

توفي بعد غيبوبة طرأت عليه صحبته أكثر من عشرة أشهر عام ثمانية عشر وأربعمائة وألف رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة شاملة.

فهؤلاء الخمسة هم الإخوة الأشقاء وكانوا كلهم مجتهدين عاملين بالدليل لا يقدمون عليه رأيا مهما كان صاحبه أما في العقائد فكانوا على مذهب السلف إلا السيد عبد الله فكان أشعريا وكانوا كلهم ضد تعليم البنت في المدارس العصرية وامتاز السيد أحمد والسيد الزمزمي بالتحريم مطلقا حتى من الذكور وذلك لفساد عقائد الأساتذة وأخلاقهم واختلاط الجنسين في الأقسام و.... والتفسخ والتميع الواقعين في هذه المدارس.

كما كانوا ضد الاستعمار والدول الحالية التي تحكم بالقوانين الوضعية لا يقولون بما هو شائع من الديموقراطية المزعومة ولا بهذه الانتخابات الحالية التي عمت المعمورة لأن كل ذلك مخالف لشرع الله تعالى الذي جاء به أشرف المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

الحسن:

هو العلامة المتفنن المشارك الأديب السيد الحسن بن سيدي محمد بن الصديق ولد عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف حفظ القرآن وقرأ العلوم الأولية والثانوية على جماعة من أصحاب والده كالشيخ العربي بوعياد والشيخ عبد الرحمن الجزائري والشيخ محمد السكيرج والشيخ الحسن لمسون... والفقيه السيد محمد بن عبد الصمد وعلى أخويه السيد أحمد والسيد الزمزمي في جماعة آخرين.

ثم شد الرحلة لفاس فأتم دراسته العليا فقرأ على السيد محمد بن الحسن الزرهوني وعلى السيد محمد بن محمد مزور وعلى العلامة الأديب محمد بن المفضل السراج وعلى السيد العلامة علي أبي الشتاء الشركي وغيرهم من أكابر علماء القرويين وتضلع من سائر العلوم الشرعية وآلاتها من عربية وبلاغة وأصول وفقه وتفسير وحديث وتاريخ وفلك...

ولما رجع لطنجة وكان ذلك عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف جعل يلقي بعض الدروس التطوعية ثم أسندت إليه الخطابة بزاوية والده ثم بمسجد مولود بالسواني وعين معلما ببعض المدارس بطنجة ثم عين أستاذا بمدرسة المعلمين بتطوان ثم مفتشا للمدارس ولما أحيل على المعاش عين مرشدا عاما ببروكسيل ببلجيكا ثم عين رئيسا للمجلس العلمي بطنجة وهو عمله الحالي وهو الآن عام 1426 على قيد الحياة يناهز الثمانين من عمره وقد ألمت به أخيرا أمراض أوهنت قوته شافاه الله تعالى وختم لنا وله بالسعادة.

إبراهيم:

هو العلامة المحدث الأستاذ الدكتور السيد إبراهيم بن الصديق ولد عام أربعة وخمسين وثلاثمائة وألف قبيل وفاة والده بنحو شهرين وتولى تربيته أخوه الأكبر سيدي أحمد فحفظ القرآن الكريم كباقي إخوته وقرأ بعض المبادئ بزاوية والده ثم أصيب أخوه السيد أحمد الصديق بمحنة الاعتقال بسبب ثورته المسلحة التي قام بها ضد الاستعمار فكان السيد إبراهيم ممن أصيب معه مع العائلة في المنفى ثم بعد التحق بمعهد القرويين ودرس به نحوا من خمس سنوات ولما هاجر أخوه السيد أحمد إلى القاهرة كان مقيما معه ثم التحق بالأزهر وبعد موت أخيه وقد قضى بالقاهرة أكثر من ثلاث سنوات رجع إلى المغرب مع زوجات أخيه ثم التحق بالقرويين فأحرز على شهادته ثم التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط ولما حصل على الدكتورة في الحديث عين أستاذا بكلية أصول الدين بتطوان إلى أن أحيل على المعاش ثم عين رئيسا للمجلس العلمي بطنجة وألم به مرض معضل أعيى الأطباء حتى وافاه أجله المحتوم عام 1424 هجرية رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة شاملة.

له كتاب الجرح والتعديل في المدرسة المغربية للحديث طبع بالرباط كما له علل الحديث من خلال الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي طبعة وزارة الأوقاف وله مقالات مفيدة طبعت بدار البشائر ببيروت في مجلد.

فهؤلاء العلماء الإخوة السبعة لا ثاني لهم في التاريخ على منوالهم ويعد وجودهم من نوادر الزمان بل ومن كرامة والدهم الذي كان من أفراد أهل وقته شرفا وعلما واستقامة وزهدا وورعا قد أكرم الله تعالى به أهل طنجة كما أكرم المغرب

خاصة والعالم عامة بأنجاله الأشقاء الخمسة الذين انتفع الناس بإرشاداتهم وآثارهم وكان القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر من أفضل العصور بوجود هؤلاء الأشراف وأمثالهم من أكابر العلماء والصالحين الذين عشنا معهم ثم فقدناهم.

التعريف بقرية تجكان وقبيلة بني منصور

أصل هؤلاء الأشراف:

قرية تجكان التي انتشر منها هؤلاء الأشراف هي قرية صغيرة جاءت في قمم الجبال وعرة الوصول والطريق إليها غير معبدة وهي من جملة قبيلة بني منصور الغمارية وهذه القبيلة جاءت بين القبائل الغمارية فيحدها جنوبا قبيلة بني سلمان وبني خالد وشرقا قبيلتا بني سميح وبني جرير وشمالا قبيلة بني بوزرة وغربا قبيلة بني سلمان وهي قريبة من البحر الأبيض وهي من أواخر القبائل الغمارية لجهة الغرب وسكانها يمتازون بكثرة حفظة القرآن وبالأخص تجكان.

من الفوائد والمبشرات والحكم والعبر التي أودعها الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد

الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الإمام محدث الشام والعراق صاحب التآليف الكثيرة وخاصة في علوم الحديث حتى قيل كل من جاء بعده من أهل الحديث فهم عيال عليه كان في عصره حافظ المشرق كما كان الحافظ أبو عمر ابن عبد البر حافظ المغرب وتوفيا في سنة واحدة سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

ولما توفي وشيعت جنازته كان جماعة ينادون بين يدي جنازته هذا الذي كان يذب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، هذا الذي كان ينفي الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: وختم على قبره عدة ختمات ثم ذكر أنه رؤي بعد موته وأنه أنزل وسط الجنة حيث يتعارف الأبرار رحمه الله تعالى وإيانا رحمة واسعة شاملة.

له تاريخ بغداد العظيم المطبوع في أربعة عشر مجلدا ترجم فيه لكل من سكن بغداد أو طرأها ودخلها من الصحابة والخلفاء والأئمة والأشراف وجميع طبقات أهل العلم من مفسرين ومحدثين وفقهاء وصوفية ونحاة ولغويين وأصوليين ومتكلمين وفرضيين ورياضيين وفلكيين ومهندسين وأطباء وإخباريين.... ورتبهم على حروف المعجم.

وقد كنت مررت عليه منذ مدة وعلمت على بعض فوائده وخاصة ما يتعلق بالمبشرات المنامية وبعض الكرامات ونتف من الزهديات وأخبار بعض النساك وحكمهم...

وإفادة لمن يهمه هذا الأمر أودعت هنا ما ظهر لي إيراده من ذلك فإنه لا يخلو من فرحة، أو عبرة، أو تخويف، أو تذكير، أو عتاب، أو تأنيب...

والله المسئول أن ينفعني والقارئين بما سأذكره وأن يشملنا جميعا برحمته الواسعة والموت على السعادة آمين.

من أخبار بن سمعون الزاهد:

ج 1: قال فيه الخطيب: كان واحد ظهره، وفريد عصره في الكلام على الخواطر والإشارات ولسان الوعظ دون الناس حكمه وجمعوا كلامه ثم ذكر عنه أنه قيل له: أيها الشيخ أنت تدعو إلى الزهد في الدنيا والترك لها وتلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام فكيف هذا؟ فقال: كل ما يصلحك لله فافعله إذا صلح حالك مع الله بلبس لين الثياب وأكل طيب الطعام فلا يضرك.

ثم ذكر عن أبي القاسم علي بن الحسن قال: حدثني أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف قال: حضرت أبا الحسين بن سمعون يوما في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسيه يتكلم وكان أبو الفتح القواس جالسا إلى جنب الكرسي فغشيه النعاس ونام فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له أبو الحسين: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في نومك قال: نعم فقال أبو الحسين: لذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج وتنقطع عما كنت فيه أو كما قال...

حول حديث النزول إلى السماء الدنيا:

ج 1: ذكر في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي عن أبي الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص بن شاهين قال: حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسأله سائل عن حديث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا) فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو فقال أبو جعفر الترمذي: النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

أفعال العباد مخلوقة لله تعالى:

وذكر في ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن يحيى بن سعيد يعني القطان ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم، وأصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم، مخلوقة، فأما القرآن

المتلو المبين المثبت في المصاحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق قال الله تعالى:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾. فما قاله هذا الإمام هو مذهب أهل السنة والحق وقد كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى وجماعة يشددون في القول بخلق التلفظ بالقرآن وقصة الذهلي مع البخاري في ذلك مشهورة أعرضنا عن ذكرها.

من أخبار الزاهد خير النساج:

قال الخطيب: كان من كبار الصوفية وذكر عن أبي نعيم أنه صحب سريا السقطي وأبا حمزة.. قال: وللصوفية عن خير حكايات عجيبة جدا.

ثم ذكر بسند أبي نعيم عن أبي الخير الديلمي قال: كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة وقالت: اعطني المنديل الذي دفعته إليك قال: نعم فدفعه إليها فقالت: كم الأجرة؟ قال: درهمان قالت: ما معي الساعة شيء وأنا قد ترددت إليك مرارا فلم أرك وأنا آتيك به غدا إن شاء الله تعالى فقال لها خير: إن آتيتني به ولم تريني فارمي به في الدجلة فإني إذا رجعت أخذته فقالت المرأة: كيف تأخذ من الدجلة؟ فقال خير: هذا التفتيش فضول منك افعلي ما أمرتك به قالت: إن شاء الله تعالى فمرت المرأة قال أبو الخير: فجئت من الغد وكان خير غائبا فإذا بالمرأة جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تر خيرا فقعدت ساعة ثم قامت ورمت بالخرقة في دجلة فإذا بسرطان تعلقت بالخرقة وغاصت وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ فإذا بسرطان خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها فقلت له: رأيت كذا وكذا فقال: أحب أن لا تبوح به في حياتي.

ثم ذكر بسنده عن أبي الحسين المالكي قال: كنت أصحب خير النساج سنين كثيرة ورأيت له من كرامات الله تعالى ما يكثر ذكره غير أنه قال لي قبل وفاته بأيام إني أموت يوم الخميس المغرب فأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وسَتَنْسى فلا تنساه قال أبو الحسين فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من خبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين فسألتهم لم رجعوا؟ فذكروا أنه يدفن بعد الصلاة فبادرت ولم ألتفت إلى قولهم فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة

قال: فسألت من حضره عن حاله عند خروج روحه فقال أنه لما حضر غشي عليه ثم فتح عينيه وأومأ إلى ناحية باب البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني فدعني أمضي لما أمرت به ثم امض لما أمرت به فدعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد ثم غمض عينيه وتشهد قال:

وأخبرني بعض أصحابنا أنه رآه في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لا تسألني أنت عن هذا، ولكن استرحنا من دنياكم الوضرة.

بشارة للبخاري:

ج: البخاري رحمه الله تعالى قد أوذي من طرف بعض الظلمة وضيق عليه فدعا الله تعالى أن يقبض روحه فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى إليه.

وذكر الخطيب بسنده عن عبد الواحد بن آدم الطواويسي قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره فسلمت عليه فرد السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال:

أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها.

والبخاري إمام غني عن التعريف.

من أخبار رابعة العدوية:

رابعة العدوية رحمها الله تعالى أمرها مشهور في الزهد والتنسك ومحبة الله عز وجل.

وقد ذكر لها الخطيب رؤيا عظيمة فيها بشارة وموعظة وتحذير وعتاب فعن مسمع بن عاصم قال: قالت رابعة العدوية: اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل فمكثت أياما أقرأ جزئي إذا ارتفع النهار لما يذكر أنه يعدل بقيام الليل ثم رزقني الله تعالى العافية فكنت قد سكنت إلى قراءة جزئي بالنهار وانقطع عني قيام الليل فبينا أنا ذات ليلة راقدة إذ رأيت في منامي كأني قد دفعت إلى روضة خضراء ذات قصور وبيت حسن فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه فشغلني حسنها عن حسنه فقلت لها: دعيه ما تريدين منه؟ فوالله ما رأيت طائرا أحسن منه فقالت: فهلا أريك شيئا هو أحسن منه؟

قلت: بلى فأخذت بيدي فأدارتني في تلك الرياض حتى انتهيت إلى باب قصر فاستفتحت ففتح لها باب مخرق إلى بستان قالت فدخلت ثم قالت: افتحوا لي باب المقة ففتح لنا باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدي وما خلفي فدخلت ثم قالت: ادخلي فدخلت فتلقانا فيه وصفاء بأيديهم المجامر فقالت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلانا قتل في البحر شهيدا نجمره فقالت لهم: أفلا تجمرون هذه المرأة؟ فقالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته فأرسلت يدها من يدي ثم أقبلت علي بوجهها وقالت:

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد الصلاة عميد

وعمرك غنم إن عقلت ومهلة يسير ويفنى دائم ويبيد

ثم غابت عني واستيقظت بنداء الفجر فقالت رابعة: فوالله ما ذكرتها فتوهمتها إلا طاش عقلي وطار نومي.

ذكر هذه الرؤيا في ترجمة محمد بن إسماعيل الشكلي.

بشارات للإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ذكر الخطيب في ترجمة الشافعي رحمه الله تعالى بسنده إلى المزني قال: سمعت الشافعي يقول: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام فسلم علي وصافحني وخلع خاتمه وجعله في أصبعي وكان لي عم ففسرها لي فقال لي أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما خلع خاتمه فجعله في أصبعك فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب.

وذكر أيضا عن المزني قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام فسألته عن الشافعي فقال لي: من أراد محبتي وسنتي فعليه بمحمد بن إسماعيل الشافعي المُطَّلِبي فإنه مني وأنا منه.

ثم ذكر عن الربيع بن سليمان قال: رأيت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب.

بشارة لأبي حنيفة وصاحبيه محمد بن الحسن وأبي يوسف رحمهم الله تعالى:

ذكر في ترجمة محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى بسنده إلى ابن أبي رجاء القاضي قال: سمعت محمويه - وكنا نعده من الأبدال - قال: رأيت محمد بن الحسن في المنام فقلت: يا أبا عبد الله إلى ما صرت؟ قال: قال لي: - يعني الله عز وجل - " إني لم أجعلك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك " قلت: فما فعل أبو يوسف؟ قال: فوقي قلت: فما فعل أبو حنيفة؟ قال: فوق أبي يوسف بطبقات. أقول: هذا هو الظن بهم فإنهم كانوا أئمة كبارا ولا عبرة بمن تكلم فيهم.

كرامة للمحمدين الأربعة ابن جرير، وابن خزيمة ومحمد بن نصر، ومحمد بن هرون الروياني:

وذكر بسنده إلى أبي العباس البكري من ولد أبي بكر الصديق قال: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هرون الروياني بمصر، فأرْمَلُوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يَسْتَهِموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع وخصى من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، ثم قال أيكم محمد بن هرون؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارا ثم قال: إن الأمير كان قائلا بالأمس فرآى في المنام خيالا فقال: إن المحامد طووا كشحهم جياعا فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إلي أمركم.

من هم هؤلاء المحمديون؟

إن هؤلاء الأربعة كانوا أئمة حفاظا يضرب بهم المثل في الحفظ والإتقان والفضل... ونحن نذكر تراجمهم موجزة ليعرفهم من شاء:

أما محمد بن نصر فهو الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله المروزي من شيوخه إسحاق بن راهويه، وشيبان بن فروخ، ومحمد بن نمير، وهشام بن عمار، ومن تلامذته أبو العباس السراج وابن الأخرم ومحمد بن إسحاق السمرقندي كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم قال ابن حزم رحمه الله تعالى: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه إلى أن قال: وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي. وكان مع ذلك كثير العبادة قال ابن الأخرم: كان يقع الذباب على أذنه في صلاته ويسيل الدم فلا يذبه قال: لقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه، يضع ذَقَنَهُ على صدره وينتصب كأنه خشبة.

ذكر الذهبي وغيره عنه قال: خرجت من مصر ومعي جارية فركبت البحر أريد مكة المكرمة فغرقت فذهب مني ألفا جزء - يعني من الحديث - وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي فما رأينا فيها أحدا، وأخدني العطش ولم أقدر على الماء فوضعت رأسي على فخذها مستسلما للموت، فإذا رجل قد جاءني بكوز فشربت وسقيتها ثم مضى ما أدري من أين جاء توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين ومائتين بسمرقند وعمره إثنتان وتسعون سنة قال الذهبي: وما ترك بعده مثله. **وأما ابن جرير** فهو الإمام العالم الفرد الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف العظيمة من شيوخه أحمد بن منيع ومحمد بن حميد الرازي، وإسماعيل السُّدي، وهناد بن السَّرِي وغيرهم ومن تلامذته أبو القاسم الطبراني وأحمد بن كامل، وعبد الغفار الحضيني في آخرين، قال الخطيب: كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله تعالى بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن، وطرقها، صحيحها، وسقيمها، ناسخها، ومنسوخها، عارفا بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرا بأيام الناس وأخبارهم، له

الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الإسلام، وله كتاب التفسير الذي لم يصنف مثله...

قال أبو حامد الأسفرائني: لو سافر رجل إلى الصين في تحصيل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا قال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير وقالوا عنه: إنه مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة وكان مع ذلك زاهدا في الحياة لا يقبل جوائز الظلمة قوالا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم ولقد أوذي إذايات بالغة من طرف بعض الفرق فصبر واحتسب حتى وافاه أجله المحتوم سنة عشر وثلاثمائة.

وأما ابن خزيمة فهو الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري.

من شيوخه ابن راهويه، ومحمد بن حميد، ومحمود بن غيلان، وأحمد بن منيع، وعلي بن حُجْر...

ومن تلامذته محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وأحمد بن المبارك المستمْلِي، وأبو علي النيسابوري والبخاري ومسلم رويا عنه خارج الصحيحين.

قال الدارقطني: كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير.

وقال أبو عثمان الحيري حدثنا ابن خزيمة قال: كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخبرا حتى يقع لي فيها ثم أبتدئ.

قال أبو عثمان الزاهد: إن الله ليدفع البلاء عن أهل نيسابور بابن خزيمة. وقال أبو أحمد حسينك سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحكي عن علي بن خشرم عن ابن راهويه أنه قال: أحفظ سبعين ألف حديث فقلت لأبي بكر: فكم يحفظ الشيخ؟ فضربني على رأسي وقال: ما أكثر فضولك، ثم قال: يا بني ما كتبت سوادا في بياض إلا وأنا أعرفه وسئل من أين أوتيت هذا العلم؟ فقال:

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (ماء زمزم لما شرب له)، وإني لما شربت ماء زمزم سألت الله تعالى علما نافعا. وألف ابن خزيمة كتابه الصحيح في السنن في عدة مجلدات طبع منه بعضه وفقد باقيه فلم يعثر عليه.

ولهذا الإمام أخبار مع الجهمية والمعطلة وقد ألف ضدهم كتاب الإيمان وكانوا يعادونه أشد العدواة لأنه كان شديدا عليهم قاسيا يلعنهم ويكفرهم توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وذكر الذهبي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال: رأيت ابن خزيمة في النوم فقلت جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال: كذا قال لي جبريل عليه السلام في السماء.

وأما الروياني فهو الحافظ الإمام أبو بكر بن هرون الروياني صاحب المسند المشهور.

من شيوخه أبو زرعة الرازي، ومحمد بن حميد، والفلاس، وآخرون ومن تلامذته أبو بكر الإسماعيلي، وإبراهيم القرميسيني، وجعفر بن عبد الله بن فتاكي في آخرين توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثمائة.

بشارة بالمغفرة لمحمد بن الكرجي:

قال الخطيب: رأيت أبا يعلى محمد بن الحسن الكرجي في المنام بعد موته بنحو من سنة وهو على صورة حسنة، وهيأة جميلة، لابسا ثيابا بيضا، ولحية سوداء شديدة السواد فسلم علي ثم قال لي ابتداء وهو مستبشر يكاد أن يضحك: إن الله تعالى غفر لي ذنوبي كلها أو نحو هذا من القول ومشى معي يحدثني حديثه قبل موته، وأنا أظنه يريد أن يسوق الحديث إلى إعلامي ما لقيه في حال قبضه وبعد مفارقته الدنيا ثم انتبهت.

بشارة بالمغفرة لرجائه في الله تعالى:

ذكر بسنده عن الحسن بن الليث الرازي قال: رأيت محمد بن حميد الرازي في المنام فقلت: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي فقلت: بماذا؟ قال: برجائي إياه منذ ثمانين سنة.

عظة وعبرة وتخويف:

ذكر بسنده إلى محمد بن علي الماذرائي قال: كنت أجتاز بتربة أحمد بن طولون فأرى شيخا عند قبره يقرأ ملازما للقبر، ثم إني لم أره مدة، ثم رأيته بعد ذلك فقلت له ألست الذي كنت أراك عند قبر أحمد بن طولون تقرأ عليه؟ فقال: بلى كان قد ولينا رياسة في هذا البلد، وكان له علينا بعض العدل إن لم يكن الكل،

فأحببت أن أقرأ عنده وأَصِلَهُ بالقرآن قلت له: لم انقطعت عنه؟ فقال لي: رأيته في النوم وهو يقول لي: أحب أن لا تقرأ عندي، فكأني أقول له: لأي سبب؟ فقال: ما تمر بي آية إلا قرعت بها وقيل لي: ما سمعت هذه؟

أحمد بن طولون هذا كان من أصل تركي وكان مملوكا للمأمون العباسي وتفقه وتأدب وتقدم عند المتوكل فولاه إمرة الثغور ودمشق ومصر وكان شجاعا جوادا سفاكا للدماء قتل شيئا كثيرا في الشام ومصر توفي بمصر سنة سبعين ومائتين.

وهذه الرؤيا تدل على سوء حاله وهذا حال كل الظلمة وناهيك بأيام العباسيين وما سفكوا فيها من دماء المسلمين يضاف إلى ذلك شدة ظلمهم وتجبرهم وبطشهم بالأشراف...

أثر أكل الحرام على القلب:

ذكر في ترجمة أبي بكر محمد بن علي الدينوري أحد الصالحين ذي الكرامات عنه أنه قال: إني لأطعم لقيمات من طعام عند محب لهذه الطائفة - يعني الصوفية - فأرى على قلبي سوادها لما لا أتعرف أمره وأدخل على السلامة وإني سمعت اللؤلؤي يقول: يحكى أن بشرا دعاه رجل إلى طعام فدخل فرآى حاله مستوية فقال لصاحبه: من أين مالك؟ قال: أشهد الله من حله ما ظلمت، ولا عصبت، ولا أربيت، قال:

ففيم تتجر؟ قال: في الطعام فخرج عنه وقال: هذا مال جمع من دم المسلمين. وأقول: إن للطعام الحرام أثرا شديدا على القلب، وحائلا منيعا عن فعل الطاعات ولا يجد آكل الحرام لذة الطاعات ومناجاة الله تعالى ومن أقبح ما ينشأ عنه قساوة القلب وجمود العين والاسترسال في المخالفات ولا يحس بذلك إلا من كان قلبه صافيا سليما.

غفر له بدعاء وتأمين:

ذكر في ترجمة محمد بن يزيد الواسطي بسنده عن يزيد بن هرون قال: رأيت محمد بن يزيد الواسطي بعد موته في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي قلت: بماذا؟ قال: بمجلس جلسه إلينا أبو عمرو البصري يوم جمعة بعد العصر فدعا وآمنا فغفر لنا..

قال وكيع: إن كان أحد من الأبدال فهو محمد بن يزيد الواسطي..

رؤيا نبوية وفيها أخبار:

ذكر في ترجمة حامل كفنه بسنده إلى عبيد بن محمد الوراق قال: كان بالرملة رجل يقال له عمار وكانوا يقولون: إنه من الأبدال فاشتكى البطن فذهبت أعوده وقد بلغني عنه رؤيا رآها فقلت له: رؤيا حكوها عنك فقال لي: نعم رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فدعا لي. ثم رأيت الخضر عليه السلام بعد ذلك فقلت: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله وليس بمخلوق. فقلت: ما تقول في النبيذ؟ قال: أنهى الناس عنه فقلت: هو ذا أنهاهم وليس ينتهون فقال: من قبل فقد قبل ومن لم يقبل فدعه قلت: ما تقول في بشر بن الحارث؟ قال: مات بشر يوم مات وما على الأرض أحد أتقى لله منه قلت: فأحمد بن حنبل قال لي: صديق فقلت له: فحسين الكرابسي فغلظ في أمره فقلت: فما تقول في خالتي؟ فقال لي: تمرض وتعيش سبعة أيام ثم تموت فلما أن ماتت قلت حقت الرؤيا فلما كان بعد رأيته فقلت له: كيف صار مثلك يجيء إلى مثلي فقال: ببرك والديك، وإقالتك العثرات.

قصة حامل كفنه:

قال الخطيب: بلغني أن المعروف بحامل كفنه توفي وغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما كان من الليل جاء نباش فنبش عنه فلما حل أكفانه ليأخذها استوى قاعدا فخرج النباش هاربا منه، فقام فحمل كفنه وخرج من القبر وجاء إلى منزله وأهله يبكون فدق الباب عليهم فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا فلان فقالوا له: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا على ما بنا فقال يا قوم افتحوا لي فأنا والله فلان فعرفوا صوته ففتحوا له الباب، وعاد حزنهم فرحا، وسمي يومئذ حامل كفنه. قال الخطيب: ومثل هذا سعير بن الخمس الكوفي فإنه لما دل في حفرته اضطرب فحلت عنه الأكفان، فقام فرجع إلى منزله، وولد له بعد ذلك ابنه مالك بن سعير..

وأقول: من عاش بعد الموت كثير وقد ألف في ذلك ابن أبي الدنيا وسيأتي لنا ذلك إن شاء الله تعالى أما الخروج من القبر بعد الدفن فذلك نادر.

وقد قرأنا منذ عهد قريب في صحيفة أن رجلا موريطانيا خرج من قبره بعدما دفن وذلك أنه مات وغسل وكفن وصلي عليه ودفن فلما كان من الليل ردت

إليه روحه ووجد نفسه في محل ضيق فعرف أنه في القبر قال فجعل يحفر من جهة رأسه الرمل ويرسله إلى داخل القبر حتى حفر فجوة فخرج منها لأن أرضهم رملية وليست صلبة قال: فأخذ أكفانه وجعلها تحت يده وقصد بيت الحارس فطرق عليه النافذة وقال له افتح فأنا فلان الذي دفنتموني بالنهار فخاف الحارس وخرج من الباب هاربا وذهب إلى مخفر الشرطة فجاءوا وجعلوا يكلمونه من بعيد فلما تيقنوا صحة قوله دنوا منه فأخذوه إلى منزله وجاءه الصحفيون فعملوا معه استجوابا وأخبرهم بم حصل له وسألوه هل جاءك منكر ونكير عليهما السلام فقال لا وهذا يدل على أنه لم يكن مات وإنما كانت روحه مودعة في مخه فظن أهله أنه مات وقد أخبر الأطباء بأن كثيرا من الناس يحصل لهم ذلك فيدفنون على قيد حياتهم ولذلك قالوا يجب أن يتأنى بالميت مدة حتى يقطع بموته ولا يكتفي منه بسكوت ضربات القلب فقد تكمن الروح في جهة أخرى ولله في خلقه شئون.

غفر له بدعوة الرجل الصالح:

ذكر في ترجمة محمد بن يوسف أبي عمر القاضي أن إسماعيل القاضي ببغداد كان يحب الاجتماع مع إبراهيم الحربي فقيل لإبراهيم: لو لقيته فقال ما أقصد من له حاجب فقيل ذلك لإسماعيل فنحى الحاجب عن بابه أياما فذكر ذلك لإبراهيم فقصده فلما دخل تلقاه أبو عمر محمد بن يوسف القاضي وكان بين يدي إسماعيل قائما فلما نزع إبراهيم نعله أمر أبو عمر غلاما له أن يرفع نعل إبراهيم في منديل معه، فلما طال المجلس بين إبراهيم وإسماعيل وجرى بينهما من العلم ما تعجب منه الحاضرون وأراد إبراهيم القيام نقد أبو عمر إلى الغلام أن يضع نعله بين يديه من حيث رآها إبراهيم ملفوفة في المنديل فقال إبراهيم لأبي عمر: رفع الله قدرك في الدنيا والآخرة فقيل:

إن أبا عمر لما توفي رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: أدركتني دعوة الرجل الصالح إبراهيم فغفر لي..

رؤيا تحض على إخفاء الأحوال الروحية:

ذكر بسنده عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: أصابتني ذات ليلة رقة فبكيت فقلت في نفسي: لو كان بعض إخواننا لرق معي ثم غفوت فأتاني آت في منامي فرفسني فقال: يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

صوفي بغدادي صاحب حديث:

ذكر بسنده إلى أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال: لما مضيت إلى أبي الربيع الزهراني إلى البصرة لأسمع منه الحديث وكان رأيه رأي الصوفية ضربت الباب فقالت جارية: هو على حاجة فقلت لها: قولي: صوفي بغدادي صاحب حديث فقال: افتحي له فدخلت إليه فقال: إذا كان الصوفي بغداديا صاحب حديث فهو الزبد بالبرسنان ادن يا غلام ثم ناولني لقمة فالوذ ثم قال لي: كل ثم قال: اكتب..

أنا في الجنة:

ذكر بسنده إلى عبد القادر بن محمد بن يوسف أنه قال: رأيت أبا الحسن بن الحماني المقرئ في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أنا في الجنة قلت: وأبي قال وأبوك معنا، قلت: وجدنا يعني أبا الحسين بن السوسنجردي فقال: في الحظيرة قلت حظيرة القدس قال: نعم..

هذا ربك يخاطبك:

ذكر بسنده إلى أبي الحسن عثمان بن السندي أنه قال: قال لي أبو العباس بن سريج في علته التي مات فيها أريت البارحة في المنام كأن قائلا يقول لي هذا ربك تعالى يخاطبك قال: فسمعت: ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قال: فقلت: بالإيمان والتصديق قال: فقيل: ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قال: فوقع في قلبي أنه يراد مني زيادة في الجواب فقلت: بالإيمان والتصديق غير أنا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال " أما إني سأغفر لك ".

بشارتان للإمام أحمد بن حنبل:

ذكر بسنده إلى عبد الله بن إسحاق المدائني قال: سمعت أبي يقول: رأيت كأن الناس قد جمعوا إلى مكة وكان الحجر الأسود انصدع فخرج منه لواء فقلت ما هذا؟ فقيل لي: " أحمد بن حنبل بايع الله عز وجل ".

وذكر أيضا عن سلمة بن سبيب قال: كنا عند أحمد بن حنبل فجاءه رجل فدخل فسلم وقال: أيكم أحمد فأشار بعضنا إليه قال: جئت من مسيرة أربعمائة فرسخ أتاني آت في منامي فقال: ائت أحمد بن حنبل وسل عنه فإنك تدل عليه وقل

له: إن الله عنك راض، وملائكة سماواته عنك راضون وملائكة أرضه عنك راضون قال: ثم خرج فما سأله عن حديث ولا مسألة.

لهذا الإمام العظيم بشارات كثيرة في هذا المعنى قد ذكرت مبسوطة في غير تاريخ بغداد وسيأتي لها موضع إن شاء الله تعالى.

السري السقطي والحوراء:

ج 4: ذكر في ترجمة الإمام الزاهد الصوفي أبي أحمد الجريري عنه قال:

دخلت يوما على سري السقطي وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية فقالت لي: يا أبت هذه الليلة حارة، وهذا الكوز فيه ماء هو ذا أعلقه ههنا فإذا برد فاشربه قال: فعلقته وقمت إلى أمر كنت أقوم إليه فغلبتني عيناي فنمت فرأيت كأن جارية من أحسن الخلق نزلت من السماء، وإذا الدنيا قد أشرقت لحسنها، وعليها قميص فضة يتخشخش كأني أقول لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: أنا لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، قال: وتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته ثم قالت: سري تدعي المحبة وتشرب الماء البارد في الكيزان هذا محال. قال: فرأيت الخزف المكسور في غرفته لم يشله ولم يلمسه حتى عفي عليه التراب.

كيف لا تحبني ولست لي بجار، ولا قرابة:

ج 5: ذكر في ترجمة أبي العباس البراثي عنه قال: لما مات أبي كنت صبيا فجاء الناس عزوني وتكثروا وجاءني فيمن جاء بشر الحافي، فقال لي: يا بني إن أباك كان رجلا صالحا، وأرجو أن تكون خلفا منه، بر والدتك، ولا تعقها، ولا تخالفها، يا بني والزم السوق فإنها من العافية، يا بني ولا تصحب من لا خير فيه، فلما قام بشر قام إليه رجل فقال: يا أبا نصر أنا والله أحبك فقال: وكيف لا تحبني ولست لي بجار ولا قرابة. وفي هذا إشارة إلى أن الجوار والقرابة من مظان البغض والعداوة وهو الواقع ولا سيما الأقارب حتى قالوا: الأقارب هم العقارب.

حب علي وعثمان رضي الله تعالى عنهما:

ج 5: ذكر في ترجمة ابن عقدة عن سفيان - يعني الثوري - رحمه الله تعالى قال: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال وفي رواية عند غير الخطيب إلا في قلب مؤمن.

وهذا صحيح واضح لأن الشيعة الروافض يبغضون سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه لأنهم يعتقدون أنه ظالم كالشيخين رضي الله تعالى عنهما حيث إن الثلاثة عندهم سلبوا الخلافة من الإمام علي عليه السلام بزعمهم وفي مقابلة هؤلاء المروانيون والنواصب وأشياعهم الذين يبغضون الإمام عليا عليه السلام لأنهم يتهمونه بأنه كان ممن شارك في قتل عثمان وحاشاه من ذلك. ولذا كان من والى هذا وذاك وأحبهما جميعا كان من نبلاء المؤمنين اللهم أمتنا على حبهما وحب الشيخين وباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار.

إهمال القرآن يوجب العقاب:

ذكر بسنده إلى هرون بن معروف قال: أقبلت على الحديث وتركت القرآن قال: فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي: من آثر الحديث على القرآن عوقب قال: فما حل علي الحول حتى ذهب بصري.

أقول: إذا كان الاشتغال بالحديث النبوي عن القرآن يوجب العقاب فكيف بمن يتركه ويهمله حتى ينساه بمشاغل الحياة أو بالاشتغال بطلب علوم الدنيا كما حصل للكثيرين فيا خسارتهم ويا حسرتهم يوم القيامة يوم يقال لهم: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.

صافحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقبل بين عينيه:

ج 5: ذكر في ترجمة أحمد بن محمد أبي العباس البرتي القاضي بسنده إلى أبي عمر محمد بن يوسف القاضي قال: ركبت يوما من الأيام مع إسماعيل بن إسحاق القاضي إلى أحمد بن محمد بن عيسى البرتي وهو ملازم لبيته فرأيته شيخا مصفارا أثر العبادة عليه، ورأيت إسماعيل أعظمه إعظاما شديدا وسأله عن نفسه وأهله وعجائزه وجلسنا عنده ساعة ثم انصرفنا فقال لي إسماعيل يا بني تعرف هذا الشيخ؟ قلت: لا قال: هذا البرتي القاضي لزم بيته واشتغل بالعبادة هكذا تكون القضاة لا كما نحن ثم ذكر عن أبي العلاء بن صاعد بن مخلد قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم وهو جالس في موضع فدخل عليه أبو

العباس البرتي القاضي فقام إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصافحه وقبل بين عينيه وقال: مرحبا بالذي يعمل بسنتي وأثري..

وهم في الغرفات آمنون:

ج 5: وذكر في ترجمة أحمد بن المسلمة أنه كان يصوم الدهر ويقرأ في كل يوم أسبوعا من القرآن ثم يعيده ليلا في ورده وذكر بسنده إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم أنه قال: رأيت أبا الحسين بن القدوري الفقيه بعد موته في المنام فقلت له: كيف حالك فتغير وجهه ودق حتى صار كهيأة الوجه المرئي في السيف دقة وطولا وأشار إلى صعوبة الأمر قلت: فكيف حال الشيخ أبي الفرج يعني جده فعاد وجهه إلى ما كان عليه وقال لي: ومن مثل الشيخ أبي الفرج ذاك ثم رفع يده إلى السماء فقلت في نفسي: يريد بهذا قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾.

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية:

ج 5: وذكر بسنده إلى أحمد بن مسروق الطوسي قال: رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد: الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا وأتاني ملك عرض وجهه عرض ميل في طول مثل ذلك فقال: تقدم فصل بالناس فتأملت وجهه فإذا بين عينيه مكتوب: جبريل أمين الله قلت: فأين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ فقال: مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية فقلت: وأنا من الصوفية؟ قيل: نعم، ولكن شغلك كثرة الحديث فكدت أبكي فإذا بجنيد يشير إلي أن لا تخف لا نأكل حتى تجيء فانتهبت فيا ليتني صليت وأكلت...

غريبة:

ج 5: وذكر في ترجمة ابن مسروق المذكور أعلاه عنه أنه قال: قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا في هذا الشأن - يعني التصوف - بكلام حسن، وكان عذب اللسان، جيد الخاطر فقال لنا في بعض كلامه: كل ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي: فوقع في قلبي أنه يهودي، وكان الخاطر يقوى ولا يزول، فذكرت ذلك للجريري، فكبر عليه ذلك، فقلت: لا بد من أن أخبر الرجل بذلك فقلت له: تقول لنا: ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي إنه يقع لي أنك يهودي فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدقت أشهد أن لاإلاه إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله وقال: قد

مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم منهم شيء فمع هؤلاء قد أخلتكم لأعتبركم وأنتم على الحق، وحسن إسلامه.

غفر لابن مسروق والجنيد في القدس:

ج 5: وذكر عن أبي بكر أحمد بن محمد بن سهل الصوفي قال: رأيت أبا العباس بن مسروق في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: ما فعل الجنيد؟ فقال: في القدس.

بشارة لابن مجاهد:

ج 5: أحمد بن موسى أبي بكر بن مجاهد المقرئ كان شيخ القراء في وقته والمقدم منهم على أهل عصره توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

ذكر الخطيب بسنده إلى أبي علي عيسى بن محمد بن أحمد الطوماري قال رأيت أبا بكر بن مجاهد في النوم كأنه يقرأ فكأني أقول له: يا سيدي أنت ميت وتقرأ فكأنه يقول لي: كنت أدعو في دبر كل صلاة وعند ختم القرآن أن يجعلني ممن يقرأ في قبره فأنا ممن يقرأ في قبره.

قال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنك صاحب العلم المستطيل:

ج 5: وذكر في ترجمة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة عن أبي بكر بن مجاهد قال: كنت عند أبي العباس بن يحيى ثعلب فقال لي: يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: أقرئ أبا العباس مني السلام وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل.

قال أبو عبد الله الروذباري أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه.

نادرة للخواص:

ج 5: ذكر في ترجمة محمد بن زياد الكلوذاني صاحب إبراهيم الخواص وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه قال: سألت إبراهيم الخواص عن أعجب ما رآه في

البادية فقال كنت ليلة من الليالي في البادية فنمت على حجر، فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال: قم من ههنا فقلت: اذهب فقال: إني أرفسك فتهلك فقلت: افعل ما شئت فرفسني فوقعت رجله علي كأنها خرقة فقال: أنت ولي الله من أنت؟ قلت: أنا إبراهيم الخواص، قال صدقت ثم قال: يا إبراهيم معي حلال وحرام فأما الحلال فرمان من الجبل المباح، وأما الحرام فحيتان مررت على صيادين وهما يصطادان فتخاونا فأخذت الخيانة فكل أنت الحلال ودع الحرام.

أدخلني الجنة ثم رفعت إلى أصحاب اليمين المقربين:

ج 5: وذكر في ترجمة الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى بسنده إلى هشام بن حسان عن حفصة ابنة راشد قالت: كان مروان المحلمي لي جارا وكان ناصبا مجتهدا فمات فوجدت عليه وجدا شديدا، فرأيته فيما يرى النائم فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى أصحاب اليمين قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى المقربين قلت: فمن رأيت ثم من إخوانك قال: رأيت ثم الحسن، ومحمد بن سيرين، وميمون بن سياه.

فضل صلاة الجماعة لا يعدله شيء:

ج 5: وذكر بسنده إلى محمد بن سماعة القاضي قال: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوما واحدا ماتت فيه أمي ففاتتني صلاة واحدة في جماعة، فقمت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف فغلبتني عيني فأتاني آت فقال: يا محمد قد صليت خمسا وعشرين صلاة، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة.. يشير بذلك إلى حديث: (من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه).

كرامة للشيخ محمد السمين الصوفي:

ج 5: ذكر في ترجمة الشيخ محمد السمين وكان من مشايخ الصوفية أستاذا للإمام الجنيد مجاب الدعوة بسنده إلى الجنيد رحمه الله تعالى قال: قال لي محمد السمين كنت في طريق الكوفة بقرب الصحراء في وقت الظهيرة والطريق منقطع، فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات ورأيت عليه سبعة أو ثمانية من السباع تتنهاش وتحمل بعضها على بعض، فلما أن رأيتهم كأن نفسي اضطربت - وكانوا على قارعة الطريق - فقالت لي نفسي: تميل يمينا أو شمالا، فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق، فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم

كأحدهم، ثم رجعت إلى نفسي لأنظر كيف هي فإذا الروع معي قائم، فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فوضعت جنبي فنمت مضطجعا فتغشاني النوم فنمت وأنا على تلك الحالة والسباع في المكان على ذلك الذي كانوا عليه فمضى بي وقت وأنا نائم ثم استيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء وإذا الذي كنت أجده قد زال عني فقمت وأنا على تلك الهيئة فمشيت.

إن الرجل المستقيم تهابه السباع وتطيعه ويخدمه الكون بأجمعه فمن خاف الله خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

ومثل ما حصل لهذا السيد مع الأسد وقع لجماعة من الصالحين وقصة سفينة صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع الأسد الذي دله على الطريق مشهورة في كتب السنة.

من أخبار ابن السماك الزاهد:

ج 5: محمد بن صبيح بن السماك كان من كبار رجال السلف في القرن الثاني وله كلام رائق في الزهد والرقائق توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

من كلامه: الذباب على العذرة احسن من القارئ على ابواب الملوك

ومنها في عتاب نفسه: تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، والجنة تطمعين تدخلين هيهات إن للجنة قوما آخرين، ولهم أعمال غير ما تعملين.

ومنها أن رجلا كتب إليه يصف له الدنيا فكتب إليـــه:

أما بعد؛ **فالله حفها بالشهوات، ثم ملاها بالافات، ومزج حلالها بالمؤونات، ومزج حرامها بالتبعات، فحلالها حساب، وحرامها عذاب... ومنها** أن هرون الرشيد استدعاه فأتاه فوعظه وكان في جملة ما قال له: يا أمير المؤمنين إني والله ما رأيت وجها أحسن من وجهك فلا تحرق وجهك بالنار. فبكى هرون بكاء شديدا ثم دعا بماء فاستسقى فأتي بقدح فيه ماء فقال: يا أمير المؤمنين أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء قال: قل ما أحببت قال: يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل إليك فقال: نعم قال: فاشرب ريا بارك الله فيك، فلما فرغ من شربه قال له: يا أمير المؤمنين **ارايت لو منعت اخراج هذه الشربة منك الا بالدنيا وما فيها اكنت تفتدي ذلك**

بالدنيا وما فيها قال: نعم قال: يا أمير المؤمنين **فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه** فبكى هرون واشتد بكاؤه...

رجل يمشي على الماء:

ج 6: ذكر إبراهيم الخواص وقال فيه: وهو أحد شيوخ الصوفية وممن يذكر بالتوكل وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها على التجريد.

وذكر عنه قال: نزلت إلى مشرعة الساج من بغداد وكان الماء مدادا والريح يلعب بالموج فرأيت رجلا بين الموج يمشي على الماء فسجدت وجعلت بيني وبين الله أن لا أرفع رأسي حتى أعلم من الرجل، فلم أطل في السجود حتى حركني فقال لي: قم ولا تعاود فأنا إبراهيم بن علي الخراساني.

ومن حكم الخواص: العلم كله في كلمتين **لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت** ومعناه لا تتكلف في طلب الرزق، وتضيع ما كلفت به من الشرائع.

بشارة للخواص والدينوري:

ج 6: ذكر عن أبي بكر الكتاني قال: رأيت كأن القيامة قد قامت فأول من خرج من عند الله أبو جعفر الدينوري وكتابه بيمينه وهو يضحك، ثم خرج إبراهيم الخواص بعده وكتابه بيمينه وهو يدرس القرآن.

من فضل موت الأولاد:

ج 6: ذكر إبراهيم الحربي المحدث الفقيه الزاهد الصالح وذكر أنه كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه مات سنة خمس وثمانين ومائتين. ذكر عنه أنه كان له ولد ابن إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن ولقنه من الفقه شيئا كثيرا قال: فمات فجاء محمد بن خلف وكيع يعزيه فقال له: كنت أشتهي موت ابني هذا قال: قلت يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه قال: نعم رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم حار شديد حَرُّهُ قال فقلت لأحدهم أسقني من هذا الماء قال: فنظر إلي وقال ليس أنت أبي فقلت: فايش أنتم فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباءنا نستقبلهم ونسقيهم الماء قال فلهذا تمنيت موته.. وأقول جاء في السنة الفضل الكبير لمن يموت له الأولاد وأن من مات له ولدان أو ثلاثة لا تمسه النار إلا تحلة القسم.

ومن كلام الإمام الحربي أنه قال لجماعة كانوا عنده: ما تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال وحد منهم: الغريب من نآى عن وطنه وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه وقال كل واحد منهم شيئا قال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين إن أمر بالمعروف آزروه وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا ويتركوه..

فضل كتابة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

ج 6: ذكر في ترجمة إبراهيم الدارمي المعروف بنهشل أنه قال: كنت أكتب في تخريجي للحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم تسليما قال: فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام كأنه قد أخذ شيئا مما أكتبه فنظر فيه قال: فقال هذا جيد..

ما هو الإرجاء:

ج 6: وذكر إبراهيم بن طهمان ونقل عن جماعة أنهم وصفوه بالإرجاء مع ثقته ثم ذكر بسنده عن أبي الصلت قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما قدم علينا خراساني أفضل من أبي رجاء عبد الله بن واقد الهروي قلت له: فإبراهيم بن طهمان؟ قال: كان ذاك مرجئا. قال أبو الصلت: لم يكن إرجاؤهم هذا المذهب الخبيث أن الإيمان قول بلا عمل، وأن ترك العمل لا يضر بالإيمان بل كان إرجاؤهم أنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر الغفران ردا على الخوارج وغيرهم الذين يكفرون الناس بالذنوب، فكانوا يرجون ولا يكفرون بالذنوب ونحن كذلك. ثم نقل عن وكيع بن الجراح قال: سمعت سفيان الثوري في آخر أمره يقول: نحن نرجو لجميع أهل الذنوب والكبائر الذين يدينون ديننا ويصلون صلاتنا، وإن عملوا أي عمل كان شديدا على الجهمية.

أقول الإرجاء المذموم الذي حذر منه السلف وطعنوا به على أصحابه هو اعتقاد أن الإيمان لا يضر معه شيء من الذنوب فمن آمن فهو مؤمن وإن ترك الفرائض، وارتكب الذنوب والفواحش. فهؤلاء مبتدعة ضالون مخالفون للقرآن والسنة والإجماع.

ومذهب السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والحق أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأن الإيمان يزيد بزيادة الطاعات والقربات وينقص

بنقصانها وأن من اتقى الله وأدى ما فرض الله تعالى عليه وانتهى عما نهى الله تعالى عليه ومات على ذلك كان سعيدا عند الله تعالى وأما من آمن وترك الأعمال وارتكب الذنوب والفواحش فهو فاسق فاجر وفي الأئمة من كفره فإن مات على الشهادة كان في مشيئة الله تعالى.

بشارة لإبراهيم بن طهمان وجماعة من الأئمة:

ج 6: وذكر عن أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم قال: سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئا من علة فاستوى جالسا وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ ثم قال أحمد حدثني رجل من أصحاب ابن المبارك قال: رأيت ابن المبارك في المنام ومعه شيخ مهيب فقلت: من هذا معك؟ قال: أما تعرف هذا؟ هذا سفيان الثوري قلت: من أين أقبلتم؟ قال: نحن نزور كل يوم إبراهيم بن طهمان قلت: وأين تزورونه؟ قال في دار الصديقين دار يحيى بن زكرياء.

الغيبة بالقلب عند الصالحين:

ج 6: وذكر بسنده إلى الإمام إبراهيم الآجري المشهور بالفضل والصلاح قال: كنت يوما قاعدا على باب المسجد في يوم شات، إذ مر بي رجل عليه خرقتان فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون فقلت في نفسي: لو عمل هذا بيده لكان خيرا له قال: ومضى الرجل فلما كان بالليل أتاني ملكان فأخذا بضبعي، ثم أدخلاني المسجد الذي كنت على بابه قاعدا، فإذا برجل نائم عليه خرقتان، فكشفا عن وجهه فإذا هو الذي مر بي فقالا لي: كل لحمه فقلت: ما اغتبته قالا لي: بل حادثت نفسك بغيبته، ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا قال: فانتبهت فزعا فمكثت ثلاثين يوما أقعد على باب ذلك المسجد لا أقوم منه إلا لفرض أنتظر أن يمر بي فأستحله فلما كان يوم الثلاثين مر بي على حاله والخرقتان عليه فوثبت إليه فغمز وغمزت خلفه فلما خفت أن يفوتني قلت يا هذا أكلمك قال فالتفت إلي ثم قال يا إبراهيم وأنت أيضا ممن يغتاب المؤمنين بقلبه؟ قال: فسقطت مغشيا علي فأفقت وهو عند رأسي فقال: أتعود؟ قلت: لا ثم غاب من بين عيني فلم أره بعد ذلك.

في هذه الحادثة دليل على أن حديث النفس قد يكون مذموما إذا كان متعلقا بالآخرين فقد يكون من سوء الظن، وقد يكون حسدا، وقد يكون حقدا وضغنا، نسأل الله عز وجل أن يطهر قلوبنا ويزكيها من الأقذار والأدناس الباطنة.

كرامة للآجري في عدم تأثير النار فيه وفي ثوبه:

ج 6: فذكر عنه قال: إن يهوديا جاءه يقتضيه شيئا من ثمن قصب فكلمه في أن يسلم فقال له: أرني شيئا أعرف به شرف الإسلام وفضله على ديني حتى أسلم قال أو تفعل قال: نعم قال: هات رداءك قال: فأخذه فجعله في رداء نفسه ولف رداءه عليه ورمى به في النار ودخل في إثره فأخذ الرداء وخرج من النار ففتح رداء نفسه فإذا هو صحيح، وأخرج رداء اليهودي حراقا أسود من جوف الرداء نفسه فأسلم اليهودي.. هذه كرامة عظيمة وقد تكررت في الأمة من جماعة من الصالحين.

رؤيا كانت سبب توبته:

ج 6: إسماعيل بن القاسم أبو إسحاق المعروف بأبي العتاهية المشهور كان من أشعر أهل زمانه يماثل أبا نواس وكان في ابتداء أمره ماجنا يقول الشعر في الغزل والمديح والهجاء وقصته مع الأميرة عُتْبَة في عشقه إياها مشهورة ذكرها الخطيب وغيره.

ثم أخيرا تاب وتنسك وعدل عما كان عليه إلى الشعر في الزهد والوعظ وكان سبب توبته ما ذكره الخطيب بسنده إلى حماد بن شقيف قال: قال أبو سلمة الغنوي: قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ قال: إذا والله أخبرك أني لما قلت:

الله بيني وبين مولاتي	أهدت لي الصد والملالات
منحتها مهجتي وخالصتي	فكان هجرانها مكافأتي
هيمني حبها وصيرني	أحدوثة في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟ فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.

وهو القائل:

أيـا عجبـي كـيف يعـصى الإلـه أم كـيف يجحـده جاحـد
ولله فـي كـل تحـريكة وفـي كـل تـسكينة شـاهد
وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل علـى أنـه واحـد

وكان أبو نواس مع كبر شأنه في الشعر وجاهه عند الأمراء... يجل أبا العتاهية ويعظمه فقد ذكر الخطيب بسنده إلى هرون بن سعدان قال: كنت جالسا مع أبي نواس في بعض طرق بغداد وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل بين بني هاشم وفتيانهم والقواد وأبنائهم ووجوه أهل بغداد فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم ولا يقبض رجله إليه إذ أقبل شيخ راكبا على حمار مربيسي وعليه ثوبان ديبقيان قميص ورداء قد تقنع به ورده على أذنه فوثب إليه أبو نواس وأمسك الشيخ على حماره واعتنقا وجعل أبو نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى مستريحا من الإعياء ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس فجلس في مكانه فقال له بعض الحاضرين: من هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الإعظام، وتجله هذا الإجلال؟ فقال: هذا إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية فقال له السائل: لم أجللته هذا الإجلال وساعة منك عند الناس أكثر منه قال: ويحك لا تفعل فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي.

توفي أبو العتاهية سنة إحدى عشرة ومائتين بعد أبي نواس باثنتي عشرة سنة وسيأتي لنا ذكر أبي نواس أيضا إن شاء الله تعالى.

كرامة للشيخ إسماعيل بن شاهين:

ج 6: ذكر الخطيب في ترجمة الشيخ الصالح إسماعيل بن أسد بن شاهين بسنده إليه قال: اشتهيت حلواء فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا جنبتي الطريق أخاذين حلواء فنوديت يا إسماعيل هذا الذي اشتهيت وإن تركته خير لك فتركته..

قال الخطيب... **والناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخي** بينهما قبور يسيرة وهو بينه وبين المسجد المعروف بمسجد الخضر **وقد زرته مرارا.**

بشارة وعتاب:

ج 7: ذكر الخطيب في ترجمة أسود بن سالم العابد بسنده إلى أحمد بن الحكم الصاغاني قال: جاء رجل إلى ابن حميد قال: إني اغتبت أسود بن سالم فأتيت في منامي فقيل لي: تغتاب وليا من أولياء الله تعالى لو ركب حائطا ثم قال له سر لسار.

طريفة فيها عبرة:

ج 7: ذكر في ترجمة بشر المريسي المبتدع الضال الذي كان يقول بخلق القرآن وينفي عذاب القبر ويقول منكر ونكير باطل وينفي الصراط والميزان ورؤية الله يوم القيامة وشفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم... أنه لما هلك وذهب إلى أمه الهاوية لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلا عبيد الشونيزي فلما رجع من جنازة المريسي أقبل عليه أهل السنة والجماعة قالوا:

يا عدو الله تنتحل السنة والجماعة وتشهد جنازة المريسي قال: أنظروني حتى أخبركم ما شهدت جنازة رجوت فيها من الأجر ما رجوت في شهود جنازته لما وضع في موضع الجنائز قمت في الصف فقلت: اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر اللهم فعذبه اليوم في قبره عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة اللهم فلا تشفع فيه أحدا من خلقك يوم القيامة قال: فسكتوا عنه وضحكوا..

موعظة وعبرة:

ج 7: وذكر بسنده إلى أحمد بن الدورقي قال: مات رجل من جيراننا شاب فرأيته في الليل وقد شاب فقلت: ما قصتك؟ قال: دفن بشر في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة..

من أخبار بشر بن الحارث الحافي:

بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى قال فيه الخطيب.. كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل وأنواع الفضل وحسن الطريقة واستقامة المذهب وعزوف النفس وإسقاط الفضول...

ثناء الائمة عليه:

ذكر بسنده إلى محمد بن المثنى قال: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في هذا الرجل؟ فقال لي: أي الرجال؟ فقلت له: بشر فقال لي: سألتني عن رابع سبعة من الأبدال، أو عامر بن عبد قيس، ما مثله عندي إلا مثل رجل ركز رمحا في الأرض ثم قعد منه على السنان فهل ترك لأحد موضعا يقعد فيه.

وذكر عن المَرُّوذِي قال: لما قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل مات بشر بن الحارث قال: مات وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن عبد قيس فإن عامرا مات ولم يترك شيئا، وهذا قد مات ولم يترك شيئا ثم قال: لو تزوج كان قد تم أمره.

وذكر عن إبراهيم الحربي قال: رأيت رجالات الدنيا لم أر مثل ثلاثة: رأيت أحمد بن حنبل وتعجز النساء أن تلد مثله، ورأيت بشر بن الحارث من قرنه إلى قدمه مملوءا عقلا، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلام كأنه جبل نفخ فيه علم..

وقال أيضا ما أخرجت بغداد أتم عقلا، ولا أحفظ للسانه من بشر بن الحارث كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة، ما عرف له غيبة لمسلم لو قسم عقله على أهل بغداد صاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء..

من وصاياه:

ذكر بسنده عن أحمد بن مسكين قال: خرجت في طلب بشر بن الحارث من باب حرب فإذا به جالس وحده فأقبلت نحوه فلما رآني مقبلا خط بيده على الجدار وولى فأتيت موضعه فإذا هو قد خط بيده:

الحمد لله لا شريك له ... في صبحه دائما وفي غلسه

لم يبق لي مؤنس فيؤنسني ... إلا أنيس أخاف من أنسه

فاعتزل الناس يا أخي ولا ... تركن إلى من تخاف من دنسه

وذكر أيضا عن الحسن بن عمرو المروزي قال: سمعت بشرا وجاء إليه أصحاب الحديث يوما وأنا حاضر فقال لهم بشر: ما هذا الذي أرى معكم قد أظهرتموه قالوا: يا أبا نصر نطلب هذه العلوم لعل الله ينفع بها يوما قال قد علمتم أنه يجب عليكم فيها زكاة كما يجب على أحدكم إذا ملك مائتي درهم خمسة دراهم،

فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مائتي حديث أن يعمل منها بخمسة أحاديث، وإلا فانظروا ايْش يكون هذا عليكم غدا.. وأخباره كثيرة مبسوطة عند غير الخطيب.

من مبشراته:

ذكر عن أبي حفص عمر بن أخت بشر بن الحارث قال: حدثتني أمي قالت جاء رجل إلى الباب فدقه فأجابه بشر من هذا؟ قال: أريد بشرا فخرج إليه فقال له: حاجتك عافاك الله؟ فقال له: أنت بشر؟ فقال: نعم حاجتك؟ فقال إني رأيت رب العزة تعالى في المنام وهو يقول لي اذهب إلى بشر فقل له يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما أديت شكري فيما قد بثثت لك أو نشرت لك في الناس فقال له: أنت رأيت هذا؟ فقال: نعم رأيته ليلتين متواليتين فقال: لا تخبر به أحدا ثم دخل وولى وجهه إلى القبلة وجعل يبكي ويضطرب ويقول: اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا ونوهت باسمي، ورفعتني فوق قدري على أن تفضحني في القيامة الآن فعجل عقوبتي، وخذ مني بقدر ما يقوى عليه بدني.

وذكر عن حجاج بن الشاعر أنه قال لسليمان اللؤلؤي: رؤي بشر بن الحارث في النوم فقيل له: ما فعل الله بك يا أبا نصر؟ قال: غفر لي وقال يا بشر ما عبدتني على قدر ما نوهت باسمك.

وذكر عن الحسن بن مروان قال: رأيت بشر بن الحارث في المنام فقلت: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وغفر لكل من تبع جنازتي قال: قلت ففيم العمل؟ قال: افتقد الكسرة - يعني انظر من أين تأكل وتوق الحرام - .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وعشرين ومائتين وسنه خمس وسبعون سنة.

من نوادر ثمامة بن أشرف المعتزلي:

ثمامة هذا كان رأسا في الاعتزال خبيث العقيدة. ذكر الخطيب عن محمد بن أبي كبشة قال: كنت في سفينة في البحر فسمعت هاتفا يهتف وهو يقول لاإلاه إلا الله كذب المريسي على الله ثم عاد الصوت فقال لاإلاه إلا الله على ثمامة والمريسي لعنة الله قال وكان معنا في المركب رجل من أصحاب المريسي فخر ميتا.. ولثمامة هذا أخبار ونوادر.

فمن ذلك ما ذكره عن الجاحظ قال: حدثني ثمامة بن أشرس قال: شهدت رجلا يوما وقد قدم خصما إلى بعض الولاة فقال: أصلحك الله ناصبي، رافضي، جهمي، مشبه، مجبر، قدري، يشتم الحجاج بن الزبير، الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان ويلعن معاوية بن أبي طالب فقال له الوالي ما أدري مما أتعجب من علمك بالأنساب أو من معرفتك بالمقالات فقال: أصلحك الله ما خرجت من الكتاب حتى تعلمت هذا كله...

وأقول: ما أدري أكان هذا الرجل جاهلا ومغفلا لهذه الدرجة أم كان عابثا يضحك على الوالي ويهزأ به؟ والظاهر الأول.

ومنها ما حكاه عنه الجاحظ أيضا قال ثمامة دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام ثم خرجت فإذا فوقه صبي فقلت لم ركبت حماري بغير إذني؟ قال: خفت أن يذهب فحفظته لك قلت لو ذهب كان أعجب إلي من بقائه قال: فإن كان هذا رأيك في الحمار فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي واربح شكري فلم أدر ما أقول.

المرتعش وسبب تصوفه وزهده:

قال جعفر أبو محمد المرتعش من كبار مشايخ الصوفية وهو نيسابوري وكان من ذوي الأحوال وأرباب الأموال فتخلى منها وصحب الفقراء وسافر كثيرا ثم استوطن بغداد إلى أن مات بها.

ثم ذكر بسنده إلى أحمد بن محمد بن عامر بن هرون الدهان حدثنا جعفر المرتعش ببدإ أمره وخروجه إلى هذا الأمر قال - يعني التصوف - قال: كنت ابن دهقان فبينا أنا جالس على باب داري بنيسابور إذ جاء شاب عليه مُرَقَّعَةٌ وعلى رأسه خرقة وأشار إلي متعرضا لي إشارة لطيفة، فقلت في نفسي: شاب جلد صحيح البدن لا يأنف من هذا؟ ولم أرد عليه جوابا، فصاح في وجهي صيحة أفزعتني؟ ووجدت من قوله رعبا شديدا ثم قال: أعوذ بالله مما خامر في سرك واختلج به صدرك فغشي علي وسقطت على وجهي فخرج خادم لنا فرآني على تلك الحال فرفع رأسي من الأرض وجعله في حجره واجتمع حولي خلق كثير فما أفقت إلا بعد حين وقد مر الشاب وليس أراه فتحسرت عليه وندمت على ما كان مني فبت ليلتي بغم، فرأيت علي بن أبي طالب عليه السلام في منامي ومعه ذلك الشاب

وعلي يشير إلي ويؤنبني ويقول: إن الله لا يجيب سؤال مانع سائليه فانتبهت ففرقت ما كان لي وخرجت إلى السفر فسمعت بوفاة والدي بعد خمس عشرة سنة فرجعت وسألت الله تعالى العون على خلاصي مما ورثت فأعان الله تعالى.

الإمام الجنيد وأخباره:

ذكر الإمام الجنيد رحمه الله تعالى وقال فيه: الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ويقال القواريري.. وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد وسمع بها الحديث، ولقي العلماء، ودرس الفقه على أبي ثور، وصحب جماعة من الصالحين، واشتهر منهم بصحبة الحارث المحاسبي، وسري السقطي ثم اشتغل بالعبادة ولازمها حتى علت سنه، و صار شيخ وقته، وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية، وطريقة الوعظ، وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة.. وترجمة هذا الإمام واسعة عند غير الخطيب.

ثناء الناس على الجنيد من اهل عصره:

ذكر عن أحمد بن موسى المنادي قال: كان الجنيد قد سمع الحديث الكثير من الشيوخ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق من الذكاء وصواب الجوابات في فنون العلم ما لم ير في زمانه مثله عند أحد من قرنائه، ولا ممن أرفع سنا منه ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها..

وذكر عن أبي القاسم الكعبي قال: رأيت لكم شيخا ببغداد يقال له الجنيد بن محمد ما رأت عيناي مثله، كأن الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلمون يحضرونه لزمام علمه، وكلامه بائن عن فهمهم وكلامهم وعلمهم... وذكر عن إسماعيل بن نجيد قال: كان يقال: إن في الدنيا من هذه الطبقة ثلاثة لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن جلاء بالشام.

قوله في شان التصوف:

ذكر الخطيب عن علي بن هرون الحربي ومحمد بن أحمد الوراق قالا: سمعنا أبا القاسم الجنيد غير مرة يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

وعن عبد الواحد بن علوان الرحبي قال: سمعت الجنيد يقول: علمنا هذا قال يعني التصوف مشبك بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وعن الحريري قال سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

رؤي في يده سبحة:

وذكر عن الحسن بن علي الدقاق قال: رؤي في يد الجنيد سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه..

من بشاراته:

وذكر عن عبد الله بن علي قال: سمعت الجنيد يقول: رأيت في المنام كأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أخذ بعضدي من خلفي، فما زال يدفعني حتى أوقفني بين يدي الله تعالى فسألت جماعة من أهل العلم فقالوا: إنك رجل تقود العلم إلى أن تلقى الله تعالى. وذكر عن جعفر الخلدي في كتابه قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفذت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار.

وهذا يدل على أن الأحوال والكرامات لا تنفع في الآخرة وإنما تنفع الأعمال وفعل القربات من الصيام والقيام والتلاوة والذكر والتوحيد ومعرفة الله عز وجل...

كرامة ومكاشفة:

وذكر بسنده إلى خير النساج قال: كنت يوما جالسا في بيتي فخطر لي خاطر أن أبا القاسم جنيدا بالباب أخرج إليه، فنفيت ذلك عن قلبي وقلت وسوسة فوقع لي خاطر ثاني يقتضي مني الخروج أن الجنيد على الباب فأخرج إليه فنفيت ذلك عن سري فوقع لي خاطر ثالث فعلمت أنه حق وليس بوسوسة، ففتحت الباب، فإذا بالجنيد قائم فسلم علي وقال: يا خير ألا خرجت مع الخاطر الأول..

وفي هذا كرامتان كرامة لخير بمكاشفته بأن الجنيد بالباب وكرامة للجنيد بمكاشفته بما خطر لخير ثلاث مرات.

والمكاشفة للأولياء إحدى أنواع كراماتهم رضي الله تعالى عنهم وعنا معهم.

مكاشفة اخرى للجنيد مع عبرة:

وذكر بسنده إلى أبي عمرو بن علوان قال: خرجت يوما إلى سوق الرحبة في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها، ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد فلححت بالنظر، واسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت إلى منزلي، فقالت لي عجوز لي: يا سيدي مالي أرى وجهك أسود؟ فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود، فرجعت إلى سري أنظر من أين دهيت فذكرت النظرة فانفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوما فخطر لي في قلبي أن زر شيخك الجنيد فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي: ادخل يا أبا عمرو تدنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد.

سلم أيها القارئ ولا تكن من المنكرين فإن هذا من باب ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.

وباب حديث (لقد كان فيمن قبلكم محدثون)الخ أي ملهمون ومكلمون من قبل الله تعالى.

توفي الجنيد عام ثمانية وتسعين ومائتين.

موعظة وعبرة:

ج 7: ذكر في ترجمة أبي الغادي الصوفي بسنده إلى إبراهيم بن شيبان قال: كان عندنا شاب عبد الله عشرين سنة فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا أعجلت في التوبة والعبادة وتركت لذات الدنيا فلو رجعت فإن التوبة بين يديك قال: فرجع إلى ما كان عليه من لذات الدنيا قال: فكان يوما في منزله قاعدا في خلوة فذكر أيامه مع الله تعالى فحزن عليها وقال: أترى إن رجعت يقبلني؟ قال: فنودي يا هذا عبدتنا فشكرناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك..

هذا من لطف الله عز وجل بعباده ورحمته بهم فإنه ذو الفضل الواسع والمغفرة الشاملة.

إخبار بموت رجل صالح:

ج 7: ذكر في ترجمة أبي علي الصواف المقرئ بسنده إلى ابن أبي القاسم الغزال قال: رأيت في النوم كأن قائلا يقول: يا ملك الموت اقبض روح الرجل الصالح يعني أبا علي الصواف قال: فخرجت في السحر فإذا الناس يقولون قد مات أبو علي الصواف.

غفر الله له ولمن صلى عليه أو ترحم عليه:

ج 7: ذكر في ترجمة الحسن بن عيسى الماسرجسي بسنده إلى القاضي محمد بن أحمد الجورجاني قال: كنت فيمن حج مع الحسن بن عيسى وقت وفاته بالثعلبية سنة أربعين ومائتين ودفن بها فاشتغلت بحفظ محملي وآلاتي عن حضور جنازته والصلاة عليه لغيبة عديلي عني فحرمت الصلاة عليه فأريته بعد ذلك في منامي فقلت له: يا أبا علي ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي قلت: غفر لك ربك؟ كالمستخبر قال نعم، غفر لي ربي ولكل من صلى علي قلت: فإني فاتتني الصلاة عليك لغيبة العديل عن الرجل فقال: لا تجزع فقد غفر لي ربي ولمن صلى علي ولكل من يترحم علي.

رآى رب العزة والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يشفع في رجل:

ج 7: ذكر في ترجمة الحسن أبي حسان الزيادي عن إسحاق الحربي قال: بلغني أن أبا حسان الزيادي رآى رب العزة تعالى في النوم فلقيته فقلت: بالذي أراك ما أراك إلا حدثتني بالرؤيا قال: نعم، رأيت نورا عظيما لا أحسن أصفه ورأيت فيه شخصا يخيل إلي أنه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان يشفع إلى ربه في رجل من أمته وسمعت قائلا يقول ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ ثم انتبهت..

رآى حوراء له:

ج 7: ذكر في ترجمة الحسن أبي علي المسوحي أحد الكبراء من شيوخ الصوفية قال كان أستاذ أكثر البغداديين مثل أبي حمزة وأبي محمد الجريري

وغيرهما وهو من كبار أصحاب سري وهو أول من عقدت له الحلقة ببغداد يتكلم في هذه العلوم ولما قعد حضره جماعة أصحاب السري ولم يتخلف عن مجلسه أحد.

ثم ذكر بسنده إلى الجنيد، وأبي العباس بن مسروق، وأبي أحمد المغازلي، والجريري وغيرهم قالوا: سمعنا حسنا المسوحي يقول: كنت آوي باب الكناس كثيرا وكنت أقرب من مسجد ثم أتفيأ فيه من الحر وأستكن فيه من البرد فدخلت يوما وقد كان كظني الحر واشتد علي فتفيأت فغلبتني عيني فنمت فرأيت كأن سقف المسجد قد انشق، وكأن جارية قد تدلت علي من السقف عليها قميص فضة يتخشخش، ولها ذؤابتان قال: فجلست عند رجلي، فقبضت رجلي عنها، فمدت يدها فنالت رجلي فقلت لها: يا جارية لمن أنت؟ قالت: أنا لمن دام على ما أنت عليه تعني طريق الزهد والنسك والاستقامة..

أبو نواس وغفران الله له بأبيات قالها آخر حياته:

ج 7: الحسن بن هانئ أبو نواس كان قد قرأ القرآن وسمع الحديث واشتغل بالعلوم العربية حتى صار أعلم أهل زمانه بالشعر قال أبو عبيدة كان أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين. وقال الجاحظ: ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة الاستكثار.

وسئل ابن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء فقال: إذا رويت من الجاهليين لامرئ القيس، والأعشى، ومن الإسلاميين لجرير والفرزدق، ومن المحدثين لأبي نواس فحسبك. وكان أبو نواس متهتكا ماجنا... وله أخبار كثيرة في ذلك ثم ندم وتاب عند موته فغفر الله عز وجل له ورحمه فإنه تعالى الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت.

ذكر الخطيب بسنده إلى الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: دخلنا على أبي نواس وهو يجود بنفسه فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال:

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

ثم ذكر بسنده أيضا عن محمد بن نافع قال: كان أبو نواس لي صديقا فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره ثم بلغني وفاته فتضاعف علي الحزن فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا أنا به فقلت أبو نواس قال: لا تحين كنية قلت الحسن بن هانئ قال: نعم قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها هي تحت ثني الوسادة فأتيت أهله فلما أحسوا بي أجهشوا بالبكاء فقلت لهم: هل قال أخي شعرا قبل موته؟ قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو؟ فقلت: أتأذنوا لي فأدخل قال فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد فرفعت وسادة فلم أر شيئا فرفعت أخرى فإذا برقعة فيها مكتوب:

يــا رب إن عظمــت ذنوبــي كثــرة ... فلقــد علمــت بــأن عفــوك أعظــم
إن كـــان لا يـــرجوك إلا محـــسن ... فمـن الـذي يدعـو ويـرجو المجـرم
أدعــوك ربــي كمــا أمــرت تــضرعا ... فــإذا رددت يــدي فمــن ذا يــرحم
مالـــي إلـــيك وســـيلة إلا الـــرجا ... وجمـيل عفــوك ثــم إنــي مــسلم

يرجو شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم:

ج 1: وذكر في ترجمة محمد بن أحمد بن كثير الصيرفي عنه قال: دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له عيسى بن موسى الهاشمي يا أبا علي أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله تعالى قال لهم أبو نواس: أسندوني فلما استوى جالسا قال: إياي تخوف بالله وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت البُنَانِي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

(لكل نبي شفاعة، وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة) أفترى لا أكون منهم.

توفي رحمه الله تعالى وإيانا ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة وعمره تسع وخمسون سنة.

بشارة لأبي عبد الله المحاملي:

ج 8: ذكر في ترجمة الحسين بن إسماعيل القاضي المحاملي عن أبي بكر محمد بن الحسين بن الإسكاف الفقيه يقول كنت ببغداد محتارا في أمر أبي عبد الله المحاملي وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي فكنت أنا أفضل ابن أبي حاتم على

المحاملي فرأيت تلك الليلة فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي استغفر في أمر المحاملي فإن الله ليدفع البلاء عن أهل بغداد به فلا تستصغر أمره..

بشارة للحسين بن حريث:

ج 8: ذكر في ترجمة الحسين بن حريث بسنده إلى محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: رأيت أبا عمار الحسين بن حريث في المنام بعد وفاته كأنه على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان عليه ثياب بياض وفي رأسه عمامة خضراء وهو يقرأ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝ ﴾ فأجابه مجيب من موضع القبر حقا قلت يا زين أركان الجنان.

بشارة من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام:

ج 8: ذكر في ترجمة حسين الكرابسي بسنده إلى البختري عبد الله بن محمد بن شاكر قال: سمعت حسينا الكرابسي يقول: ما خص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليا بفضيلة إلا وقد شركه فيها فلان وفلان وجليبيب قال: فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فسمعته يقول: كذب ما هو كهم، ولا محله كمحلهم، ولا منزلته كمنزلتهم.

بشارة نبوية للحسين أبي علي الدباغ:

ج 8: ذكر بسنده إلى أبي العباس السراج قال: سمعت الحسين بن أبي زيد يقول: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحييني على الإسلام فقال لي: والسنة وجمع إبهامه وسبابته، وحلق حلقة وقال ثلاث مرة: والسنة، والسنة، والسنة.

رؤيا في الحسين الحلاج:

ج 8: ذكر الحلاج وقال فيه...: خالط الصوفية وصحب من مشيختهم الجنيد وأبا الحسين النوري، وعمر المكي قال: والصوفية مختلفون فيه فأكثرهم نفى الحلاج أن يكون منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن حفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصراباذي

النيسابوري وصححوا له حاله ودونوا كلامه حتى قال ابن حفيف: الحسين بن منصور عالم رباني...

والقول الفاصل فيه أنه بلغ مقاما في الفناء والجمع وغاب عن حسه في الله عز وجل فجعل ينطق على لسان الحضرة الإلاهية وينطق بما ظاهره الكفر فأخذ لذلك وجلد وصلب وقتل. والصوفية المتأخرون مطبقون على أنه شهيد معركة الوحدة الإلاهية وبعض ما جاء في كلامه عند قتله مع الرؤيا الآتية يدل على ما ذكر.

ذكر الخطيب بسنده إلى أبي العباس الرزاز قال: كان أخي خادما للحسين بن منصور قال: لما كانت الليلة التي وعد من الغد قتله قلت له يا سيدي أوصني فقال لي عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك قال فلما كان من الغد فأخرج للقتل قال: حسب الواحد إفراد الواحد له ثم خرج يتبختر في قيده ويقول:

نديمـــــي غيـــــر منـــــسوب	إلـــى شـــيء مـــن الحـــيف
ســـقاني مـــثل مـــا يـــشر	ب فعـــل الـــضيف بالـــضيف
فلمـــــا دارت الكـــــأس	دعـــا بالـــنِّطَعِ والـــسيف
كـــذا مـــن يـــشرب الـــراح	مـــع التنـــين فـــي الـــصيف

ثم قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

وذكر بسنده إلى أبي بكر المحيلي قال: سمعت أبا الفاتك البغدادي وكان صاحب الحلاج قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي تعالى فأقول يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت.

وذكر ابن العربي الحاتمي قصة قتله وسببها في فتوحاته بمعنى آخر حصل له في عالم الأرواح مع نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وخلاصة ذلك أن روحه التقت مع روح النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له: يا رسول الله إن الله عز وجل قال لك فيما أنزل عليك: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ وقد قلت: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وهذا لا يليق بمقامك فكان الأحرى بك أن تقول شفاعتي لكل بني آدم أو ما هذا معناه فقال له

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: قد كفرت لأنك خالفت القرآن.. فالله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا وقال فريق في الجنة وفريق في السعير وقد قضى بأن من كفر به أدخله النار مخلدا فيها فكيف أشفع في هؤلاء فقال له: وما توبتي قال: أن تنطق بما ظاهره الكفر في الشريعة لتقتل ففعل ما حصل حتى قتل.

هذا معنى ما ذكره الحاتمي فقد طال عهدي بذلك وعلى أي فالأسلم للمسلم الخروج من مثل هذه المآزق بعدم التكفير وليسلم أمر الرجل إلى الله تعالى فإننا غير مسئولين عما جنته يداه وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. والله أعلم.

من أخبار الحارث المحاسبي:

ج 8: ذكر الحارث بن أسد أبا عبد الله المحاسبي وقال فيه: أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن... قال: وللحارث كتب كثيرة في الزهد وفي أصول الديانات، والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرهما وكتبه كثيرة الفوائد جمة المنافع.

أقول: المحاسبي رجل عظيم من أكابر شيوخ الصوفية وشيخ أكثر مشايخ عصره، وحسبه نبلا وعظمة أن يكون الجنيد تلميذه.

من قوته في معرفة الله ومقامه في المشاهدة والجمع:

ج 8: ذكر الخطيب بسنده إلى جعفر الخلدي في كتابه قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول اخرج معنا نهجر فأقول له: تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات؟ فيقول: اخرج معي ولا خوف عليك فأخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء، لا نرى شيئا نكرهه، فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي: سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي: سلني عما يقع في نفسك، فتنثال علي السؤالات فأسأله عنها فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتبا قال وكنت كثيرا أقول للحارث عزلتي أنسي تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات؟ فيقول لي: كم أنسي وعزلتي؟ لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا، ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم..

زهده الكامل في الدنيا وشهواتها:

ج 8: وذكر عن الجنيد أنه قال: مات أبو الحارث المحاسبي يوم مات وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة وخلف والده مالا كثيرا وما أخذ منه حبة واحدة وقال: أهل ملتين لا يتورثان وكان أبوه واقفيا.

وقال الجنيد أيضا: كان الحارث كثير الضر واجتازني يوما وأنا جالس على بابنا فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع فقلت له: يا عم، لو دخلت إلينا نلت من شيء عندنا قال: أو تفعل؟ قلت نعم وتسرني بذلك وتبرني فدخلت بين يديه ودخل معي وعمدت إلى بيت عمي - وكان أوسع من بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا - سريعا فجئت بأنواع كثيرة من الطعام فوضعته بين يديه، فمد يده وأخذ لقمة فرفعها إلى فيه، فرأيته يلوكها ولا يزدردها، فوثب وخرج ما كلمني فلما كان الغد لقيته فقلت: يا عم سررتني ثم نغصت علي؟ قال: يا بني أما الفاقة فكانت شديدة وقد اجتهدت في أن أنال من الطعام الذي قدمته إلي ولكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع إلى أنفي زفرة فلم تقبله نفسي فقد رميت تلك اللقمة في دهليزكم وخرجت.

من غريب مذهبه:

ج 8: ومن غريب أمره أنه كان يعتقد كفر والده لأنه كان واقفيا يعني لا يقول بخلق التلفظ بالقرآن ولا بقدم ذلك وذلك عند طائفة من المتشددين كفر كالمحاسبي هذا والإمام أحمد وغيرهما وهو غلو وتشدد لا معنى له. ولذلك لم يرث من مال والده شيئا واستدل لذلك بحديث لا يتوارث أهل مليتن وذكر الخطيب أيضا بسنده إلى أبي علي بن خيران الفقيه قال: رأيت أبا عبد الله الحارث بن أسد بباب الطاق في وسط الطريق متعلقا بأبيه والناس قد اجتمعوا عليه يقول له: طلق أمي فإنك على دين، وهي على غيره.

بين المحاسبي والامام أحمد:

ج 8: قال الخطيب: وكان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره في الكلام وتصانيفه الكتب فيه ويصد الناس عنه ثم ذكر بسنده إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق يعني الصبغي قال: سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول قال لي أحمد بن حنبل يوما يبلغني أن الحارث هذا - يعني المحاسبي - يكثر الكون عندك، فلو

أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه؟ فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت: وتسئل أصحابك أن يحضروا معك فقال: يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رءوسهم الطير فمنهم من يبكي، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج.

وفي قصة ما ذكر السراج إن صحت مؤاخذات على المحاسبي وأصحابه رحم الله الجميع.

بين المحاسبي وابي زرعة:

ج 8: ذكر بسنده إلى سعيد بن عمر البرذعي قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب قيل له: في هذه الكتب عبرة قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتون مرة بالمحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع...

وأقول: قد علم كل أناس مشربهم فأبو زرعة هذا وأمثاله من المحدثين كانوا يكرهون علم الكلام والتوحيد المشوب بالفلسفة والمنطق وكان أصحاب هذه

المدرسة يردون بذلك على المعتزلة وأضرابهم من أهل البدع وكان قصدهم صالحا كما كانوا يكرهون الكلام في أحوال النفس وخطراتها ووساوسها والكلام في دقيق التوحيد والمقامات والأحوال واستخراج علوم لا صلة للمحدثين بها فكانوا لذلك ينكرون عليهم ويحذرون منهم والكل مجتهد مخلص صادق والله يرحمنا وإياهم جميعا.

اخر امر المحاسبي:

ج 8: ذكر الخطيب بسنده إلى جعفر بن أخي أبي ثور قال: حضرت وفاة الحارث يعني المحاسبي فقال: إن رأيت ما أحب تبسمت إليكم، وإن رأيت غير ذلك تبينتم في وجهي قال، فتبسم ثم مات وكان ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

بشارة لزيد بن أسلم:

ج 8: ذكر في ترجمة الحارث بن مسكين المصري بسنده إلى ابن وهب قال:

حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: جاء رجل من الأنصار إلى أبي فقال: يا أبا أسامة إني رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر وخرجوا من هذا الباب فإذا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: انطلقوا بنا إلى زيد بن أسلم نجالسه ونسمع من حديثه قال: فلم يكن بقاء أبي بعد هذا إلا قليلا...

غفر الله له والملائكة تشتاق إلى رؤيته:

ج 8: ذكر في ترجمة أبي مطيع البلخي بسنده إلى شوذب بن جعفر قال: رأيت الليلة أبا مطيع في المنام فكأني قلت ما فعل الله بك؟ فسكت حتى ألححت عليه فقال: إن الله قد غفر لي وفوق المغفرة قال: قلت: فما حال أبي معاذ قال: الملائكة تشتاق إلى رؤيته قال: قلت فغفر الله له؟ قال لي: من تشتاق الملائكة إلى رؤيته لم يغفر الله له؟.

رأى رب العزة يعاتبه على الأخذ عن حريز بن عثمان:

ج 8: ذكر في ترجمة حريز بن عثمان بسنده إلى أحمد بن سنان قال: سمعت يزيد بن هرون يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا يزيد تكتب من

حريز بن عثمان فقلت: يا رب ما علمت منه إلا خيرا فقال لي: يا يزيد لا تكتب منه فإنه يسب عليا.

ثم ذكر بسنده أيضا إلى سعيد بن سافري الواسطي قال: كنت في مجلس أحمد بن حنبل فقال له رجل يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هرون في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وعاتبني فقلت: غفر لك ورحمك وعاتبك قال لي: يا يزيد بن هرون كتبت عن حريز بن عثمان قلت: يا رب العزة ما علمت إلا خيرا قال إنه كان يبغض أبا الحسن علي بن أبي طالب.

حريز بن عثمان الحمصي ذكر الخطيب من طرق عن جماعة أنه كان شديد التحامل على الإمام علي عليه السلام وكان يشتمه على المنابر وكان يقول: لا أحبه قتل آبائي قتل آبائي... ومنهم من يقول قد تاب من ذلك والله تعالى أعلم.

غفر له وقال له اقرأ علي القرآن:

ج 8: ذكر في ترجمة خلف بن هشام المقرئ المشهور بسنده إلى يحيى الفحام قال: رأيت خلف بن هشام في المنام فقلت له: يا أبا محمد ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي وقال لي: اقرأ علي القرآن فقرأت عليه القرآن فما غير علي إلا حرفا واحدا: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي ﴾.

من أخبار داود الطائي:

ج 8: ذكر داود بن نصير أبا سليمان الطائي الكوفي وذكر له من شيوخه الأعمش، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وقال فيه: وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره.

ثم ذكر له نوادر من زهده وأخباره في العبادة ومن وصاياه: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس كفرارك من السبع، غير ظاعن عليهم، ولا تارك لجماعتهم.

كلمة قالها ابن السماك عند دفن داود الطائي:

ج 8: ثم ذكر بسنده إلى أبي الهيثم خالد بن أبي الصقر السدوسي قال: قال أبي: لما مات داود بن نصير الطائي جاء ابن السماك فجلس على قبره ثم قال: أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الرواح على أبدانهم مع يسير الحساب غدا

عليهم، وإن أهل الرغبة تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب عليهم غدا، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة والرغبة تتعب صاحبها في الدنيا والآخرة رحمك الله يا أبا سليمان ما كان أعجب شأنك ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها عليه أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد أطيبه، وخشنت الملبس وإنما تريد لينه، يا أبا سليمان أما كنت تشتهي من المطعم طيبه، ومن الماء بارده، ومن اللباس لينه؟ بلى، ولكنك أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت، وما إليه رغبت فما أيسر ما صنعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سمع بمثلك عزم عزمك، أو صبر صبرك آنس ما تكون إذا كنت بالله خاليا، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون، تفهمت في دين الله وتركتهم يفتون، لا تذللك المطامع ولا ترغب إلى الناس في الصنائع، ولا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك، فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، ولا قلة تبرد فيها ماءك، ولا قصعة تثرد فيها غذاءك وعشاءك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا النشر الجميل، والتابع الكثير لكان حقيقا بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعا، ولا ينسى لأحد صنيعا... وفرغ من دفنه وقام الناس.

ثم ذكر من طريق آخر عن إسحاق بن منصور السلولي قال: لما مات داود الطائي شيع جنازته الناس فلما دفن قام ابن السماك على قبره فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذا الناس ينامون فقال القوم جميعا صدقت، وكنت تربح إذا الناس يخصرون فقال الناس جميعا صدقت، وكنت تسلم إذا الناس يخوضون فقال الناس جميعا صدقت، حتى عدد فضائله كلها فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله.

بشارة له بالخير الكثير:

ج 8: ذكر بسنده إلى حفص بن بغيل المرهبي قال: رأيت داود الطائي في منامي فقلت: أبا سليمان كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيرا قال:

قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير والحمد لله قال: قلت: فهل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقد كان يحب الخير وأهله؟ قال: فتبسم وقال: رقاه الخير إلى درجة أهل الخير..

توفي داود الطائي سنة ستين أو خمس وستين ومائة بعد سفيان الثوري رحمهما الله تعالى وإيانا.

بشارة لداود بن علي الظاهري بالمغفرة والمسامحة:

كان داود بن علي الأصبهاني إمام أهل الظاهر عالما كثير الحديث ورعا زاهدا ناسكا وكان لا يقول بالقياس ونقم الناس عليه القول بخلق القرآن الموجود بين الناس.

فقد ذكر الخطيب عنه أنه سئل عن القرآن فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ فغير مخلوق وأما الذي هو بين الناس فمخلوق وفي رواية قال: القرآن الذي قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وقال ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ غير مخلوق وأما الذي بين أظهرنا يمسه الحائض والجنب فهو مخلوق... وقد قدمنا الكلام على هذا الموضوع غير ما مرة وذكرت في الجزء الثاني كلاما هاما في الموضوع فارجع إليه.

ثم ذكر بسنده إلى محمد بن داود قال: رأيت أبي داود في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وسامحني، قلت: غفر لك فمم سامحك؟ قال: يا بني الأمر عظيم، والويل كل الويل لمن لم يسامح. توفي داود الظاهري سنة سبعين ومائتين.

بشارة بالمغفرة والنجاة للأعمش:

ج 9: سليمان الأعمش من كبار علماء أتباع التابعين وصغار التابعين فقد رآى أنسا وأبا بكرة وكان إماما ربانيا ولد هو وهشام بن عروة والزهري وقتادة وعمر بن عبد العزيز ليالي قتل الحسين عليه السلام سنة إحدى وستين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

ذكر الخطيب بسنده إلى هشام الرازي قال: سمعت جريرا يقول: رأيت الأعمش بعد موته في منامي فقلت: أبا محمد كيف حالكم؟ قال: نجونا بالمغفرة والحمد لله رب العالمين..

بشارات لسفيان الثوري:

ج 9: قال فيه: كان إماما من أئمة المسلمين، وعلما من أعلام الدين، مجمعا على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد وله أخبار وكلام في الزهد والورع وله أخبار مع أبي جعفر والمهدي وكانا يريدان قتله توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة فارا من الظلمة.

ذكر الخطيب بسنده إلى أبي خالد الأحمر قال: رأيت سفيان بن سعيد بعدما مات فقلت: أبا عبد الله كيف حالك؟ قال: خير حال استرحت من غموم الدنيا وأفضيت إلى رحمة الله عز وجل. وقال ابن أبي الدنيا كتب إلي أبو سعيد الأشج حدثنا إبراهيم بن أعين قال: رأيت الثوري في المنام ولحيته حمراء فقلت: ما صنعت فديتك؟ قال أنا مع السفرة قلت: وما السفرة؟ قال: الكرام البررة.

وذكر بسنده إلى سعير بن الخمس قال: رأيت سفيان الثوري في المنام وهو يطير من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ الآية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾.

وذكر عن أبي بكر المروذي قال حدثني محمد بن أبي محمد قال: رآى رجل في المنام أنه دخل الجنة قال: فرأيت الحسن وابن سيرين وإبراهيم وعدة قال: فقلت: ما لي لا أرى سفيان الثوري معكم فقد كان يذكر؟ فقالوا هيهات ذاك فوقنا ما نراه إلا كما ترى الكوكب الذري.

من أخبار السري المُغَلِّسْ السقطي:

ج 9: قال فيه كان من المشايخ المذكورين، وأحد العباد المجتهدين وذكر أنه شيخ ابن أخته الجنيد وتلميذ معروف الكرخي.

من كراماته:

ج 9: ذكر بسنده إلى علان الخياط قال: كنت جالسا مع سري يوما فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك أخذ ابني الطائف البارحة وكلم ابني الطائف وأنا أخشى أن يؤذيه فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه قال علان فتوقعت أن يبعث إليه فقام فكبر وطول في صلاته فقالت المرأة يا أبا الحسن الله الله في هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان فسلم وقال لها: أنا في حاجتك قال علان: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك.

وعن عبد الله بن شاكر قال: قال سري السقطي: صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب، فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت إلي رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبدا.

هذا من الآداب التي يلزم بها الأكابر والعلماء الربانيون وهي من الكماليات

وبسنده إلى سعيد بن عثمان قال: سمعت سري بن المغلس يقول: غزونا أرض الروم فمررت بروضة خضرة فيها الخباز وحجر منقور فيه ماء المطر، فقلت في نفسي لئن كنت آكل يوما حلالا فاليوم، فنزلت عن دابتي وجعلت آكل من ذلك الخباز وشربت من ذلك الماء، فإذا هاتف يهتف بي يا سري بن مغلس فالنفقة التي بلغت بها إلى هذا من أين؟

من وصاياه:

ج 9: ذكر بسنده إلى الجنيد قال: كنت أعود السري في كل ثلاثة أيام عيادة السنة فدخلت عليه وهو يجود بنفسه فجلست عند رأسه فبكيت وسقط من دموعي على خده ففتح عينيه ونظر إلي فقلت له: أوصني فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

من ورعه وخوفه من السقطات:

ج 9: ذكر عن أبي بكر الحربي قال: سمعت السري السقطي يقول: حمدت الله تعالى مرة فأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة قيل: وكيف ذاك؟ قال: كان لي دكان وكان فيه متاع، فوقع الحريق في سوقنا فقيل لي: فخرجت أتعرف خبر دكاني فلقيت رجلا فقال: أبشر فإن دكانك قد سلم فقلت: الحمد لله ثم إني فكرت فرأيتها خطيئة..

لأنه حمد الله على سلامة دكانه ونسي تأسفه على ما حصل للآخرين من المسلمين وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه) وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

غفر الله له ولمن حضر جنازته وصلى عليه:

ج 9: وبسنده إلى أبي عبيدة بن حريويه قال: حضرت جنازة سري السقطي فلما كان في بعض الليالي رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن

حضر جنازتي وصلى علي فقلت: فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك قال: فأخرج درجا فنظر فيه فلم ير فيه اسمي فقلت بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية. توفي رحمه الله تعالى وإيانا سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

رؤيا تبشر بعموم المغفرة للمؤمنين:

ج 9: ذكر في ترجمة سُرَيْجْ بن يونس المَرْوَرُوذي من شيوخ مسلم وابن زرعي وأبي حاتم الرازيين المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين عن إسحاق بن إبراهيم الختلي قال: سمعت سريج بن يونس الشيخ الصالح الصدوق يقول: رأيت فيما يرى النائم خيرا لنا وشرا لأعدائنا كأن الناس وقوف بين يدي الله عز وجل وأنا في أول الصف في آخره عن يميني رجل في الصف ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى نرى بياض ثياب وهو يريد أن يُحْدِثَ فينا ونحن خائفون إذ صار من موضعه إلى السماء فقال: أي شيء تريدون أصنع بكم؟ فسكت الناس فقال سريج: فقلت أنا في نفسي ويحهم أعطاهم كل ذا من نفسه وهم سكوت فقنعت رأسي بملحفتي وأبرزت عينا وجعلت أمشي وجزت الصف الأول بخطى فقال لي: إيش تريد؟ فقلت: رحمان سر بسر، إن أردت أن تعذبنا فلم خلقتنا، قال: قد خلقتكم ولا أعذبكم أبدا ثم غاب في السماء فذهب.

من مناقب حامل القرآن:

ج 9: في ترجمة شعيب بن حرب المدائني عنه أنه قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم ومعه أبو بكر وعمر فجئت فقال: أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله.

بشارة لصالح بن عبد القدوس:

كان يتهم بالزندقة فأمر به المهدي العباسي فأحضر بين يديه فقتله رغم أنه قال له: والله ما أشركت بالله طرفة عين فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (ادرأوا الحدود بالشبهات).

ولما توفي رآه أحمد بن عبد الرحمن بن المعبر في المنام ضاحكا مستبشرا قال: فقلت: ما فعل بك ربك وكيف نجوت مما كنت ترمى به قال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية فاستقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت تقذف به.

فائدة طريفة:

ج 9: ذكر في ترجمة صالح جزرة أحد أئمة الحديث الكبار عنه أنه سمع بعض الشيوخ يقول: إن السين والصاد يتعاقبان قال: فسأل بعض تلامذته عن كنية الشيخ فقال له: أبو صالح، قال: فقلت للشيخ: يا أبا سالح أسلحك الله هل يجوز أن تقرأ " نحن نقس عليك أحسن القسس " قال: فقال لي بعض تلامذته: أتواجه الشيخ بهذا؟ فقلت: إنه يكذب إنما تتعاقب السين والصاد في بعض المواضع وهذا يذكره على الإطلاق.

طريفة أخرى مع رافضي:

ج 9: وذكر عنه أيضا أنه قال كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن كل من يجيئه من أصحاب الحديث فإنه كان غاليا في التشيع قد غلب عليه فقال: من حفر بئر زمزم؟ قلت: معاوية بن أبي سفيان قال: فمن نقل ترابها؟ قلت: عمرو بن العاص فصاح وزبرني ودخل منزله. ومع غلوه في التشيع هو من رجال مسلم.

بشارات لابن المُبَارك:

ج 10: عبد الله بن المبارك من أئمة هذا الشأن ومن كبار العباد والعلماء الربانيين وقد قدمنا بعض الكلام عليه سابقا في مناسبة شجاعته.

وذكر الخطيب في ترجمته عن محمد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه قلت: الرباط والجهاد قال: نعم قلت: وأي شيء صنع بك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين.

وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك في منامي بعد موته فقلت أليس قد مت؟ قال: بلى قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري؟ قال: بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وذكر عن الفريابي أنه قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله ما فعل ابن المبارك؟ فقال: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ قلت: ما فعل وكيع؟ فحرك يديه فقال: أكثر يعني في الحديث.

فائدة فيها عبرة:

ج 10: ذكر في ترجمة عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة أنه قال كانت عندي جارية عجمية وضيئة، وكنت بها معجبا، وكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي فانتبهت فلم أجدها فالتمستها فلم أجدها وقلت: سر فلما وجدتها وجدتها ساجدة وهي تقول: بحبك لي اغفر لي قلت لها: لا تقولي هكذا، قولي: بحبي لك اغفر لي فقالت يا بطال حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وأنام عينك، قلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله قالت: يا مولاي أسأت إلي كان لي أجران صار إلي أجر واحد.

بشارة لعبيد الله بن عائشة:

ج 10: ذكر في ترجمة عبيد الله بن عائشة عن محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: رآى رجل ابن عائشة التيمي في النوم بعدما مات فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بحبي إياه.

غفر الله له وعاتبه:

ج 10: ذكر في ترجمة عبيد الله القواريري عن حفص بن عمرو الربالي قال: رأيت عبيد الله بن عمر القواريري في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي وعاتبني وقال: يا عبيد الله أخذت من هؤلاء القوم؟ قلت يا رب أنت أحوجتني إليهم ولو لم تحوجني لم آخذ قال فقال لي: إذا قدموا علينا كافأناهم عنك قال: ثم قال لي: أما ترضى أن كتبتك في أم الكتاب سعيدا.

رؤيا تدل على عظمة الصلاة في الجماعة:

ج 10: وذكر عن القواريري أيضا أنه قال: لم نكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة فنزل بي ضيف فشغلت به فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة فإذا الناس قد صلوا فقلت في نفسي روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: صلاة الجمع تفضل عن صلاة الفذ كذا إحدى وعشرين درجة وروي خمسة وعشرين درجة وروي سبعا وعشرين درجة فانقلبت إلى منزلي فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس وأنا راكب فرسا كأفراسهم ونحن نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم فالتفت إلي آخرهم

فقال: لا تجهد فرسك فلست بلاحقنا قال: فقلت: ولم ذاك قال: لأنا صلينا العتمة في جماعة.

وقد تقدم نحو هذه الرؤيا سابقا بغير هذا السياق.

أحمد بن حنبل وأبو زرعة الرازي من الأبدال:

ج 10: ذكر في ترجمة الإمام الحافظ أبي زرعة الرازي عن محمد بن الهيثم بن علي النسوي قال: لما أن قدم حمدون البرذعي على أبي زرعة لكتابة الحديث دخل عليه فرآى في داره أواني وفرشا كثيرة قال: وكان ذلك لأخيه فهم أن يرجع ولا يكتب عنه فلما كان من الليل رآى كأنه على شط بركة ورآى ظل شخص في الماء فقال: أنت الذي زهدت في أبي زرعة؟ أعلمت أن أحمد بن حنبل كان من الأبدال فلما مات أبدل الله مكانه أبا زرعة.

الأبدال ورد بهم حديث فيه ضعف وهم عبارة عن طائفة من الربانيين والصديقين من هذه الأمة وقد أطلق هذا الاسم على جماعة من السلف وغيرهم.

بشارات لأبي زرعة الرازي:

ج 10: ذكر عن حفص بن عبد الله بن باردبيل قال: اشتهيت أن أرحل إلى أبي زرعة الرازي فلم يقدر لي فدخلت الري بعد موته فرأيته في النوم يصلي في سماء الدنيا بالملائكة فقلت: عبيد الله بن عبد الكريم؟ قال: نعم قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا).

وذكر عن محمد بن مسلم بن وارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام فقلت له ما حالك يا أبا زرعة قال: أحمد الله على الأحوال كلها إني أحضرت فوقفت بين يدي الله تعالى فقال لي: يا عبيد الله بم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب إنهم خالفوا دينك فقال: صدقت ثم أتي بطاهر الحلقاني فاستعديت عليه إلى ربي تعالى فضرب الحد مائة ثم أمر به إلى الحبس ثم قال: ألحقوا عبيد الله بأصحابه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله سفيان الثوري، ومالك بن انس، وأحمد بن حنبل.

وذكر عن أبي العباس أحمد بن محمد المرادي قال: رأيت أبا زرعة في المنام فقلت: يا أبا زرعة ما فعل الله بك؟ فقال: لقيت ربي تعالى فقال لي: يا أبا زرعة إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن عن عبادي؟ تبوأ من الجنة حيث شئت.

الفوز والأمن للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا:

ج 10: ذكر في ترجمة عبيد الله الفرضي المقرئ عن أبي الحسن محمد بن أحمد الرقي قال: رأيت في منامي أبا أحمد الفرضي بهيئة جميلة أجمل مما كنت أراه في دار الدنيا فقلت له: يا أبا أحمد كيف رأيت الأمر؟ فقال لي: الفوز والأمن للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.

بشارة لبشر الحافي وأبي نصر التمار:

ج 10: ذكر في ترجمة أبي نصر التمار من تلامذة مالك بن أنس وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومن شيوخ محمد بن المثنى وأحمد بن منيع أنه كان عابدا زاهدا يعد في الأبدال.

وروى الخطيب بسنده إلى أبي جعفر السقا قال رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له: يا أبا نصر كيف الحال؟ قال: وقفني فرحم شيبتي وجعل يده تحت ذقنه وقال لي يا بشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشيت قلوب عبادي عليك. وأباحني نصف الجنة، ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي قلت: فما فعل أبو نصر التمار؟ قال: ذاك فوق الناس قال: قلت: وبماذا؟ قال: بصبره على بنياته والفقر.

بشارة لعلي بن الحسن بن المسلمة:

ج 11: ذكر عنه أنه سمعه يقول: رأيت في المنام وأنا حَدَثٌ كأني أعطيت شبه النبتة الكبيرة وقد ملأت كفي، وألقي في روعي أنها من الجنة فعضضت منها عضة ونويت بذلك حفظ القرآن، وعضضت أخرى ونويت درس الفقه، وعضضت أخرى ونويت درس الفرائض، وعضضت أخرى ونويت درس النحو، وعضضت أخرى ونويت درس العروض، فما من شيء من هذه العلوم إلا وقد رزقني الله منه نصيبا.

فائدة في فضل المشاركة في العلوم:

ج 11: ذكر في ترجمة الكِسَائِي المقرئ المشهور بسنده إلى أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: ورد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه فدخلت مسلما عليه فقال لي: يا سجستاني من علماؤكم بالبصرة؟ قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال: فقال لكاتبه: إذا كان غد فأجمعهم إلي قال: فجمعنا فقال: أيكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمك الله قال: هل يجزي في كفارة الظهار عتق عبد أعور؟ فقال المازني: لست صاحب فقه رحمك الله أنا صاحب عربية، فقال يا زيادي كيف يكتب بين رجل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها؟ قال ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني من قرأ ﴿يثنوني صدورهم﴾؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم، قال: يا أبا حاتم كيف تكتب كتابا إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر والنظرة، قال: لست رحمك الله صاحب بلاغة وكتابة أنا صاحب قرآن.

فقال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنا واحدا، حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه ولم يمر، ولكن عالمنا بالكوفة الكِسَائِي لو سئل عن كل هذا لأجاب.

أقول: كان الأقدمون هكذا إذا تعاطى أحدهم علما أتقنه ولا يكاد يعرف غيره وقد جاء في التاريخ نوادر في ذلك للمحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، واللغويين، والأدباء، والمؤرخين.

بشارتان للكِسَائِي:

ج 11: ذكر بسنده إلى محمد بن أحمد بن غزال الأسكاف قال: كان رجل يجيئنا يغتاب الكسائي ويتكلم فيه، فكنت أنهاه فما كان ينزجر، فجاءني بعد أيام فقال لي: يا أبا جعفر رأيت الكسائي في النوم أبيض الوجه فقلت: ما فعل الله بك يا أبا الحسن؟ قال: غفر لي بالقرآن إلا أني رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم فقال لي: أنت الكسائي؟ فقلت: نعم يا رسول الله قال: اقرأ قلت: وما أقرأ يا رسول الله قال: اقرأ: " والصافات " قال: فقرأت: ﴿ وَالصَّٰفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾ فضرب بيده كتفي وقال لأباهين بك الملائكة غدا.

وذكر أيضا عن الكسائي الصغير حدثنا أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش قال: رأيت الكسائي في النوم كأن وجهه البدر فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي بالقرآن فقلت: ما فعل بحمزة الزيات؟ قال: ذاك في عليين ما نراه إلا كما نرى الكوكب الذري.

وفي رواية زياد وسفيان الثوري قال: فوقنا ما نراهم إلا كالكوكب الذري قال محمد بن يحيى فلم يدع قراءته حيا ولا ميتا.

يرى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويصدقه في حديث:

ج 11: ذكر في ترجمة علي بن عاصم الصديقي بسنده إلى عبد الله بن أيوب المخرمي حدثنا حسن بن صالح رجل من أهل العلم كان يسكن عبادان أنه رآى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم قال: فقلت: يا رسول الله إن علي بن عاصم حدثنا عنك بحديث قال: وما هو؟ قال: قلت حديثا عن محمد بن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله عنك أنك قلت: (من عزى مصابا فله مثل أجره) قال: صدق علي، هو عني وأنا حدثت به.

ومن طريق آخر عن الحارث بن محمد بن المعافي العابد وكان ثقة صدوقا قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله حديث علي بن عاصم يرويه عن محمد بن سوقة (من عزى مصابا..) هو عنك؟ قال: نعم وكان محمد كلما حدث بهذا الحديث بكى. ومن طريق ثالث عن أبي علي المفلوج الزمن قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما يرى النائم، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان أمامه، وعلي خلفه، حتى جاءوا فجلسوا على رابية وإذا بين أيديهم صبي يلعب قلت: من هذا؟ قالوا: هذا إبراهيم ابن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم: أين علي بن أبي طالب؟ فقال: ها أنا يا رسول الله إذ طلع القمر فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: أين علي بن عاصم ابن علي بن عاصم؟ مرتين فجيء به فلما رآه قبل بين عينيه ثم قال له: أحييت سنتي قالوا يا رسول الله إنهم يقولون أخطأ في حديث عبد الله بن مسعود: (من عزى مصابا فله مثل أجره) قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: أنا حدثت به ابن مسعود..

وأقول: الحديث المذكور وإن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات غلطا فهو حديث حسن لطرقه وشاهدين له وانظر كتابي تهذيب جامع الترمذي رقم 954 طبع دار الفكر سنة 1415.

بشارة للثوري ولعلي بن عاصم:

ج 11: ذكر بسنده إلى موسى بن حماد قال: رأيت سفيان الثوري في المنام في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة، ومن شجرة إلى شجرة، فقلت: يا أبا عبد الله بم نلت هذا؟ قال: بالورع بالورع قلت: فما بال علي بن عاصم قال: ذاك لا نكاد نراه إلا كما نرى الكوكب.

بشارة لعلي بن المديني:

ج 11: علي بن المديني إمام أئمة المسلمين والحافظ المقدم على أهل عصره ويكفيه نبلا وجلالة أن يكون شيخ البخاري رحمهما الله تعالى ترجمته واسعة.

ذكر الخطيب في ترجمته عن عبد الله بن محمد بن سيار قال: سمعت أبا قدامة يقول سمعت علي بن المديني يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الثريا تدلت حتى تناولتها قال أبو قدامة: فصدق الله رؤياه بلغ في الحديث مبلغا لم يبلغه أحدا ولم يبلغه كبير أحد.

بشارة للدارقطني:

ج 12: أبو الحسن الدارقطني من أقطاب أهل الحديث وأحد أئمتهم شهرته تغني عن التعريف به قال الخطيب: حدثني أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا قال: رأيت في المنام ليلة من ليالي شهر رمضان كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة وما آل إليه أمره فقيل لي: **ذاك يدعى في الجنة الامام.**

من أخبار ابن المُوَفَّقْ العابد:

ج 12: علي بن الموفق من كبار العباد ومشاهير الزهاد كان من أصحاب ابن أبي الحواري.

من كراماته ومبشراته:

ذكر الخطيب بسنده إلى محمد بن أحمد المهدي قال: سمعت علي بن الموفق يقول خرجت يوما لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته ووضعته في كمي فأذنت وأقمت وصليت فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن الموفق تخاف الفقر وأنا ربك؟.

وذكر عن عبد الرحمن بن عبد الباقي قال: سمعت بعض مشايخنا يقول: قال علي بن الموفق: لما تم لي ستون حجة خرجت من الطواف وجلست بحذاء المئزاب وجعلت أتفكر لا أدري إيش حالي عند الله وقد كثر ترددي إلى هذا المكان قال: فغلبتني عيناي فكأن قائلا يقول: يا علي أتدعو إلى بيتك إلا امرءا تحبه قال: فانتبهت وقد سري عني ما كنت فيه.

وذكر عن أحمد بن عبد الله الحفار قال: رأيت أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: حباني وأعطاني وقربني وأدناني، قال قلت: الشيخ الزمن علي بن الموفق ما صنع الله به؟ قال: الساعة تركته على زلالي يريد العرش.

من دعواته الغريبة:

ج 12: ذكر عن محمد بن أحمد المهدي قال: سمعت علي بن الموفق ما لا أحصيه وهو يقول: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا مني لجنتك وشوقا مني إليها فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا مني لك وشوقا إلى وجهك الكريم فأبحنيه مرة واصنع بي ماشئت..

وهذا يدل منه على مقام كبير وأنه كان على قدم عظيم في إخلاص العبادة لله عز وجل فهو لا يعبد الله خوفا من النار ولا طمعا في الجنة كما هو عليه جمهور الموحدين ولأرباب القلوب كلام طويل في هذا الميدان.

علي بن الموفق وجماعة يحجون... عن رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم:

ج 12: ذكر الخطيب عن أبي العباس محمد بن إسحاق الثقفي قال: سمعت علي بن الموفق يقول: حججت على رجلي ستين حجة، منها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثين قال أبو العباس: فأنا أقتدي بعلي بن الموفق حججت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبع حجج، وضحيت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مائة وسبعين أضحية وقرأت القرآن عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من سنة ستين إثني عشر ألف ختمة أو دونه بقريب، وجعلت أعمالي كلها للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قال أبو إسحاق المزكي: إني قد اقتديت بأبي العباس حججت عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبع حجج، وختمت عنه سبعمائة ختمة..

بشارة وخسارة:

ج 12: ذكر في ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلي عن إسماعيل بن مسلمة وهو أخو القعنبي قال: رأيت الحسن بن أبي جعفر بعابدان في المنام فقال لي أيوب ويونس بن عبيد في الجنة، قلت: وعمرو بن عبيد قال: في النار قال ذلك ثلاثا.

وعمرو بن عبيد كان في أول أمره من أصحاب الحسن البصري ثم اتصل بواصل بن عطاء فأضله فأصبح معتزليا قدريا... وله أخبار طويلة.

عفي عنه لأنه من أبناء الثمانين:

ج 12: ذكر في ترجمة عتبة بن عبد الله الهمذاني القاضي بسنده إلى أبي بكر أحمد بن علي الدهني المعروف بابن القطان قال: رأيت أبا السائب عتبة بن عبيد الله قاضي القضاة بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك مع تخليطك بهذا اللفظ؟ فقال: غفر لي فقلت: فكيف ذاك؟فقال: إن الله تعالى عرض علي أفعالي القبيحة ثم أمر بي إلى الجنة وقال: لولا أني آليت على نفسي أن لا أعذب من جاوز الثمانين لعذبتك ولكن قد غفرت لك وعفوت عنك اذهبوا به إلى الجنة فأدخلتها.

من أخبار أبي تراب النخشبي:

ج 12: أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي الزاهد المشهور قال عبد الله بن الجلاء: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب.

رؤيا فيها هاتف يهتف به تتسخى علينا:

ج 12: ذكر عن أبي عبيد دارم بن أبي دارم قال: سمعت أخي أحمد بن محمد قال: قال: أبو تراب النخشبي: وقفت خمسا وخمسين وقفة فلما كان من قابل رأيت الناس بعرفات ما رأيت قط أكثر منهم، ولا أكثر خشوعا وتضرعا ودعاء فأعجبني ذلك فقلت: اللهم من لم تقبل حجته من هذا الخلق فاجعل ثواب حجتي له، وأفضنا من عرفات وبتنا بجمع، فرأيت في المنام هاتفا يهتف بي: تتسخى علينا وأنا أسخى الأسخياء؟ وعزتي وجلالي ما وقف هذا الموقف أحد قط إلا غفرت له فانتبهت فرحا بهذه الرؤيا..

خبر له طريف:

ج 12: ذكر عن يوسف بن الحسين قال: سمعت أبا تراب يقول: ما تمنت علي نفسي قط إلا مرة تمنت علي خبزا وبيضا وأنا في سفري، فعدلت من الطريق إلى قرية فلما دخلنا وثب إلي رجل فتعلق بي، وقال: إن هذا كان مع اللصوص قال: فبطحوني فضربوني سبعين جلدة، فوقف علينا رجل فصرخ هذا أبو تراب فأقاموني واعتذروا إلي، وأدخلني الرجل منزله وقدم إلي خبزا وبيضا، فقلت: كلهما بعد سبعين جلدة... توفي رحمه الله تعالى في البادية قيل نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين.

بشارتان لقتيبة بن سعيد:

ج 12: قتيبة بن سعيد من كبار العلماء الربانيين من شيوخ البخاري ومسلم وغيرهما.

ذكر الخطيب بسنده عنه قال: قال لي أبي: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم بيده صحيفة فقلت: يا رسول الله ما هذه الصحيفة؟ قال فيها أسامي العلماء قلت ناولني أنظر فيه اسم ابني قال: فنظرت فإذا فيه اسم ابني.

وقال أيضا: كنت في حداثتي أطلب الرأي فرأيت فيما يرى النائم أن مزادة دليت من السماء فرأيت الناس يتناولونها فلا ينالونها فجئت أنا فتناولتها فأطلعت فيها فرأيت ما بين المشرق والمغرب، فلما أصبحت جئت إلى مضجع البزاز وكان بصيرا بعبارة الرؤيا فقصصت عليه رؤياي فقال: يا بني عليك بالأثر فإن الرأي لا يبلغ المشرق والمغرب، إنما يبلغ الأثر قال: فتركت الرأي فأقبلت على الأثر...

عبرة وتحذير:

ج 12: ذكر في ترجمة القاسم بن عيسى أبي دُلَف العجلي الأمير عن محمد بن علي القوهستاني حدثني دُلَف بن أبي دُلَف قال: رأيت كأن آتيا أتاني بعد موت أبي فقال: أجب الأمير فقمت معه فأدخلني دارا وحشة، وعرة، سوداء الحيطان، مقلعة السقوف والأبواب، ثم أصعدني درجا فيها، ثم أدخلني غرفة فإذا في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا أبي عريان واضعا رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دُلَف؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير فأنشأ يقول:

أبْلِغَنَّ أهلنا ولا تُخْفِ عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخَنَّاق

قد سُئِلْنَا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمت؟

قلت: نعم فأنشأ يقول:

فلو كنا إذا مِتْنا تُرِكْنَا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بُعِثْنَا ... فنسأل بعده عن كل شي

انصرف قال: فانتبهت.

أقول: في هذه الرؤيا عبرة لذوي السلطة الظلمة المعتدين فكل ظالم معرض لعذاب الله وعقابه قال الله تعالى: ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

بشارتان لمنصور بن عمار:

ج 13: كان منصور بن عمار قاصا واعظا له أخبار في ذلك.

ذكر الخطيب بسنده إلى أبي جعفر محمد الصفار قال: رأيت منصور بن عمار في منامي فقلت له: يا منصور بن عمار ما صنع بك ربك؟ قال: لا تقل ما صنع بك ربك ولكن قل: يا منصور كيف نجوت؟ قال: لقيت ربي فقال لي يا منصور أصبت فيك تخليطا كثيرا غير أني وجدتك تحببني إلى خلقي...

وذكر أيضا عن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبي منصور في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: إن الرب تعالى قربني وأدناني، وقال لي: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا يا إلاهي قال: إنك جلست للناس يوما مجلسا

فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط، فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

من أخبار معروف الكرخي:

ج 13: ذكره الخطيب وقال عنه: كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، يغشاه الصالحون، ويتبرك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة، ويحكى عنه كرامات..

ثناء أحمد وابن عيينة عليه:

ج 13: ذكر عن عبد العزيز بن منصور قال سمعت جدي يقول: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر في مجلسه أمر معروف الكرخي فقال بعض من حضر: هو قصير العلم فقال أحمد: أمسك عافاك الله **وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.**

وعن إسماعيل بن شداد قال: قال لنا سفيان بن عيينة: من أين أنتم؟ قلنا: من أهل بغداد قال: ما فعل ذا الحبر الذي فيكم؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قال: قلنا بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم.

من كراماته:

ج 13: وذكر عن سعيد بن عثمان قال: كنا عند محمد بن منصور الطوسي يوما وعنده جماعة من أصحاب الحديث، وجماعة من الزهاد، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، فسمعته يقول: صمت يوما وقلت: لا آكل إلا حلالا، فمضى يومي ولم أجد شيئا فواصلت اليوم الثاني، والثالث، والرابع، حتى إذا كان عند الفطر قلت: لأجعلن فطري الليلة عند من يزكي الله طعامه فصرت إلى معروف الكرخي فسلمت عليه وقعدت حتى صلى المغرب وخرج من كان معه في المسجد فما بقي إلا أنا وهو ورجل آخر، فالتفت إلي فقال: يا طوسي قلت: لبيك فقال لي: تحول إلى أخيك فتعش معه فقلت في نفسي: صمت أربعة وأفطر على ما لا أعلم، فقلت: ما بي من عشاء، فتركني ثم رد علي القول ثلاثا وأنا أقول له ما بي من عشاء فسكت عني ساعة ثم قال لي: تقدم إلي فتحاملت وما بي من تحامل من شدة الضعف فقعدت عن يساره فأخذ كفي اليمنى فأدخلها إلى كمه الأيسر، فأخذت من كمه

سفرجلة معضوضة فأكلتها فوجدت فيها طعم كل طعام طيب، واستغنيت بها عن الماء.

قال فسأله رجل معنا حاضرا أنت يا أبا جعفر قال: نعم وأزيدك أني ما أكلت منذ ذلك حلوا ولا غيره إلا أصبت فيه طعم تلك السفرجلة.

وذكر عن محمد بن منصور أيضا قال: مضيت يوما إلى معروف الكرخي ثم عدت إليه من غد، فرأيت في وجهه أثر شجة فهبت أن أسأله عنها وكان عنده رجل أجرأ عليه مني فقال له: يا أبا محمد كنا عندك البارحة ومعنا محمد بن منصور فلم نر في وجهك هذا الأثر فقال له معروف: خذ فيما تنتفع به، فقال له: أسألك بحق الله قال: فانتفض معروف ثم قال له: ويحك وما حاجتك إلى هذا مضيت البارحة إلى بيت الله الحرام ثم صرت إلى زمزم فشربت منه فزلت رجلي فبطح وجهي للباب فهذا الذي ترى من ذلك. وذكر عن ابن شيرويه قال: كنت أجالس معروف الكرخي كثيرا فلما كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا فقلت له: يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء فقال لي: ما مشيت قط على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور جمع لي طرفاها فأتخطاها وذكر له غير ذلك من الكرامات.

من بشاراته:

ج 13: ذكر عن أبي العباس أحمد بن يعقوب قال: رؤي معروف الكرخي في النوم فقيل له: ما صنع بك ربك؟ قال: أباحني الجنة غير أن في نفسي حسرة أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج أو قال: وددت أني كنت يعني تزوجت..

وذكر عن محمد بن موسى قال: رؤي معروف الكرخي في المنام فقيل له: ما صنع الله بك؟ فقال:

موت التقي حياة لا انقطاع لها ... قد مات قوم وهم في الناس أحياء

من عظيم رجائه في رحمة الله عز وجل:

ج 13: ذكر عن محمد بن صبيح قال: مر معروف على سقاء يسقي الماء وهو يقول: رحم الله من شرب فشرب وكان صائما وقال: لعل الله أن يستجيب له..

وأخباره كثيرة مدونة عند غير الخطيب توفي رحمه الله تعالى سنة مائتين.

اعتراف بالحق:

ج 13: الوليد بن أبان الكرابيسي كان أحد علماء الكلام وهو أستاذ الحسين بن علي الكرابيسي المشهور وقد قضى حياته في الخوض في علم الكلام ثم تاب منه.

ذكر الخطيب عن أحمد بن سنان قال: كان الوليد الكرابيسي خالي فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أن أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا قال فتتهموني؟ قالوا: لا قال: فإني أوصيكم تقبلون؟ قالوا: نعم قال: **عليكم بما عليه اصحاب الحديث فاني رايت الحق معهم.**

أقول: هكذا اعترف هذا الإمام بالحق لأهل الحديث والاعتراف بالحق فضيلة وهكذا ندم على ما تقدم له من الخوض في هذا العلم - علم الكلام - جماعة من الأكابر كإمام الحرمين والفخر الرازي وغيرهما.

وكيع بن الجراح من الأبدال:

ج 13: وكيع بن الجراح من أكابر الحفاظ ومشاهير المحدثين الربانيين من شيوخ ابن المبارك وأحمد بن حنبل وقتيبة بن سعيد ويحيى بن معين وابن المديني ومن تلامذة الثوري والأوزاعي والأعمش وهشام بن عروة...

ترجمته طويلة وأخباره كثيرة، ذكر الخطيب بسنده إلى داود بن يحيى بن يمان قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئا، وإن وكيع بن الجراح منهم.

توفي رحمه الله تعالى عقب الحج سنة ثمان وتسعين ومائة.

غفر له بالسنة:

ج 14: ذكر في ترجمة هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي صاحب كتاب السنة المتوفى سنة ثمان عشرة وأربعمائة. عن شيخه علي بن الحسين العكبري قال: رأيت أبا القاسم هبة الله بن الحسن الطبري في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي قلت: بماذا؟ فكأني به قال لي كلمة خفيفة يقول: بالسنة...

أقول كانوا يطلقون السنة على أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأفعاله.. وكل ما جاء عنه كما كانوا يطلقونها على الأخص على ما يتعلق بالعقائد وأصول الدين على مذهب أهل السنة والجماعة ويقابلها البدعة من اعتزال وتشيع وقدر ونصب وإرجاء وتشبيه وتعطيل...

بشارة لهشيم:

ج 14: هشيم بن بشير أبو معاوية السلمي من شيوخ مالك بن أنس، والثوري وشعبة وابن المبارك... ومن تلامذة الزهري وأيوب السختياني والأعمش...

توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة له أخبار ومناقب.

ذكر الخطيب عن معروف الكرخي قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول لهشيم: يا هشيم جزاك الله عن أمتي خيرا فقيل لمعروف: أنت رأيته قال: نعم، هشيم خير مما تظن.. رضي الله تعالى عن هشيم.

بشارة ليحيى بن سعيد:

يحيى بن سعيد القطان الإمام الحافظ من شيوخ عبد الرحمن بن مهدي، وابن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ومن تلامذة هشام بن عروة، والأعمش، والثوري، ومالك بن أنس...

له مناقب وأخبار قال ابن معين أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة.. توفي هو وعبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين ومائة.

بشارتان له:

ج 14: ذكر الخطيب بسنده إلى عفان أنه قال: رآى رجل ليحيى بن سعيد قبل موته بعشرين سنة **بشر يحيى بن سعيد بامان من الله يوم القيامة.**

وذكر عن عبد الله بن سوار بن عبد الله أنه رآى في المنام وأخبره رجل أنه رآى في المنام كأن كتابا تعلق من السماء قال: فقرأته فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم **هذا كتاب براءة من الله ليحيى بن سعيد الاحول القطان.**

يحيى بن معين

الحافظ من أئمة الجرح والتعديل من شيوخه ابن المبارك، وابن عيينة، وابن مهدي، ويحيى القطان...

ومن تلامذته أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو داود كان عالما ربانيا حافظا ثقة متقنا توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بالمدينة المنورة.

بشارتان لابن معين:

ج 14: ذكر الخطيب بسنده إلى حبيش بن مبشر الفقيه أنه قال: كان يحيى بن معين يحج فيذهب إلى مكة على المدينة، ويرجع على المدينة، فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ورجع على المدينة فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه فباتوا فرآى في النوم هاتفا يهتف به: يا أبا زكرياء أترغب عن جواري؟ فلما أصبح قال لرفقائه: امضوا فإني راجع إلى المدينة، فمضوا ورجع فأقام بها ثلاثا ثم مات فحمل على أعواد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصلى عليه الناس وجعلوا يقولون: هذا الذاب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكذب.

ثم ذكر عن حبيش بن مبشر أيضا قال: رأيت يحيى بن معين في النوم فقلت: ما فعل ربك بك؟ قال أعطاني وحباني وزوجني ثلاثمائة حوراء، ومهد لي بين الناس. وفي رواية زيادة ثم قال للملائكة انظروا إلى عبدي كيف نضر وحسن.

يحيى بن اكثم

المشهور كان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام بل هو أحد أعلام الدنيا واسع العلم كثير الأدب أعجب به المأمون العباسي وأخذ بمجامع قلبه فولاه قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئا إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم قال الخطيب: ولا نعلم أحدا غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن أكثم، وابن أبي دؤاد.

غير أن يحيى كان سنيا، وابن أبي دؤاد مبتدعا خبيثا تسبب في سفك دماء كثير من أبرياء العلماء وتعذيبهم... توفي بن أكثم سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

بشارة له مع توبيخ وتأنيب له:

ج 14: ذكر الخطيب بسنده إلى محمد بن سلم الخواص الشيخ الصالح قال رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء فذكر الثالثة مثل الأولتين فلما أفقت قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك؟ فقال الله تعالى وما حدثت عني؟ - وهو أعلم بذلك - قلت حدثني عبد الرزاق بن همام حدثنا معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن نبيك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام عنك يا عظيم أنك قلت: (ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحييت منه أن أعذبه بالنار) قال الله: صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق أنس وصدق نبيي وصدق جبرائيل أنا قلت ذلك انطلقوا به إلى الجنة.

أقول: الحديث الذي ذكره ابن أكثم في الرؤيا رجاله رجال الشيخين غير ابن أكثم وفيه كلام معروف ولا يصح بهذا اللفظ وهذا السياق وإنما الذي صح: (من شاب شيبة في الإسلام وفي رواية في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما من حديثي كعب بن مرة، وعمرو بن عبسة.

أخرى له:

ج 14: ذكر عن محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال: رآى جار لنا يحيى بن أكثم بعد موته في منامه فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: وقفت بين يديه فقال لي: سوءة لك يا شيخ فقلت: يا رب إن رسولك قال: إنك تستحيي من أبناء الثمانين أن تعذبهم وأنا ابن ثمانين أسير الله في الأرض فقال لي صدق رسولي وقد عفوت عنك.

الحياة بعد الموت:

ج 14: ذكر يحيى بن الجلاء وقال أنه صحب بشر بن الحارث وكان عبدا صالحا فذكر عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى بن الجلاء قال: مات أبي فلما وضع على المغتسل رأيته يضحك، فالتبس على الناس أمره، فجاءوا بطبيب وغطوا وجهه،

فأخذ يجسه فقال: هذا ميت، فكشفوا عن وجهه الثوب فرأوه يضحك، فقال الطبيب: ما أدري حي هو أو ميت، وكان إذا جاء إنسان ليغسله لَبِسَتْه منه هيبة لا يقدر على غسله، حتى جاء رجل من إخوانه فغسله، وكفن، وصلوا عليه ودفن.

من أخبار يحيى بن معاذ الرازي:

ج 14: يحيى بن معاذ أبو زكرياء الرازي الواعظ الزاهد من كبار مشايخ الصوفية له كلام رائق وحكم بالغة الأهمية.

فمن ذلك قوله: من لم يكن ظاهره مع العوام فضة، ومع المريدين ذهبا، ومع المقربين دُرًّا وياقوتا، فليس من حكماء الله المريدين.

وقوله: أحسن شيء كلام صحيح، من لسان فصيح، في وجه صبيح، كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق.

وقوله: عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب، هيهات أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك ما أجملك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك.

من مناجاته لله عز وجل وقوله في شئون ربه:

ج 14: وقوله: إلاهي حجتي حاجتي، وعدتي فاقتي، وسبيلي إليك نعمتك علي، وشفيعي لديك إحسانك إلي، إلاهي أعلم أن لا سبيل إليك إلا بفضلك، ولا انقطاع عنك إلا بعدلك، إلاهي كيف أنساك وليس لي رب سواك، إلاهي أقول لا أعود، لا أعود لأني أعرف من نفسي نقض العهود، لكني أقول لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود.

وقال: من لي بمثل ربي؟ إن أدبرت ناداني، وإن أقبلت ناجاني، وإن دعوت لباني، حسبي ربي.

حسبي حياة الله من كل ميت	وحسبي بقاء الله من كل هالك
إذا ما لقيت عني راضيا	فإن سرور النفس فيما هنالك

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين ومائتين.

بشارة لأبي يوسف القاضي:

ج 14: ذكر الخطيب في ترجمة يوسف القاضي عن معروف الكرخي أنه قال: رأيت كأني دخلت الجنة فإذا قصر قد بني وتم شرفُه وجصص وعلقت أبوابه

وستوره وتم أمره فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأبي يوسف القاضي فقلت لهم: وبم نال هذا؟ فقالوا: بتعليمه الناس الخير وحرصه على ذلك وبأذى الناس له.

وكان أبو يوسف هذا قاضيا للمهدي ثم للرشيد وهو أحد أصحاب أبي حنيفة الكبار كان عالما فقيها متضلعا من تلامذته أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأحمد بن منيع... ومن شيوخه هشام بن عروة، والأعمش، ومحمد بن إسحاق، ويحيى بن سعيد الأنصاري...

توفي رحمه الله تعالى سنة إثنتين وثمانين ومائة.

وقد قدمنا له بشارة مع صاحبيه أبي حنيفة ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى.

بشارتان ليزيد بن هرون:

ج 14: ذكر الخطيب بسنده إلى وهب بن بيان قال: رأيت يزيد بن هرون في المنام فقلت: يا أبا خالد أليس قد مت؟ قال: أنا في قبري وقبري روضة من رياض الجنة.

وذكر أيضا عن شيخ كان عند أحمد بن حنبل قال: رأيت يزيد بن هرون في المنام فقلت له: هل أتاك منكر ونكير؟ قال: أي والله وسألاني من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: فقلت: ألمثلي يقال هذا؟ وأنا كنت أعلم الناس بهذا في دار الدنيا فقالا لي: صدقت فنم نومة العروس لا بؤس عليك...

وكان يزيد هذا حافظا متقنا حتى عمي... ومن شيوخه يحيى بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي، وعاصم الأحول، وشعبة بن الحجاج... ومن تلامذته أحمد بن حنبل وابن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، كان كثير العبادة قال عاصم بن علي: كان إذا صلى العتمة لا يزال قائما حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيفا وأربعين سنة. وقال رجل ليزيد بن هرون: كم حزبك من الليل؟ فقال: وأنام من الليل شيئا، إذا لا أنام الله تعالى عيني.

توفي رحمه الله تعالى سنة ست ومائتين.

بشارتان ليوسف بن الحسين الرازي:

ج 14: يوسف بن الحسين الرازي قال عنه: من مشايخ الصوفية كثير الأسفار وصحب ذا النون المصري وسمع أحمد بن حنبل.

ذكر الخطيب عن ابن خلف الوزان عن يوسف بن الحسين أنه رؤي في النوم فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني فقيل: بماذا؟ قال بكلمة أو كلمات قلتها عند الموت قلت: اللهم إني نصحت الناس قولا، وخنت نفسي فعلا، فهب خيانة فعلي لنصيحة نفسي.

وعن عبد الله بن عطاء قال: كان مرحوم الرازي يتكلم في يوسف بن الحسين فانتبهت ليلة وهو يبكي فقيل له: ما لك؟ قال: رأيت كتابا نزل من السماء فلما قرب من الخلق إذا فيه مكتوب بخط جليل: هذه براءة ليوسف بن الحسين مما قيل فيه فجاء إليه واعتذر.

امتحان له من ذي النون المصري:

ج 14: ذكر بسنده إلى محمد بن عبد الله بن جعفر بن الجنيد الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين الرازي الصوفي يقول قيل لي: إن ذا النون المصري يعرف اسم الله الأعظم فدخلت مصر فذهبت إليه فبصرني وأنا طويل اللحية ومعي ركوة طويلة فاستشنع منظري ولم يلتفت إلي وكان يوسف يقال أنه أعلم أهل زمانه بالكلام وعلم الصوفية فلما كان بعد أيام جاء إلى ذي النون رجل صاحب كلام فناظر ذا النون فلم يقم ذو النون بالحجج عليه قال: فاجتذبته إلي وناظرته فقطعته، فعرف ذو النون مكاني فقام إلي وعانقني وجلس بين يدي وهو شيخ وأنا شاب وقال: اعذرني فلم أعرفك فعذرته وخدمته سنة واحدة، فلما كان على رأس السنة قلت له: يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك وقيل لي: إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد عرفتني ولا تجد له موضعا مثلي فأحب أن تعلمني إياه، قال: فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إلي أنه يخبرني قال: فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي من بيته طبقا ومكبة مشدودا في منديل، وكان ذو النون يسكن في الجيزة فقال: تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط؟ قلت: نعم قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى إيش هي؟ قال: فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر فحللت المنديل وشلت المكبة فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت قال: فاغتظت غيظا شديدا وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة إلى فلان فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآني عرف ما في وجهي قال: يا أحمق إنما جربناك

ائتمنتك على فأرة فخنتني أفأئتمنك على اسم الله الأعظم؟ وقال: مر عني فلا أراك شيئا آخر.

بشارة نبوية للشبلي:

ج 14: كان الإمام أبو بكر الشبلي في بداية أمره حاجبا للموفق العباسي فحضر يوما مجلس خير النساج فتاب وصار بعد ذلك واحد زمانه حالا ونفسا وله أخبار وحكايات كثيرة توفي سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلاثمائة.

حدث الخطيب عن أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن الحسن الخفاف فذكر قصة للشبلي ثم قال: ومشى الشبلي إلى أن جاء إلى مسجد أبي بكر بن مجاهد فدخل على أبي بكر فقام إليه أبو بكر فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما، وقالوا لأبي بكر: أنت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير، وتقوم للشبلي؟ فقال أبو بكر: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم فقال لي: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة فإذا جاءك فأكرمه قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بثلاثين أو أكثر رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلا من أهل الجنة فقلت: يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك؟ فقال: هذا رجل يصلي كل يوم خمس صلوات يذكرني في إثر كل صلاة ويقرأ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية. يفعل ذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من يفعل هذا؟.

بشارة لزبيدة زوجة هرون الرشيد:

ج 14: زبيدة هذه بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور كانت زوجة لهرون الرشيد وولدت له الأمين قال الخطيب: كانت معروفة بالخير والإفضال على أهل العلم والبر للفقراء والمساكين ولها آثار كثيرة في طريق مكة من مصانع حفرتها وبرك أحدثتها وكذلك بمكة والمدينة توفيت سنة ست عشرة ومائتين.

ثم ذكر بسنده إلى عبد الله بن المبارك الزمن قال: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة قلت: فما هذه الصفرة في وجهك؟ قالت:

دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي زفرت جهنم عليه زفرة فاقشعر لها جلدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة..

وجاء عند غير الخطيب أنها رؤيت في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك مما فعلت في طريق مكة؟ فقالت: ذهبت أجور ذلك لأرباب المظالم وغفر الله لي بنيتي الصالحة أو كما قالت...

وهنا انتهى ما أردنا ذكره من فوائد تاريخ بغداد والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

من عاش بعد الموت

للمحدث العالم الصدوق أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي الأموي كتاب: " من عاش بعد الموت " ذكر فيه بأسانيده كثيرا من الأحداث عن جماعة من الصالحين وغيرهم أنهم عاشوا بعدما ماتوا أو ضحكوا أو فتحوا أعينهم أو قبضوا بأيديهم عل غيرهم وبما أن ذلك يعتبر من أعظم آيات قدرة الله تعالى وكرامات أوليائه وأن سماع ذلك أو قراءته يزيد قوة ويقينا في الإيمان بالله عز وجل... ارتأيت أن أذكر خلاصة ما ذكره ثم أتبعه بما وقفت عليه في تراجم الصالحين عبر العصور.

وقبل الشروع في بيان ذلك أذكر القارئ بأن ما ذكره ابن أبي الدنيا وما سأذكره ليس بغريب الوقوع، ولا هو من قبيل الخرافات كما قد يقال فهذا القرآن الكريم وهو عمدتنا وطريق ديننا وسبيل نجاتنا قد ذكر **عدة** أحداث وقعت فيها الحياة بعد الموت وأغلبها مذكورة في سورة البقرة.

الحدث الاول في قصة البقرة التي ذبحت وأخذ بعض منها فضرب به الميت فقام وقال: قتلني فلان ثم عاد ميتا.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

الحدث الثاني في قصة الإسرائيليين الذين صحبوا موسى عليه السلام لجبل الطور ليعتذروا لله تعالى من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله عز وجل قالوا لموسى لن نصدق لك بأن هذا كلام الله حتى نراه معاينة فأخذتهم الصاعقة فماتوا فجعل موسى يدعو الله ويبكي فأحياهم تعالى وهم ينظرون.

وفي هذا يقول عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾.

الحدث الثالث في قصة بني إسرائيل أيضا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف خوفا من الموت إما الجهاد وإما الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم وعاشوا دهرا بعد ذلك يقول تعالى في هؤلاء: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ الآية.

الحدث الرابع في قصة عزير الذي مر على بيت المقدس وقد خربها بُخْتُنَصَّرْ فقال مستعظما لقدرة الله تعالى وتعجبا من حال تلك المدينة كيف يحيي الله هذه البلدة بعد موت أهلها وكان راكبا على حمار له ومعه طعام وشراب فأماته الله مائة عام ثم أحياه. وفي هذه القصة العجيبة يقول تعالى:

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾.

الحدث الخامس في قصة الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام حيث سأل ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى ليزداد اطمئنانا وبصيرة بالمشاهدة بعد الإيمان فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة طيور فيضممهن إليه ويقطعهن ثم يخلط بعضهن ببعض حتى يصبحن كتلة واحدة ثم يجعل على كل جبل منهن جزءا ثم يناديهن يأتينه سعيا ففعل.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ الآية.

وذكر تعالى ذلك أيضا عن سيدنا عيسى في عدة آيات أنه كان يحيي الموتى بإذن الله. وكل ما جاء معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي كما قال المحققون والجمهور من العلماء، فإذا عرفت هذا هان عليك الإيمان بما ستراه مما سنذكره وبالله التوفيق.

شاب من الأنصار يحيى بعد الموت:

ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: عدت شابا من الأنصار فما كان بأسرع من أن مات، فأغمضناه ومددنا عليه الثوب فقال بعضنا لأمه احتسبيه قالت: وقد مات قلت نعم قالت أحق ما تقولون؟ قلنا نعم، فمدت يدها إلى السماء وقالت: اللهم إني آمنت بك وهاجرت إلى رسولك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإذا نزل بي شدة دعوتك ففرجتها، فأسألك اللهم لا تحمل علي هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا ثم روي من طريق آخر عن صالح المري قال: حدثت بها حفض بن النظر السلمي فعجب منه فلقيني الجمعة الثانية فقال: إني عجبت من حديثك فلقيت ربيعة بن كلثوم فحدثني أن رجلا حدثه أنه كانت له جارة عجوز كبيرة صماء عمياء مقعدة ليس لها أحد من الناس إلا ابن لها هو الساعي عليها، فمات فأتيناها فناديناها احتسبي مصيبتك على الله تبارك وتعالى فقالت: وما ذاك أمات ابني؟ مولاي ارحم بي لا يأخذ مني ذاك قال: قلت: ذهب عقلها، فانطلقت إلى السوق فاشتريت كفنه وجئت به وهو قاعد.

تكلم زيد بن خارجة بعد موته وهو صحابي بدري:

وأخرج عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه من طرق قال: كان زيد بن خارجة من سروات الأنصار، وكان أبوه خارجة بن سعد حيث هاجر أبو بكر نزل عليه في داره وتزوج ابنته ابنه خارجة وكان لها زوج يقال له سعد فقتل أبوه وأخوه سعد بن خارجة يوم أحد، فمكث بعدهم حياة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخلافة أبي بكر وعمر وسنتين من خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم فبينما هو يمشي في طريق من طرقات المدينة بين الظهر والعصر إذ خر فتوفي، فأعلمت به الأنصار فأتوه فاحتملوه إلى بيته فسجوه كساء وبردين وفي البيت نساء من نساء

الأنصار يبكين عليه، ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى إذا كان بين المغرب والعشاء الآخرة سمعوا صوتا قائلا يقول: أنصتوا فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب فسحروا عن وجهه وصدره فإذا القائل يقول على لسانه: محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم النبي الأمي، خاتم النبيين لا نبي بعده، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال القائل على لسانه: صدق صدق صدق، ثم قال: أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الصديق الأمين، الذي كان ضعيفا في جسده قويا في أمر الله كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال القائل على لسانه: صدق صدق صدق، ثم قال: الأوسط أجلد القوم الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم الذي كان يمنع الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم عبد الله عمر أمير المؤمنين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال على لسانه: صدق صدق صدق، ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو رحيم بالمؤمنين، وهو يعافي الناس من ذنوب خلت ليلتان، جعلت السنتين ليلتين، وبقيت أربع سنين ولا نظام لها وأبيحت الأحماء، ودنت الساعة، وأكل الناس بعضهم بعضا، ثم ارعوى المؤمنون وقالوا: يا أيها الناس كتاب الله وقدره فأَقْبِلُوا على أميركم فاسمعوا له وأطيعوا فإنه على منهاجكم فمن تولى بعد ذلك فلا يعهده دما كان أمر الله قدرا مقدورا مرتين.؟ ثم قال: هذه النار، وهذه الجنة، وهؤلاء النبيئون والشهداء. السلام عليكم يا عبد الله بن رواحة احتسبت أبي خارجة وسعدا لأبيه وأخيه اللذين قتلا يوم أحد ثم قال: كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى. ثم قال: هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

قال النعمان فقيل لي: إن زيد بن خارجة قد تكلم بعد موته فجئت أتخطى رقاب الناس فقعدت عند رأسه فأدركت من كلامه وهو يقول: الأوسط أجلد القوم... حتى انقضى الحديث وسألت القوم ما كان قبلي فأخبروني..

أخ لربعي(*) بن حِرَاشْ يتكلم بعد موته:

عن ربعي بن حراش رحمه الله تعالى قال: كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الأوسط منا. قال: فغبت غيبة إلى السواد ثم قدمت على أهلي

(*) وذكره ابن خلكان وغيره.

فقالوا أدرك أخاك فإنه في الموت فخرجت أسعى إليه فانتهيت وقد قضى، وسجي بثوب، فقعدت عند رأسه أبكيه. قال: فرفع يده وكشف الثوب عن وجهه وقال: السلام عليكم قلت أي أخي أحياة بعد موت؟ قال: نعم إني لقيت ربي بروح وريحان ورب غير غضبان وإن كساني ثيابا خضرا من سندس وإستبرق وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون ثلاثا، فاعملوا ولا تفتروا ثلاثا إني لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأقسم أن لا يبرح حتى آتيه فعجلوا جهازي ثم طفى مكانه أسرع من حصاة لو ألقيت في الماء. قال: فقلت: عجلوا جهاز أخي وفي رواية: كان حلف أن لا يضحك أبدا حتى يعلم هو في الجنة أو في النار؟ فمكث كذلك لا يضحكه أحد فضحك حين مات.

وآلى أخوه ربعي بعده أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار؟ قال الحارث الغنوي فلقد أخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

صبي يخرج من القبر بعد موت أمه:

عن زيد بن أسلم عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يعرض الناس إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه فقال عمر: ما رأيت غرابا كغراب أشبه من هذا بهذا فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهي ميتة قال: ويحك وكيف ذاك؟ قال: خرجت في بعث كذا وكذا وتركتها حاملا وقلت: أستودع الله ما في بطنك فلما قدمت من سفري أخبرت أنها قد ماتت فبينما أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي إذ نظرت فإذا ضوء شبيه السراج في المقابر فقلت لبني عمي: ما هذا؟ قالوا: لا ندري غير أنا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة فأخذت معي فأسا ثم انطلقت نحو القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هو في حجر أمه فدنوت فناداني مناد أيها المستودع ربه خذ وديعتك أما لو استودعته أمه لوجدتها فأخذت الصبي وانضم القبر..

رجل عاق مسخ في قبره حمارا ينهق:

أخرج بسنده عن مجاهد قال: أردت حاجة فبينا أنا في الطريق إذ فاجأني حمار قد أخرج عنقه من الأرض فنهق في وجهي ثلاثا ثم دخل فأتيت القوم الذين أردتهم قالوا: مالنا نرى لونك قد حال فأخبرتهم الخبر فقالوا: ما تعلم من ذلك

قلت: لا قالوا: غلام من الحي وتلك أمه في ذلك الخباء وكانت إذا أمرته بشيء شتمها وقال: ما أنت إلا حمار ثم نهق في وجهها وقال: ها ها ها فمات يوم مات فدفناه في تلك الحفرة فما من يوم إلا وهو يخرج رأسه في الوقت الذي دفناه فيه فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل.

وفي هذه القصة إن صحت عبرة لذوي العقوق والمسيئين إلى آبائهم وأمهاتهم.

حمار يحيى بعد موته:

وأخرج عن الشعبي أنه قال: إن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله تعالى فنفق حمار رجل منهم فأرادوا أن ينطلق معهم فأبى فقام فتوضأ وصلى وقال: اللهم إني جئت من الدثينة مجاهدا في سبيلك وابتغاء مرضاتك وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد علي منة وإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري ثم قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ثم ركبه فأجراه فلحق بأصحابه فقالوا: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله تعالى بعث لي حماري.

رجل ميت يعين مسلما على قتل كافر:

وأخرج عن أبي عبد الله الشامي قال: غزونا الروم فعسكرنا فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو فانفرد منهم رجلان قالا: فبينما نحن كذلك إذ لقينا شيخ من الروم يسوق حمارا له عليه إكاف وبرذعة وخرج فلما نظر إلينا اخترط سيفه ثم هزه فضرب حماره فقد الخرج والإكاف والبرذعة والحمار حتى وصل إلى الأرض ثم نظر إلينا فقال: قد رأيتم ما صنعت؟ قلنا: نعم قال: فابرزوا قال: فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل منا رجلا ثم قال: ها قد رأيت ما لقى صاحبك قال: نعم فرجع يريد أصحابه قال: فبينما أنا راجع إذ قلت لنفسي تكلتني أمي سبقني صاحبي إلى الجنة وأرجع أنا هاربا إلى أصحابي قال: فرجعت إليه فنزلت عن فرسي وأخذت سلاحي واعتنقته فحملني وضرب بي الأرض وجلس على صدري فجعل يتناول شيئا معه ليقتلني فجاء صاحبي المقتول فأخذ شعر قفاه فألقاه عني وأعانني على قتله فقتلناه جميعا، ثم أخذنا سلبه وجعل صاحبي يمشي ويحدثني حتى انتهى إلى شجرة

فاضطجع مقتولا كما كان فجئت إلى أصحابي وأخبرتهم فجاءوا كلهم حتى نظروا إليه في ذلك الموضع.

رجل يستشهد ثم يحيى ويبقى ساعة ثم يموت:

أخرج عن أبي إدريس المديني قال: قدم علينا رجل من أهل المدينة يقال له زياد فغزونا صقلية من أرض الروم قال: فحاصرنا مدينة وكنا ثلاثة مترافقين أنا وزياد ورجل آخر من أهل المدينة قال: فإنا لمحاصروها يوما وقد وجهنا أحدنا ليأتينا بطعام إذ أقبلت منجنيقة فوقعت قريبا من زياد فرتعت عنه شظية فأصابت ركبته فأغمي عليه فاجتررته وأقبل صاحبي فناديته فجاءني فمررنا به حيث لا يناله النبل ولا المنجنيق فمكثنا طويلا من صدر بنهارنا لا يتحرك منه شيء ثم إنه أفتر ضاحكا حتى بدت نواجده ثم خمد ثم بكى حتى سالت دموعه ثم خمد ثم ضحك مرة أخرى ثم بكى مرة أخرى ثم مكث ساعة ثم أفاق فاستوى جالسا فقال: ما لي ههنا؟ قلنا له: أما علمت ما أمرك؟ قال: لا قلنا: أما تذكر المنجنيق الذي وقع إلى جنبك؟ قال بلى قلنا: فإنه أصابك منها شيء فأغمي عليك فرأيناك صنعت كذا وكذا قال نعم أخبركم أنه أفضي بي إلى غرفة من ياقوتة أو زبرجدة، فأفضي بي إلى فرش موضونة بعضها إلى بعض بين يدي ذلك سماطان من نمارق فلما استويت قاعدا على الفرش سمعت صلصلة حلي عن يميني فخرجت امرأة لا أدري أهي أحسن أم ثيابها أم حليها؟ فأخذت إلى طرف السماء كذا فلما استقبلتني رحبت وسهلت فقالت: مرحبا بالجافي الذي لم يكن يسألنا الله ولسنا كفلانة امرأته فلما ذكرتها بما ذكرتها ضحكت وأقبلت حتى جلست عن يميني فقلت: من أنت؟ قالت: أنا خود زوجتك فلما مددت يدي قالت: على رسلك إنك ستأتينا عند الظهر فبكيت حتى فرغت من كلامها فسمعت صلصلة عن يساري فإذا أنا بامرأة مثلها فوصف نحو ذلك فصنعت كما صنعت صاحبتها فضحكت حين ذكرت المرأة وقعدت عن يساري فمددت يدي فقالت: على رسلك إنك ستأتينا عند الظهر فبكيت قال: فكان قاعدا معنا يحدثنا فلما أذن المؤذن مال فمات.

شهيدا يقرأ يا أيتها النفس المطمئنة الآية:

أخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: كان فيما مضى فتية يخرجون إلى أرض الروم ويصيبون منهم فقضى عليهم الأسر فأخذوا جميعا فأتي بهم ملكهم

فعرض عليهم دينه أن يدخلوا فيه فقالوا: لا ما كنا نفعل ذلك ونحن لا نشرك بالله شيئا فقال لأصحابه: شأنكم بهم وقعد ملكهم على تل إلى جانب نهر فدعاهم فضرب عنق رجل منهم فوقع في النهر فإذا رأسه قد قام بحيالهم واستقبلهم بوجهه وهو يقول ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ ففزعوا أو قاموا...

رجل مات وجاءه عمله الحسن والقبيح ثم عاش:

أخرج بسنده عن أبي هريرة قال: بينما نحن حول مريض لنا إذ هدأ وسكن حتى ما يتحرك منه عرق فسجيناه وأغمضناه وأرسلنا إلى ثيابه وسدرة وسريره فلما ذهبنا لنحمله لنغسله تحرك فقلنا: سبحان الله ما كنا نراك إلا قد مت قال: كأني قدمت وذهب بي إلى قبري فإذا إنسان حسن الوجه طيب الريح قد وضعني في لحدي ثم طواه بالقراطيس إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح فقالت: هذا صاحب كذا، وهذا صاحب كذا، أشياء والله أستحيي منها كأنما أقلعت منها ساعتئذ قال: قلت: أنشدك الله أن تدعني وهذه قالت: انطلق نخاصمك فانطلقت إلى دار فيحاء واسعة فيها مصطبة كأنها من فضة في ناحية منها مسجد ورجل قائم يصلي فقرأ سورة النحل فتردد في مكان منها ففتحت عليه فانفتل فقال: السورة معك قلت: نعم قال: أما إنها سورة النعم قال: ورفع وسادة قريبة منه فأخرج صحيفة فنظر فيها فبدرته السوداء فقالت: فعل كذا وفعل كذا قال: وجعل الحسن الوجه يقول: وفعل كذا وفعل كذا يذكر محاسني قال فقال الرجل: عبد ظالم لنفسه ولكن الله تجاوز عنه لم يجيء أجل هذا بعد أجل هذا يوم الإثنين قال: فقال لهم: انظروا فإن مت يوم الإثنين فأرجوا لي ما رأيت، وإن لم أمت يوم الإثنين فإنما هو هذيان للوجع قال: فلما كان يوم الإثنين صح حتى بعد العصر ثم أتاه أجله فمات قال: فلما خرجنا من عند الرجل قلت للرجل الحسن الوجه الطيب الريح ما أنت؟ قال: أنا عملك الصالح قلت: فما الإنسانة السوداء المنتنة الريح قال: ذلك عملك الخبيث...

ما ذكره ابن الجوزي في النطق المفهوم الملحق بمن عاش بعد الموت

شاب ميت يبتسم في وجه رجل:

قال أبو سعيد الخراز: كنت بمكة المكرمة فجزت يوما بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال: يا سعيد أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا، وإنما ينقلبون من دار إلى دار..

رجل آخر ميت يضحك:

قال الكتاني دخلت البادية فرأيت فقيرا ميتا وهو يضحك فقلت له: أتضحك وأنت ميت؟ فقال: هكذا محبوا الرحمان.

ميت يفتح عينيه ويتكلم:

قال أحمد بن منصور: سمعت أستاذي السوسي يقول: جاءني مريد بمكة فقال: يا أستاذ خذ هذا النصف الدينار فإني أموت عند الظهر فاحفر لي بربع دينار واشتر لي بربع دينار حنوطا وادفني في هذه الثياب التي علي فإنني قد طهرتها فأديت فيه قال: فحملت منه هذا الكلام على أنه خفة لحقته من قلة الغذاء وبقينا أداعيه إلى الغد الظهر فلما صلى توجه نحو الكعبة واضطجع فحركته بعد ساعة فإذا هو ميت فقلت: سبحان الله من له سرائر لا يعلمها إلا هو ومن أبداها إليه أنا أستاذه ما وجدت هذا من الله عز وجل قط وكان قد أوصاني أن أتولى غسله فجعلته على المغتسل فلما وضأت للصلاة فتح عينيه في وجهي فقلت: أحياة بعد موت؟ فقال لي بلسان فصيح نعم، يا أستاذ أنا حي وكل محب لله حي.

شهيد ميت يقتل كافرا بسيف:

عن أبي عمران قال: كان رجل يقال له البطال يدخل أرض الروم ويلبس البرنس ويعلق الإنجيل في عنقه فإذا وجد من أهل الشرك عشرة أو أقل قتلهم وإن كثروا أمسك عنهم فيظنون أنه أسقف من أساقفتهم فلا يتعرضون له وكان ذلك سنين كثيرة في أرض الروم حتى خرج إلى أرض الإسلام في زمان هرون الرشيد فقال له: يا بطال حدثني بأعجب شيء رأيته في أرض الروم قال: نعم، كنت يوما في

مرج من مروجها أمشي والبرنس علي والإنجيل في عنقي إذ سمعت خلفي وقوع حوافر الدواب فالتفت فإذا أنا بفارس عليه سلاح شاك وبيده رمح فدنا مني وسلم علي فرددت سلامه فقال: هل عرفت رجلا يقال له البطال؟ فقلت له: أنا البطال فنزل عن دابته وعانقني وقبل رجلي وقال: جئت لأخدمك فدعوت له فبينما نحن كذلك إذ أقبل علينا أربعة فرسان فقال لي صاحبي: ائذن لي أخرج إليهم فأذنت له فتطاردوا ساعة ثم قتلوه وأقبلوا إلي وحملوا علي فقلت لهم: إن أردتم محاربتي فأمهلوني حتى أتسلح بسلاح صاحبي وأركب دابته فقالوا: لك ذلك فلبست السلاح وركبت الدابة ثم قلت: أنتم أربعة وأنا واحد وليس هذا بإنصاف فليخرج إلي واحد منكم قالوا: لك ذلك فخرج واحد فقتلته يا أمير المؤمنين، ثم آخر فقتلته، ثم آخر فقتلته، فخرج الرابع فما زلنا نتطارد بالرماح حتى انكسر رمحي ورمحه، فنزلنا عن دابتنا وأخذ ترسه وسيفه وأخذت سيفي وترسي فما زلنا نتطارد حتى انكسر ترسي وترسه وانقطعت دواية سيفي وسيفه وسقطت أسيافنا على الأرض ثم تصارعنا حتى أمسينا وغربت الشمس فلم يقدر علي ولم أقدر عليه فقلت: يا هذا قد فاتتني الصلاة في ديني اليوم فقال لي مثل ذلك وكان أسقفا فقلت: فهل لك أن نتفرق ونقضي فوائتنا ونستريح الليل؟

فإذا أصبحنا عدنا؟ فقال: لك ذلك فوحدت الله وصليت صلاتي وفعل هو ما فعل فلما كان عند الرقاد قال: إنكم معشر العرب فيكم غدرة وفي أذني جلجلتان أعلق أحدها في أذنك وتضع رأسك علي فإن تحركت صاحت جلجلتك فأستيقظ فقلت: افعل ذلك فبتنا على تلك الحالة فلما أصبحنا وحدت الله تعالى وصليت فصرعته وقعدت على صدره وأردت أن أذبحه فقال: اعف عني هذه المرة فقلت: لك ذلك ثم اصطرعنا ثانية فزلت رجلي وقعد على صدري وهو بذبحي فقلت له: أنا قد عفوت عنك أفلا تعفو عني؟ قال: لك ذلك فتصارعنا ثالثا وقد انكسر قلبي فصرعني وقعد على صدري فقلت: واحدة بواحدة فتفضل علي بهذه المرة قال: لك ذلك ثم تصارعنا رابعا فصرعني وقال: لقد عرفت الآن بأنك البطال لأذبحنك ولأريحن أرض الروم منك قلت: كلا إن شاء ربي قال: قل لربك يمنعني عنك ورفع الخنجر ليذبحني فقام المقتول يا أمير المؤمنين ورفع سيفا وضرب رأسه وقرأ هذه

الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ ﴾.

شهيدان يحضران تزويج جارية باخ لهما:

كان ثلاثة إخوة من الشجعان في غزاة ثريد الروم وكانوا منفردين عنهم وإذا وقع القتال كفوا فانهزم المسلمون فقاتلوا حينئذ حتى كسروا الروم فألقوا أنفسهم عليهم فظفروا بهم فطلبهم ملك الروم فعرض عليهم دين النصرانية ووعدهم الملك بالأموال ونكاح بناته فأبوا فأغلى ثلاثة قدور ملأها ماء وزيتا فألقى الأكبر في قدر والأوسط في قدر فخرجت عظامهما تلوح في الحال، وتلطف في حق الآخر فما أجاب فقال بعض من عنده أنا أتلطف في نصرانيته فأجلني شهرا فأجابه إلى ذلك وسلمه إليه وكان لهذا الموكل ابنة ذات جمال فائق فأخلاه معها فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا ينظر إليها فقال: هذا كلما رآى آثار أخويه اشتد حزنه فازداد الملك المدة ونقله إلى بلد آخر ففعل ذلك فقالت الجارية إنك تقدس ربا عظيما فأسلمت على يديه سرا، وركبا وسارا النهار كله فلما جن الليل عليهما كمنا فبقيا كذلك، فسمعت الجارية ذات ليلة وقع خيل، فقالت ادع ربك يخلصنا من سيدنا فإذا بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما فقالوا: ما كانت الغيبة الأولى حتى خرجنا إلى الفردوس الأعلى وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة لتتزوجها...

ميت يفتح عينيه في القبر ويتكلم ويجلس مستويا:

عن أبي علي الروذباري أن جماعة من الفقراء وردوا عليه فاعتل واحد منهم وبقي في العلة أياما فمل أصحابه من خدمته وشكوا إلى أبي علي ذات يوم فحلف أن لا يتولى خدمته غيره فتولى خدمته بنفسه وأتى عليه أياما ثم مات فغسله بيده وكفنه ودفنه فلما أراد أن يفتح رأس كفنه ليضجعه جلس مستويا فرآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال: لأنصرنك بجاهي يوم القيامة يا أبا علي كما نصرتني.

تكلم من داخل قبره:

عن أبي حفص عمر بن عراك الحضرمي قال: حضرت جنازة أحمد بن النعمان التراس وكان ممن يجالس الشيخ أبا الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحبه ويميل إليه وكان رجلا صالحا وتقدم الشيخ صلى عليه بمصلى جولان ودفن فجلس الشيخ عند رأسه وصاح يا أحمد

اذكر العهد الذي خرجت عليه من دار الدنيا هم ملائكة ربك لا تخف فصاح لي من أسفل القبر نعم لا أشك في ذلك.

سعيد بن جبير يقول رأسه لاإلاه إلا الله بعد قتله:

عن خلف بن خليفة عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بان جبير فلما بن رأسه قال لاإلاه إلا الله وثانية وثالثة فلم يتمها.

رأس الحلاج يتكلم ويوحد الله بعد قتله:

قال أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي: إن أبا الغيث الحسين بن منصور الحلاج لما قتل ضربت عنقه فبقي جسده ساعتين من النهار قائما ورأسه بين رجليه يتكلم بكلام لا يفقه إلا أن كلامه أحد أحد قال ابن خفيف فتقدمت إليه فإذا الدم الذي يجري مكتوب على الأرض الله أحد وثلاثون موضعا ثم إنه بعد ذلك أحرق في النار.

رأس شهيد يقرأ القرآن:

قال إبراهيم بن إسماعيل: لما قتل أحمد بن نصر في المحنة وعلق رأسه فلما هدأت سمعته يقرأ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ ﴾ فاقشعر جلدي ثم رأيته في المنام وعليه السندس والإستبرق وعلى رأسه تاج فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة إلا أني كنت مغموما ثلاثة أيام مر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنا مصلوب فحول وجهه عني فقلت: يا رسول الله قتلت على الحق أو الباطل قال: على الحق ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فأستحيي منك.

هذا ما نقلناه من كتاب أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

قصص أخرى مفرقة في عدة كتب

والد ابن جلاء يضحك على المغتسل:

ذكر الإمام القشيري في رسالته عن ابن الجلاء قال: لما مات أبي ضحك على المغتسل فلم يجس أحد يغسله وقالوا: أنه حي حتى جاء واحد من أقرانه وغسله فتح عينيه بعد وضعه في قبره.

وذكر عن أبي يعقوب السوسي قال: جاءني مريد بمكة فقال: يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه، وكفني بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت: أحياة بعد موت؟ فقال: أنا حي وكل محب لله تعالى حي.

إحياء الجمل بعد موته:

وذكر عن محمد بن سعيد البصري قال: بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا فالتفت فإذا الجمل قد وقع ميتا ووقع الرجل والقتب فمشيت ثم التفت فإذا الأعرابي يقول يا مسبب كل سبب، ويا مولى من طلب، رد علي ما ذهب من جمل يحمل الرجل والقتب فإذا الجمل قائم والرجل والقتب فوقه.

إحياء المهر وركوبه ثم موته:

وذكر عن ابن أبي عبيد البسري عن أبيه أنه غزا سنة فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال: يا رب أعِرْناه حتى نرجع إلى بسرى يعني قريته فإذا المهر قائم، فلما غزا ورجع إلى بسرى قال: يا بني خذ السرج عن المهر فقلت: إنه عرق فإن أخذت السرج عنه داخله الريح فقال: يا بني إنه عارية قال: فلما أخذت السرج عنه وقع المهر ميتا.

حمار يموت ثم يحيى:

وذكر عن أبي سيرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق حماره فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت مجاهدا في سبيل ابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد علي منة اليوم أطلب منك أن تبعث حماري فقام الحمار ينفض أذنيه.

من جامع كرامات الأولياء

إحياء دجاجة:

قال في ترجمة العارف الكبير سلطان الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني ومنها أن امرأة جاءت إليه بولدها وقالت: رأيت قلب ولدي شديد التعلق بك وخرجت عن حقي فيه لك فأخذه وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فجاءته أمه يوما فوجدته نحيلا مصفرا من آثار الجوع والسهر وأكل خبز الشعير فتركته ودخلت على الشيخ فرأت بين يديه دجاجا يأكله فقالت: يا سيدي تأكل الدجاج ويأكل ولدي الشعير فوضع يده على العظام وقال: قومي بإذن الله تعالى فقامت فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

إحياء حُدَأَة:

قال ومنها أنه مر على مجلسه حدأة فصاحت فشوشت على الحاضرين فقال يا ريح خذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت.

إحياء امرأة:

قال في ترجمة الولي الكبير أحد العلماء الربانيين أبي بكر ابن عبد الله العيدروس أنه لما حج ورجع دخل زيلع وكان الحاكم بها محمد بن عتيق واتفق أن أم ولد له ماتت وكان مشغوفا بها فدخل عليه الشيخ ليعزيه ويصبره فلم يفد فيه شيء ورآه في غاية التعب وأكب على قدم الشيخ ليقبلها ويبكي فكشف الشيخ عن وجهها وناداها باسمها فأجابته ورد الله عليها روحها.

إحياء صبي:

وقال في ترجمة العارف الكبير أحد من أجمعت الأمة على جلالتهم سيدي أحمد الرفاعي أن الفقراء رقصوا وداسوا طفلا كان نائما حتى ترضرض وبقي وجهه كالرغيف فلما صلوا الفجر جاء الخادم يرفع الفراش فنفض الكساء فوقع الطفل ميتا

مرضوضا فجاء السيد فأتى الطفل فوقف وسط خرقة وصلى ركعتين ثم دعا بدعوات ثم نادى الطفل يا فلان اقعد صل قال الراوي فوالله ما فرغ من ندائه حتى رفع الطفل رأسه من تحت الكساء وقال: لبيك قال: السيد أي ولدي قد علت الشمس قم ثم أمر يده المباركة عليه فقام كأن لم يكن به ألم.

إحياء طير وقد أكل:

وذكر ابن أخت الرفاعي أنه كان جالسا يوما يرى الشيخ ويسمع كلامه فجاء رجل من الهواء وجلس بين يدي الشيخ فقال له: ما أكلت ولا شربت منذ عشرين يوما فأريد أن تطعمني وتمنى طيرا مشويا، ورغيفين، وكوزا من ماء بارد ثم نظر الشيخ إلى خمسة طيور فقال: عجل بشهوة الرجل فما تم كلامه حتى نزلت إحداهن بين يديه مشوية، ثم مد الشيخ يده إلى حجرين كانا إلى جنبه فوضعهما بين يديه فإذا هما رغيفان ساخنان من أحسن الخبز منظرا، ثم مد يده إلى الهواء وإذا بيده كوز أحمر فيه ماء قال فأكل وشرب ثم ذهب في الهواء من حيث أتى فقام الشيخ وأخذ تلك العظام ووضعها في يده اليسرى وأمر بيده اليمنى عليها وقال: أيتها العظام المتفرقة والأوصال المتقطعة اذهبي وطيري بأمر الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قال: فذهبت وزة سوية كما كانت وطارت في الجو حتى غابت عن منظري.

إحياء ولد بعد موته:

وذكر عن سيدي أحمد بن إدريس المغربي أحد أفراد الأولياء أنه غاب مرة فمات ولده فأخبر بذلك فأرسل إليهم أن لا تدفنوه حتى أحضر فحضر بعد ثلاثة أيام فجاءه فقال له: من قال لك تموت قم بإذن الله تعالى فقام حيا...

إحياء امرأة:

وذكر من كراماته أيضا أنه كان لواحد من أصحابه المغاربة امرأة مسيئة فضربها مرة ضربة شديدة فماتت فخاف على نفسه فأتى دار الشيخ ليلا فأخبره بذلك فقام الشيخ معه إلى أن أتى المرأة فوجدها ميتة فجعل الشيخ عصاه على المرأة فأحياها الله تعالى وعاشت بعد ذلك ما شاء الله.

إحياء دجاجة:

وذكر من كرامات تاج الدين بن الرفاعي أنه مر بقرية وعلم أن عند بعضهم إنكارا يعني على الصوفية وطلب دجاجة من شخص معروف بالبخل بينهم واختص بأكها ثم قالوا: كان لها فراخ فأشار الشيخ إلى الإناء الذي فيه عظامها فكشف فوجد الدجاجة بحالها فردت إلى فراخها فعظم ذلك على الحاضرين ووقع من الناس موقعا بليغا فارتحل من ساعته.

إحياء صبي:

ذكر من كرامات الشيخ حسن سكر الدمشقي أن الحاج أحمد الحموي حدثه أنه قال: ومن أعجب كراماته التي شاهدتها منذ ثلاثين سنة قريبا أنه مات لي ولد صغير فصرخت أمه من شدة المصيبة وسجته على ظهره وأنا حاضر فسمعها الشيخ حسن سكر فحضر وسأل عن الخبر فأخبرناه بموت الصبي فقال: إنه لم يمت، وجاء إليه ودعس برجله عليه ذاهبا آيبا ثلاث مرات فصاح الصبي وأحياه الله تعالى والحمد لله رب العالمين، ولم يزل حيا نحو عشر سنوات إلى أن مات الشيخ فمات الصبي.

إحياء طير:

وذكر من كرامات أبي عَمْرو البطائحي أحد أكابر الأولياء أن جماعة من الرماة أتوا إلى البطيحة للشيخ عثمان بن مروزة ورموا طيرا كبيرا بالقرب منه وكان الطير ينزل ميتا فقال الشيخ: لا يحل أكل ذلك فسألوه فقال: لأنه ميتة فقالوا مستهزئين: أحيها أنت فقال: بسم الله والله أكبر اللهم أحيها يا محيي العظام وهي رميم فقامت كلها وطارت حتى غابت عن الأبصار فتاب الرماة وأقبلوا على خدمته.

إحياء ميت فأخبر بقاتله:

وذكر من كرامات علي بن الهيتي أنه مر على أهل قريتين قد شهروا سيوفهم للقتال وثم قتيل مطروح وكل من الفريقين متهم بقتله فأخذ الشيخ بناصيته وقال: من قتلك يا عبد الله فجلس وفتح عينيه ونظر إليه وسمى قاتله وأباه ثم عاد ميتا. وهو عند المناوي.

إحياء شاة:

وذكر المناوي في ترجمة الشيخ العظيم داود الأعزب أنه صنع له إنسان طعاما وذبح له شاة فعلم والده فحنق من ذلك فلما جيء له به قال لأصحابه اجمعوا العظم ولا تكسروا منه شيئا فلم يشعروا به إلا وهو يرعى مع الغنم.

إحياء صبي:

وذكر من كرامات أبي الحسن علي بن محمد الأهدل أنه غرق صبي في عقم وادي جاحف فجاءت أمه إلى الشيخ تبكي فذهب معها إلى الوادي ونزل بعض الفقراء ودخل وأخرج الولد من الماء ووضعه بين يدي الشيخ فجعل لحافه عليه ساعة وهو يحرك شفتيه فعطس الولد وقام يمشي معهم.

إحياء هرة:

ذكر الإمام اليافعي في نشر المحاسن عن أبي الحسن الأهدل أنه كانت له هرة تسمى لؤلؤة وكان يطعمها من عشائه فضربها خادم الشيخ ذات ليلة فقتلها فرماها في مكان بعيد فلما فقدها الشيخ قال له أين لؤلؤة فقال: ما أدري فقال له: ما تدري؟! ثم ناداها الشيخ يا لؤلؤة فجاءت إليه تجري كعادتها.

إحياء فرخ:

وذكر من كرامات الشيخ علي المليجي أنه ذبح مرة فرخا للشيخ الديرني فقال له: لا بد أن أكافيك فأضافه يوما فذبح له فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما حضر قال لها سيدي علي: هش فقامت الفرخة تجري وقال لها يكفينا المرق لا تتشوشي وذكره أيضا الشعراني في المنن.

إحياء صور للسباع والنمار:

وذكر من كرامات الإمام محيي الدين النووي أنه أنكر على نائب الشام شيئا فأراد البطش به وكان في فرشه جلود نمار وسباع فأشار الإمام النووي إليها فقامت سباعا ونمارا بقدرة الله تعالى وكشرت بأنيابها على نائب الشام فخرج منها هاربا هو وجماعته ثم صالح الشيخ وقبل رجليه. وذكره الشعراني في المنن أيضا.

يضحك في قبره:

وذكر أبو يعلى في طبقات الحنابلة في ترجمة يوسف بن عمر القواس أحد الأبدال الصالحين أنه لما ألقي في قبره سمعه الحفار وهو يضحك.

إحياء امرأة:

حدثني الشيخ الفقيه الصالح سيدي أحمد بوزيد أن سيدي المفضل أزيات حدثه أنه كان مع الحاج سيدي عبد القادر بن عجيبة في قبيلة بني سجيل الغمارية وقد ماتت امرأة لبعض أصحابه فذهب معه إليها فوقف عندها قليلا وهو ينظر إلى السماء فإذا بها قد ألقت غطاءها وجلست قال: وعاشت بعد ذلك خمسة عشر عاما.

وهذا باب واسع فلنكتف بما أوردنا والحمد لله على إفضاله وإنعامه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه.

من إرشادات الذهبي في سير أعلام النبلاء

ذكر الذهبي في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص من السير حديث ختمه القرآن كله في ليلة وإرشاد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إياه إلى قراءته في شهر وفي عشرين يوما... إلى أن نزل معه إلى ثلاث ليال.

فعلق عليه الذهبي بقوله: فأقل مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلا في أقل من ذلك ولو تلا ورتل في أسبوع ولازم ذلك لكان عملا فاضلا، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجد قيام الليل، مع المحافظة على النوافل الراتبين، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودبر المكتوبة، والسحر، مع النظر في العلم النافع، والاشتغال به مخلصا لله مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق ونحو ذلك، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب، واجتناب الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدقة وصلة الرحم، والتواضع والإخلاص في جميع ذلك لشغل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين، وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب، فمتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم، فقد خالف الحنفية السمحة ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه.

قال: وكل من لم يلزم نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية يندم ويترهب ويسوء مزاجه ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرءوف الرحيم بالمؤمنين الحريص على نفعهم وما زال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معلما للأمة أفضل الأعمال، وآمرا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يبعث بها فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأواخر، ونهى عن العزلة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة وجنبنا الهوى والمخالفة.

غسل الملابس يوم الجمعة

س: يقال: إن غسل الملابس يوم الجمعة ممنوع فما الحكم في ذلك؟

ج: الحمد لله غسل الملابس مباح في سائر الأيام والليالي والشهور، لا فرق في ذلك بين الجمعة ولا بين العيد، ولا رمضان ولا المحرم... وكل ما هو شائع بين جهلة العوام والنساء هو من الخرافات والذريعة إلى اعتقاد الطيرة المنهي عنها والتي هي من أنواع الشرك والتشاؤم المقيت الذي اعتاده أكثر العوام والسلام.

حكم ما يظهر للحائض بعد الطهر من الصفرة

س: قد تطهر الحائض ثم ترى بعد ذلك ماءا أصفر شبه عصارة اللحم فهل يعتبر ذلك حيضا؟

ج: الحمد لله ما تراه الحائض بعد طهرها ونقائها من دورتها الشهرية من شبه عصارة اللحم ونحو ذلك من الكدرة ليس من الحيض في شيء.

فقد قالت أم عطية رضي الله تعالى عنها: كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئا. رواه أبو داود 307 والحاكم 174/1 وصححه ووافقه الذهبي وأصله في البخاري 442/1 مع الفتح.

وبهذا قال جمهور الأئمة. نعم إذا كان ذلك قبل أن ترى علامة طهرها فالجمهور على أنه من بقايا الحيض.

من توفي وعليه صيام يوم من رمضان

س: توفي والدي وكان قد أفطر يوما من رمضان فهل عليه صيام شهرين كما يقال؟

ج: الحمد لله الوالد الذي توفي وقد أفطر يوما من رمضان فإن كان فطره لمرض أو سفر فيكفي أن يصوم عنه الآن أي قريب يوما واحدا ليس إلا، أما صيام شهرين فإنما تكون لمن أفطر يوما من رمضان متعمدا عالما وحسبكم الآن وقد توفي والدكم إذا كان صدر منه الفطر عمدا أن تطعموا عنه ستين مسكينا، أو تصوموا عنه شهرين متتابعين توزعونها على أقاربه، أو تؤدوا قيمة رقبة مؤمنة فأي ذلك فعلتم أجزأكم وكنتم بارين بوالدكم.

ما سبب تسمية سورة الفتح بهذا الاسم وكيف كانت بيعة الرضوان؟

هذا السؤال وجه إلينا فنقول: سميت بذلك لأن الله تعالى بشر نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمؤمنين بالفتح المبين فتح مكة المكرمة قبل وقوعه بأكثر من سنة، وذكره بلفظ الماضي:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ لتحقق وقوعه وزاده تأكيدا بقوله ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ وكانت قد نزلت والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم راجع هو وأصحابه من الحديبية، فكان ذلك أعظم بشارة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولمن كان معه من المسلمين.

أما بيعة الرضوان ومصالحة كفار قريش فإن الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما هاجر من مكة وكان ذلك في ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين من مولده الشريف بقي بالمدينة هو وأصحابه المهاجرون خمسة أعوام لم يتمكن لهم دخول مكة التي هي مسقط رءوسهم والتي عاشوا وقضوا فيها أيام الطفولة والشباب، والتي تركوا فيها ديارهم وأموالهم وأقاربهم... وأعز شيء كان عندهم وهو بيت الحرام الذي جعل الله عز وجل بقعته أحب البلاد إليه تعالى فكانوا لذلك شديدي الحنين والصبابة إليها، ولما كانت السنة السادسة للهجرة رآى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رؤيا عظيمة تبشره بزيارة بيت الله ودخوله مكة المكرمة هو وأصحابه الفتح القريب وهي ما ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ فأخبر أصحابه بالرؤيا وتجهز وخرج في ألف وأربعمائة صحابي قاصدين الاعتمار وتصديق الرؤيا ولم يكن في ظنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن مشركي مكة سيحولون بينه وبين البيت الشريف والطواف به، لكنه لما وصل إلى

الحديبية وهي حد الحرم المكي من ناحية الغروب بينها وبين مكة نحو من عشرين كيلو صدوه عن الدخول فبعث سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ليتفاوض معهم نيابة عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأشيع أنه قتل فدعا الصحابة للمبايعة فبايعوه تحت الشجرة كانت هنالك ثم فاوضه الكفار وطلبوا منه الصلح وكانت شروط الصلح كالآتي:

أولاً: وضع الحرب بين المسلمين وبين الكفار عشر سنين.

ثانياً: أن يرجع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمسلمون هذا العام من غير اعتمار ويأتون العام المقبل فيدخلون مكة بدون سلاح إلا السيوف في القراب فيقيمون بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج قريش من مكة.

ثالثاً: من جاء المسلمين من قريش يردونه إليهم ولو كان مسلما ومن جاء قريشا من المسلمين لا يردونه إليه.

رابعاً: من أراد أن يدخل في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من القبائل العربية فلهم ذلك، ومن شاء أن يدخل في عهد قريش دخل فيه كذلك.

وعلى هذا تم الصلح وانصرف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم راجعا إلى المدينة بعد أن حلق رأسه ونحر هديه... وتبعه الصحابة على ذلك وقصة هذه الحادثة مخرجة في الصحيحين مطولة عن البراء بن عازب وبما حصل من هذا الصلح فتح الله المجال للمسلمين، وطويت لهم مسافة النصر، ومهد الله عز وجل لهم فتح مكة المكرمة.

وتسمى هذه الحادثة غزوة الحديبية، وعمرة الحديبية، وبيعة الرضوان لأن الله عز وجل رضي عمن بايعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تحت الشجرة.

كما قال عز وجل: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾.

السنة التي توفي عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أخرج القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة بسنده إلى الحسن بن إسماعيل الربعي قال: قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة رحمه الله تعالى: أجمع تسعون رجلا من التابعين، وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:

اولها: الرضا بقضاء الله عز وجل، والتسليم لأمره، والصبر على حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة، بر وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله منزل على قلب نبيه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غير مخلوق من حيثما تلي، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج على الأمراء بالسيف، وإن جاروا، وأن لا نكفر أحدا من أهل التوحيد، وإن عملوا الكبائر، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والترحم على جميع أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلى أولاده، وأزواجه، وأصهاره، رضوان الله عليهم أجمعين. فهذه السنة الزموها تسلموا أخذها هدى وتركها ضلالة.

من رام الحيلولة بينه وبين الذنوب رام المحال

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في هذا الكون الخير والشر والطاعة والمعصية والإيمان والكفر وقد سبق كل ذلك في علم الله عز وجل وكتبه في اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب.

فما قضاه وقدره هو كائن لا يتخلف أبدا أيا كان ذلك المقضي ومن العقائد اليقينية الإسلامية الإيمان بالقدر وأن كل ما وقع أو سيقع في هذا الكون وغيره قد سبق به علم الله تعالى وكتابته.

ومنها المعاصي والذنوب بجميع أنواعها... فلا يخلو إنسان من زلة يصيبها، ومعصية يقع فيها شاء أم أبى قضاء أبرمه الله تعالى وقدره عليه وقد جاء في سنن الترمذي عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) وفيه أيضا عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: (إن تغفر اللهم تغفر جما، وأي عبد لك ما ألما).

ففي الحديثين بيان أن كل ابن آدم خطاءون ومذنبون أحبوا أم كرهوا ولا يخرج عن هذه الكلية إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بل جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم).

وفي رواية له عند أحمد والترمذي: (لو أنكم تكونون على كل حال على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم).

وفي رواية لأبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: (لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم) رواه مسلم.

وفي رواية لأنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجْبُ

العُجْبُ) رواه القضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب وهو حديث حسن جيد كما قال المناوي والمنذري وغيرهما وذلك لشواهده.

أفادت هذه الأحاديث عدة فوائد منها أن الذنوب لا بد من صدورها من العباد ولا يخلو منها مكان ولا زمان ولا إنسان إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها أن من حكمة وقوعها من العباد هو رجوعهم منها إلى الله تعالى واستغفارهم من الوقوع فيها واعترافهم لله عز وجل بها وأنه وحده الذي يغفرها. ومنها أنه لو خلا الكون من سقطات العباد وزلاتهم وأصبحوا جميعهم معصومين من الخطايا لأماتهم الله وأتى بقوم آخرين ليذنبوا فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم لأن العباد مظهر من مظاهر تجليات أسماء الله تعالى وصفاته فالمذنبون الرجاعون إلى الله كلما أذنبوا تتجلى فيهم آثار أسماء الله تعالى وصفاته الجمالية كالغفور، والتواب، والرحيم، ونحوها.

فإذا لم يوجد مذنبون يستغفرون الله ويتوبون إليه ليغفر تعالى لهم ويتوب عليهم توقفت تصرفاته بهذه الأسماء... وذلك ينافي حكمته في خلقه وكونه.

ومنها أن الإنسان إذا صفا له الوقت مع الله ومَنَّ عليه بالاستقامة ربما دخله العجب بطاعته وأعماله الصالحة فيبتليه الله تعالى بالذنب علاجا له لأن الإعجاب بحاله في حال استقامته ربما كان أعظم خطرا على دينه من الذنب الذي يقع فيه الآونة بعد الآونة ويتوب ويستغفر منه.

وقد ذكر علماؤنا من أهل البصائر وأطباء القلوب حكما وفوائد قد تترتب على الوقوع في الذنب من الذلة والافتقار والرجوع إلى الله تعالى وتجديد المحبة وتقوية الإيمان والجد والاجتهاد في العبادة واحتقار النفس والنظر إلى الآخرين بعين الإكبار فهذا ابن عطاء الله الإسكندراني ذكر في حكمه حكمتين عظيمتين لصدور الذنب من السالك فقال رحمه الله تعالى ورضي عنه: ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول، معصية أورثتك ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا.

وعلق الشيخ أحمد البرنوصي رحمه الله تعالى على الحكمة الأولى: "وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول " بما يفتح به عليك من أبواب الهداية

والخير التي أصولها ثلاث: الانكسار، والتوبة، والتشمير مع الحذر الموجبين للجد والإخلاص المخلصين من العيوب والذنوب.

ثم نقل عن العارف أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى أن العبد قد يطيع الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها، ويستصغر من لم يعملها ويطلب من الله تعالى العوض عليها، فهذه حسنة أحاطت بها سيآت، ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله تعالى ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يعمله، فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيتهما الطاعة وأيتهما المعصية؟

وعلق على قوله: " معصية أورثتك ذلا الخ " الخير في الطاعة بالذات والشر فيها بالعرض، والشر في المعصية بالذات والخير فيها بالعرض، وخير الطاعة من حيث إنها عبودية له وخضوع بين يديه ورجوع إليه وطلب لما عنده، وشر المعصية في ضد ذلك، فإذا أوجبت الطاعة ما هو بالمعصية بالذات كانت شرا، وإذا أوجبت المعصية ما هو في الطاعة بالذات كانت خيرا...

ثم نقل عن الشيخ أبي مدين رحمه الله تعالى أنه قال: انكسار العاصي خير من صولة المطيع. وقد صدق والله وبر.

ويعجبني جدا ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم طريق الهجرتين حول هذا الموضوع وهو من النفاسة بمكان أحببت نقله لمن لا يعرفه مع طوله قال رحمه الله تعالى:

" قاعدة في مشاهد الناس في المعاصي والذنوب " فذكر ستة مشاهد ثم قال: المشهد السابع مشهد الحكمة وهو أن يشهد حكمة الله في تخليته بينه وبين الذنب، وإقداره عليه، وتهيئته أسبابه له، وأنه لو شاء لعصمه وحال بينه وبينه، ولكنه خلى بينه وبينه لحكمة عظيمة، لا يعلم مجموعها إلا الله:

احدها أنه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم، فلمحبته للتوبة وفرحه بها قضى على عبده بالذنب، ثم إذا كان ممن سبقت له العناية قضى له بالتوبة.

الثاني تعريف العبد عزة الله سبحانه في قضائه ونفوذ مشيئته وجريان حكمه.

الثالث تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته، وأنه إن لم يحفظه ويصنه فهو هالك ولا بد، والشياطين قد مدت أيديها إليه ممزقة كل ممزق.

الرابع استجلابه من العبد استعانته به واستعاذته به من عدوه وشر نفسه، ودعاءه والتضرع إليه، والابتهال بين يديه.

الخامس إرادته من عبده تكميل مقام الذل والانكسار، فإنه متى يشهد صلاحه واستقامته شمخ بأنفه وظن أنه وأنه، فإذا ابتلاه بالذنب تصاغرت عنده نفسه وذللت وتيقن وتمنى أنه وأنه.

السادس تعريفه بِخَنْقَتِهِ نفسه، وأنها الخطاءة الجاهلة، وأن كل ما فيها من علم أو عمل أو خير فمن الله من به عليه لا من نفسه.

السابع تعريفه عبده سعة حلمه وكرمه في ستره عليه، فإنه لو ساء لعاجله على الذنب، ولَهَتَكه بين عباده فلم يَصْفُ له معهم عيش.

الثامن تعرفه أنه لا طريق إلى النجاة إلا بعفوه ومغفرته.

التاسع تعريفه كرمه في قبول توبته ومغفرته له على ظلمه وإساءته.

العاشر إقامة الحجة على عبده فإن له عليه الحجة البالغة فإن عذبه فبعدله وببعض حقه عليه بل باليسير منه.

الحادي عشر أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يجب أن يعامله الله به، فإن الجزاء من جنس العمل فيعمل في ذنوب الخلق معه ما يجب أن يصنعه الله بذنوبه.

الثاني عشر أن يقيم معاذير الخلائق ويتسع رحمته لهم مع إقامة أمر الله فيهم فيقيم أمر الله فيهم رحمة لهم لا قسوة وفظاظة عليهم.

الثالث عشر أن يقطع صولة الطاعة والإحسان من قلبه فتتبدل برقة، ورأفة، ورحمة.

الرابع عشر أن يعْريه من رداء العجب بعمله كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أشد منه العجب أو كما قال. قلت تقدم لفظه وتخريجه.

الخامس عشر أن يعْريَه من لباس الإدلال الذي يصلح للملوك، ويلبسه لباس الذل الذي لا يليق بالعبد سواه.

السادس عشر أن يستخرج من قلبه عبوديته بالخوف والخشية وتوابعهما من البكاء والإشفاق والندم.

السابع عشر أن يعرف مقداره مع معافاته وفضله في توفيقه وعصمته فإن من تربى في العافية لا يعرف ما يقاسيه المبتلى ولا يعرف مقدار العافية.

الثامن عشر أن يستخرج منه محبته وشكره لربه إذا تاب ورجع إليه فإن الله يحبه ويوجب له بهذه التوبة مزيد محبة وشكر ورضى لا يحصل بدون التوبة وإن كان يحصل بغيرها من الطاعات أثر آخر لكن هذا الأثر الخاص لا يحصل إلا بالتوبة.

التاسع عشر أنه إذا شهد إساءَتَه وظلمَه واستكثر القليل من نعمة الله لعِلْمِه بأن الواصلَ إليه منها كثير على مسِيءٍ مثلِهِ فاستقل الكثير من عمله لعلمه بأن الذي يصلح له أن يغسل به نجاسته وذنوبه أضعافَ أضعافِ ما يفعله فهو دائما مستقل لعمله كائنا ما كان ولو لم يكن في فوائد الذنب وحِكَمِهِ إلا هذا وحده لكان كافيا.

العشرون أنه يوجب التَيَقظَ له والحَذَرَ من مصَايِد العدو ومكايده، ويعرفه من أين يدخل عليه، وبماذا يحذر منه، كالطبيب الذي ذاق المرض والدواء.

الحادي والعشرون أن مثل هذا ينتفع به المَرْضى لمعرفته بأمراضهم وأدوائها.

الثاني والعشرون أنه يرفع عنه حجاب الدعوى ويفتح له طريق الفاقة فإنه لا حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب من العبودية، فإن دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط خير من الصفا مع العجب.

الثالث والعشرون أنه يكون في القلب أمراض مزمنة لا يشعر بها فيطلب دواءها فيمن عليه اللطيف الخبير ويقضي عليه بذنب ظاهر، فيجد ألم مرضه فيحتمي ويشرب الدواء النافع فتزول تلك الأمراض التي لم يكن يشعر بها، ومن لم يشعر بهذه اللطيفة فغلظ حجابه كما قيل:

لعـــل عَتْـــبَكَ محمـــودا عواقـــبه وربمـــا صـــحت الأجـــسام بالعِلَـــلِ

الرابع والعشرون أن يذيقه ألم الحجاب والبعد بارتكاب الذنب، ليكمل له نعمته وفرحه وسروره إذا أقبل بقلبه إليه وجمعه عليه وأقامه في طاعته، فيكون

التذاذه في ذلك بعد أن صدر منه ما صدر بمنزلة التذاذ الظمآن بالماء العذب الزلال، والشديد الخوف بالأمن، والمحب الطويل الهجر بوصل محبوبه، وأن لطف الرب وبره وإحسانه ليبلغ بعبده أكثر من هذا، فيا بؤس من أعرض عن معرفة ربه ومحبته.

الخامس والعشرون امتحان العبد واختباره هل يصح لعبوديته وولايته أم لا؟ فإنه إذا وقع الذنب سلب حلاوة الطاعة والقرب، ووقع في الوحشة، فإن كان ممن يصلح اشتاقت نفسه إلى لذة تلك المعاملة فحنت وأنت وتضرعت واستعانت بربها ليردها إلى ما عودها من بره ولطفه، وإن ركنت عنها واستمر إعراضها ولم تحن إلى تعهيدها الأول ومأْلَفِها ولم تحس بضرورتها وفاقتها الشديدة إلى مراجعة قربها من ربها علم أنها لا تصلح لله تعالى، وقد جاء هذا بعينه في أثر إلاهي لا أحفظه.

السادس والعشرون إن الحكمة الإلاهية اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الإنسان أو بعضها ولو لم يخلق فيه هذه الدواعي لم يكن إنسانا بل ملكا فالذنب من موجبات البشرية، كما أن النسيان من موجباتها كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. ولا يتم الابتلاء والاختبار إلا بذلك.

السابع والعشرون أن ينسيه رؤية طاعته، ويشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه، فإن الله إذا أراد بعبد خيرا سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة، فإن ما تقبل من الأعمال رفع من القلب رؤيته ومن اللسان ذكره، وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار قالوا: كيف؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله وبادر إلى محوها، وانكسر وذل لربه وزال عنه عجبه وكبره، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها ويمن بها ويعتد بها ويتكبر بها حتى يدخل النار.

الثامن والعشرون أن شهود ذنبه وخطيئته يوجب له أن لا يرى له على أحد فضلا، ولا له على أحد حقا، فإنه إذا شهد عيب نفسه بفاحشة وخطيئتها وذنوبها، لا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإذا شهد ذلك من نفسه لم ير لها على الناس حقوقا من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمهم على ترك القيام بها، فإنها عنده أخس قدرا وأقل قيمة من أن يكون لها على عباد الله حقوق يجب مراعاتها، أو

لها عليهم فضل يستحق أن يلزموه لأجله، فيرى أن من سلم علم أو لقيه بوجه منبسط قد أحسن إليه وبذل له ما لا يستحقه فاستراح في نفسه واستراح الناس من تعبه وشكايته، فما أطيب عيشه وما أنعم باله وما أقر عينه، وأين هذا ممن لا يزال عاتبا على الخلق، شاكيا ترك قيامهم بحقه، ساخط عليهم، وهم عليه أسخط؟ فسبحان ذي الحكمة الباهرة التي بهرت عقول العالمين.

التاسع والعشرون أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس والفكر فيها فإنه في شغل بعيبه ونفسه، " وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس " وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول علامة السعادة، والثاني علامة الشقاوة.

الثلاثون أنه يوجب له الإحسان إلى الناس والاستغفار لإخوانه الخاطئين من المؤمنين فيصير هِجّيرَاه: رب اغفر لي ولوالدي والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، فإنه يشهد أن إخوانه الخاطئين يصابون بمثل ما أصيب به محتاجون إلى مثل ما هو محتاج إليه، فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم يحب أن يستغفر هو لأخيه المسلم. وقد قال بعض السلف: أن الله تعالى لما عتب على الملائكة في قولهم ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ وامتحن هاروت وماروت جعلت للملائكة بعد ذلك تستغفر لبني آدم ويدعون الله لهم.

الحادي والثلاثون أنه يوجب له سعة إبطائه وحلمه ومغفرته لمن أساء إليه فإنه إذا شهد نفسه مع ربه سبحانه مسيئا خاطئا مذنبا مع فرط إحسانه إليه وبره وشدة حاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين وهذا حاله مع ربه فكيف يطمع أن يستقيم له الخلق ويعاملونه بمحض الإحسان وهو لم يعامل ربه بتلك المعاملة؟ وكيف يطمع أن يطيعه مملوكه وولده وزوجته في كل ما يريد وهو مع ربه ليس كذلك، وهذا يوجب أن يغفر لهم ويسامحهم ويعفو عنهم ويغضي عن الاستقصاء في طلب حقه قبلهم. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وأثابه وهو كلام نفيس للغاية.

والمقصود أن الإنسان من طبيعته وقوعه في الخطايا فمن أراد غير ذلك حاول ما لا يكون.

قال الإمام محمد الشوكاني رحمه الله تعالى في شرح الحصن الحصين على حديث (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم)الخ ما نصه: وفي الحديث دليل على كثرة وقوع الذنوب من بني آدم، وأن من حاول أن لا يقع منه ذنب البتة فقد حاول ما لا يكون لأن هذا أعني وقوع الذنب من هذا النوع الإنساني هو الذي جبلوا عليه وقد خلقهم الله تعالى وأمرهم بالخير والكف عن الشر، ولكن ما في جبلتهم يأبى أن لا يقع منهم ذنب لأن العصمة لا تكون إلا لمن أعطي النبوة من بني آدم فلو أرادوا أنهم لا يذنبون أصلا راموا ما ليس لهم...

الفلاسفة والبعث

من المعتقدات الإسلامية القطعية الإيمان بالبعث والنشور والحياة بعد الموت والقيام لرب العالمين للحساب والجزاء وأن ذلك سيكون بالأرواح والأجساد التي سينشئها الله تعالى وقد أكثر الله عز وجل الكلام على البعث وأدلته في القرآن الكريم لما كان سائدا عند عرب الجاهلية وغيرهم من إنكاره.

حتى قال بعض أساطين طغاتهم: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ فألقمه الله حجرا في فيه فقال عز وجل: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ وقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (تحشرون حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده...) رواه البخاري ومسلم. وهذا أمر لا يحتاج عند المسلمين إلى إقامة الدليل فهو إجماع قطعي عندهم.

غير أنه يوجد من بعض أبناء المسلمين ممن تتلمذوا على الملاحدة الغربيين أو تلامذتهم من الشرقيين من يتبنى هذه العقيدة السخيفة وقد أذاعت بعض القنوات الفضائية من الشرق الأوسط هذه الأيام مناظرة في برنامج لها بين ملحد عربي ينكر بعث الأجساد وبين بعض علماء المسلمين فأفحم الملحد وبهت الذي كفر.

وهذه الفكرة المقيتة من الأفكار الفلسفية التي كانت عند فلاسفة اليونان وغيرهم ثم انتشرت بين المسلمين بعدما ترجم العباسيون العلوم الفلسفية فغزت كثيرا من عقول المسلمين وظهر منهم نوابغ وأكابر في ذلك ممن كانوا ينتسبون إلى الإسلام كابن سينا، والفارابي، والغزالي، وابن رشد، وغيرهم غير أن ابن سينا والفارابي كفرا وتبنيا كثيرا من الأفكار الكفرية الفلسفية كقولهم بقدم العالم ونفي البعث الجثماني وكون الله تعالى لا يعلم الجزئيات وغير ذلك من الكفريات القواطع.

ومن رجع إلى ترجميهما رآى من ذلك العجب.

أما الغزالي وابن رشد فكانا مسلمين شرعيين لم يصل بهما الأمر إلى ما صارا إليه ابن سينا والفارابي وغيرهما. نسأل الله السلامة والعافية في ديننا ودنيانا.

من عجيب أمر الفارابي

كان الفارابي التركي الأصل الفيلسوف من أعلم الناس بالموسيقى وآلات الطرب حتى ذكروا عنه أنه اجتمع عند بعض ملوك بني العباس مع جماعة من علماء الطرب فأظهر كل واحد منهم أحسن ما يتقنه من ذلك فلما فرغوا أخرج آلته فقال للحاضرين أتحبون أن تضحكوا فضرب حتى ضحك جميعهم ثم قال لهم: أتحبون أن تبكوا فضرب فانقلب ضحكهم بكاء حتى سالت دموعهم ثم قال لهم أتحبون أن تناموا فضرب فنام كل من حضر حتى أميرهم فخرج وتركهم نائمين وهذا غاية ما يكون من إتقان علم الموسيقى.

توفي الفارابي بدمشق عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة.

كان إذا حزبه أمر صلى

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا حَزَبَه أمر صلى. رواه أحمد وأبو داود بسند حسن.

" حزبه " بالباء أي أصابه ورواه بعضهم بالنون من الحزن.

وهذا يدل على أن للصلاة لشأنا في قضاء الحاجات، ودفع الكربات وأنها الدرجة الأولى في مناجاة الله عز وجل والالتجاء إليه في كشف الملمات ولذلك شرع في الإسلام تقديم الصلاة أمام سؤال الحاجات والمطالب العظام من الله عز وجل.

فشرعت صلاة التوبة، وصلاة التسبيح طلبا للمغفرة والعفو عن الذنوب، وشرعت صلاة الاستسقاء طلبا من الله عز وجل السقي عند نزول تأخر المطر، وشرعت صلاة الاستخارة طلبا من الله تعالى خير ما أشكل، وشرعت صلاة الحاجة رفعا لبلاء أو جلبا لخير، وكل ذلك يدل على أن للصلاة سرا خاصا لا يوجد في غيرها ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نزل به أمر يهمه فزع إلى الصلاة..

كرامة عجيبة لابن أبي حاتم

أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الحافظ صاحب كتاب الجرح والتعديل الذي هو من أجل ما ألف في شأن الجرح والتعديل المتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

ذكروا في ترجمته أنه كان عابدا زاهدا ورعا ذا كرامات كثيرة.

وقالوا عنه أنه انهدم سور بلد في بعض بلاد الثغور فقال للناس: ألا تبنوه وحثهم على عمارته فرآى منهم تأخرا فقال: من يبنيه وأضمن له على الله تعالى الجنة؟ فقام رجل من التجار فقال: اكتب لي خطك بهذا الضمان وهذه ألف دينار لعمارته فكتب له رقعة بذلك فعمر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عما قريب فلما حضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة فإذا هي التي كان كتبها له ابن أبي حاتم وإذا في ظهرها مكتوب: قد أمضينا لك هذا الضمان ولا تعد إلى ذلك. انظر البداية لابن كثير في وفيات سنة 327.

وقد يستشكل هذه الكرامة بعض من لا يستحضر ما يدل لذلك من السنة وهذه بعض أدلة ذلك لمن يهمه الأمر:

اولا حديث البخاري: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وفيه: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.... إلى أن قال: ولئن سألني لأعطينه...

ثانيا حديث مسلم: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) فكلا الحديثين يشهدان لكرامة ابن أبي حاتم فقد يكون سأل الله تعالى ضمان الجنة للرجل فأجابه الله... وقد يكون أقسم على الله في ضمان ذلك فأبر الله قسمه ولم يحنثه وهذا واضح بحمد الله تعالى.

ثالثا قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث أبي الدرداء (العلماء ورثة الأنبياء) والعلماء الربانيون كابن أبي حاتم الذي حاز الحظ الأوفر من إرث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأصحابه... اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم،

وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم. رواه أحمد وغيره بسند حسن. وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (من يضمن لي ما بين لِحْيَيْهِ وما بين رجليه(*) أضمن له الجنة) رواه البخاري من حديث سهل بن معاذ.

فما يجاب به عن الحديثين يجاب به عما وقع من ابن أبي حاتم.

فالجنة ملك لله تعالى وحده فليس لأحد فيها حق الملكية إلا بالله عز وجل فإذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: أضمن لكم الجنة فمعناه أن الله عز وجل سينفذ له ما ضمنه لِكَرامَتِهِ عليه وقرْبِهِ عنده ومحبته له وهذا كما قال لحمزة الأسلمي وقد قال له: أسألك مرافقتك في الجنة فقال له: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) ومعناه أنه سيشفع له عند الله ويسأله أن يكون رفيقه في الجنة لكنه أرشده إلى كثرة الصلاة ليكون مؤهلا لمرافقته في الجنة وعونا له على شفاعته.

فما صدر من ابن أبي حاتم هو من جنس ما صدر من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله عز وجل لا يرد طلب عبده الصالح بل قد يقضي له شيئا بمجرد ما يخطر له بباله من قبل أن يسأله ويتكلم بما يريده. والله ذو الفضل العظيم.

(*) ما بين لحييه هو اللسان وما بين رجليه هو الفرج.

مناجاة بليغة لبعض الأعراب

أخرج الإمام الالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة بسنده إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: سمعت أعرابيا وهو مستلق بعرفة وهو يقول:

اللهم من أولى بالزلل والتقصير مني، وقد خلقتني ضعيفا؟ ومن أولى بالعفو عني منك؟ عِلْمك في سابق، وأمرك بي محيط، أطعتك بإذنك والمنة لك، وعصيتك بعلمك والحجة لك، فأسألك بموجب رحمتك وانقطاع حجتي، وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني.

اللهم لم أحسن حتى أعطيتني، ولم أسئ حتى قضيت علي.

اللهم إنا أطعناك بنعمتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لاإلاه إلا الله ولم نعصك بنعمتك في أبغض الأشياء إليك: الشرك. فاغفر ما بينهما.

اللهم إنك أنس المؤمنين لأوليائك وأقربهم بالكفاية من المتوكلين عليك تشاهدهم في ضمائرهم، وتطلع على سرائرهم، وسري لك اللهم مكشوف، وأنا لك ملهوف، إذا أوحشَتْني الغربة آنسني ذكرك، وإذا أغمت علي الهموم لجأت إليك استجارة بك، علما بأن أزمة الأمور بيدك، وأن مصدرها عن قضائك.

صواب المجتهد وخطؤه

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) رواه البخاري في الاعتصام، ومسلم في الأقضية ورروياه أيضا عن أبي هريرة.

استدل العلماء رحمهم الله تعالى بهذا الحديث على أن المجتهد قد يصيب ويخطئ وأن للمصيب أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وأن للمخطئ أجراً واحداً لاجتهاده ثم اختلفوا هل كل مجتهد مصيب أم لا؟

فذهب فريق منهم إلى إصابة كل مجتهد وذهب آخرون أن المصيب واحد وما عداه مخطئ وهو ظاهر الحديث فلا ينبغي أن يختلف في ذلك لأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جعل المجتهدين قسمين قسما مصيبا وأثبت له أجرين، وقسما مخطئا وأثبت له أجرا واحدا فكيف نجعل من خطأه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مصيبا ما هذا إلا عمل بالمتناقضين. وهل يكون الشيء حلالا وحراما أو صحيحا وباطلا... هذا مستحيل عقلا وعادة وشرعا.

ثم إن العلماء اتفقوا على أن المجتهد الذي له هذا الحكم هو من توفرت فيه شروط الاجتهاد التي ذكروها له في كتب أصول الفقه من كونه عالما بالعربية وقواعدها ملما بأصول الفقه ذا اطلاع على الأحكام الشرعية من القرآن والسنة عارفا بالإجماع المتفق عليه... ويكون وسطا في ذلك كله.

فعلى مثل هذا ينطبق الحديث لأن الصحابة الذين خاطبهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كانوا كذلك أما الجاهل العامي ممن جاء بعدهم فاجتهاده باطل أصاب أم أخطأ فهو كالقاضي الذي يحكم بجهله فمآله النار كما أخبر بذلك النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ثم أجمعوا على أن المصيب في القطعيات وأصول الدين والعقيدة واحد وأن من أخطأ في ذلك كان كافرا أو فاسقا مبتدعا ضالا.

غير أنه خالف في هذا داود الظاهري وأتباعه فجعلوا الأصول والفروع سواء وعذروا المخطئ ولو في الأصول وبالغ ابن تيمية فجعل ذلك قول الصحابة وجماهير أئمة الإسلام وأن ما أجمع عليه العلماء في ذلك ليس له أصل، لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام...

وهذا من جملة إطلاقاته التي خالف فيها من قبله من أهل العلم.

فقد قال في جواب له مذكور في الفاتاوى ج 346/23 إن المسلم قد يجتهد في معرفة الحق فيخطئ ويعذر في خطإه، سواء كان ذلك الخطأ في الأصول أو في الفروع قال: وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية - يعني العقائد - أو العملية - يعني فروع الشريعة - قال: هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجماهير أئمة الإسلام وما قسموا المسائل إلى مسائل يكفر بإنكارها، ومسائل لا يكفر بإنكارها، فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول، وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم... هكذا قال رحمه الله تعالى.

وعلى مقتضى قوله يكون كل مجتهدي أهل البدع معذورين لا إثم عليهم فيكون أئمة الخوارج معذورين ورؤساء الروافض معذورين، وهكذا يقال في المعتزلة والجهمية والمعطلة والمشبهة والمجسمة... لأن جميعهم يطلبون الحق. وهذا فاسد بإجماع المسلمين وقد ذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في المستصفى خلاصة ما قاله الأئمة في هذا الموضوع قبله فقال في بحث المجتهد ما نصه:

والمخطئ في القطعيات آثم، والقطعيات ثلاثة أقسام: كلامية، وأصولية، وفقهية. أما الكلامية فنعني بها العقليات المحضة - يعني العقائد - والحق فيها واحد، ومن أخطأ الحق فيها فهو آثم، ويدخل فيه حدوث العالم، وإثبات المحدِث

- يعني الله تعالى - وصفاته الواجبة، والجائزة، والمستحيلة، وبعثة الرسل، وتصديقهم بالمعجزات، وجواز الرؤية، وخلق الأعمال، وإرادة الكائنات، وجميع ما الكلام فيه مع المعتزلة، والخوارج، والروافض، والمبتدعة، قال: فهذه المسائل الحق فيها واحد، ومن أخطأه فهو آثم، فإن أخطأ فيما يرجع إلى الإيمان بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو كافر، وإن أخطأ فيما لا يمنعه من معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما في مسألة الرؤية، وخلق الأعمال، وإرادة الكائنات، وأمثالها فهو آثم من حيث عذل عن الحق وضل، ومخطئ من حيث أخطأ الحق المتيقن، ومبتدع من حيث قال قولا مخالفا للمشهور بين السلف، ولا يلزم الكفر.

قال: وأما الأصولية فنعني بها كون الإجماع حجة، وكون القياس حجة، وكون خبر الواحد حجة، ومن جملة خلاف من جوز خلاف الإجماع المنبرم قبل انقضاء العصر، وخلاف الإجماع الحاصل عن اجتهاد، ومنع المصير إلى أحد قوله الصحابة والتابعين عند اتفاق الأمة بعدهم على القول الآخر، ومن جملته اعتقاد كون المصيبين واحدا في الظنيات، فإن هذه مسائل أدلتها قطعية، والمخالف فيها آثم مخطئ.

قال: وأما الفقهية فالقطعية منها وجوب الصلوات الخمس، والزكاة، والحج، والصوم، وتحريم الزنا، والقتل، والسرقة، والشرب، وكل ما علم قطعا من دين الله فالحق فيها واحد، وهو المعلوم، والمخالف فيها آثم قال: ثم ينظر فإن أنكر ما علم ضرورة من مقصود الشارع، كإنكار تحريم الخمر، والسرقة، ووجوب الصلاة، والصوم، فهو كافر، لأن هذا الإنكار لا يصدر إلا عن مكذب بالشرع وإن علم قطعا بطريق النظر لا بالضرورة، ككون الإجماع حجة، وكون القياس حجة، وخبر الواحد حجة، وكذلك الفقهيات المعلومة بالإجماع فهي قطعية، فمنكرها ليس بكافر، لكنه آثم مخطئ. إلى أن قال: فخرج من هذا أن النظريات قسمان قطعية وظنية، فالمخطئ في القطعيات آثم، ولا إثم في الظنيات أصلا، لا عند من قال المصيب فيها واحد، ولا عند من قال كل مجتهد مصيب، هذا هو مذهب الجماهير. انتهى قول الغزالي رحمه الله تعالى.

إذا عرفت هذا ظهر لك مخالفة قول ابن تيمية للحق وقول الجمهور وما رآه في ذلك هو الذي جعله يعتقد صحة قوله بقدم العالم بالنوع، وقوله بفناء النار وغير ذلك مما خالف فيه نصوص القرآن والسنة الصحيحة وإجماع المسلمين. وهذا من جملة زلة العالم التي لا يتبع عليه فيها رحمه الله تعالى وإيانا وجنبنا الخطأ والزلل.

مناجاة ابن عطاء الله لربه

ولنختم هذا الجزء بأبلغ مناجاة لله تعالى ناجى بها الله عز وجل الإمام العارف بالله تعالى سيدي العارف ابن عطاء الله السكندري ختم بها حكمه الفذة فقال رحمه الله تعالى:

إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيرا في فقري.

إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي.

إلهي إن اختلاف تَدْبيركَ وسرعةَ حلول مقاديرك منعا عبادكَ العارفين بك عن السكون إلى عطاءٍ واليأس منك في بلاءٍ.

إلهي مني ما يليق بِلؤْمي، ومنك ما يليق بكرمك.

إلهي وصفت نفسك باللطفِ والرأفةِ بي قبل وجودِ ضَعفي أَفَتَمْنَعني منهما بعدَ وجودِ ضعفي.

إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك، ولك المنة علي وإن ظهرت المساوئ مني فَبِعَدْلِكَ ولك الحجة علي.

إلهي كيف تكلني إلى نفسي وقد توكلتَ لي، وكيف أضام وأنت النصير لي، أم كيف أخيب وأنت الحفي بي، ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك، أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك، أم كيف تَخيب آمالي وهي قد وفدت إليك، أم كيف تَحسن أحوالي وبك قامت وإليك.

إلهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قَبيحِ فِعْلي.

إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك.

إلهي ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك.

إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء.

إلهي كلما أَخْرَسَنِي لؤْمي أنطقني كرمك، وكلما أَيْأَسَتْنِي أوصافي أطْمَعَتْنِي مِنَنك.

إلهي من كانت محاسنه مساوِئَ، فكيف لا تكون مَسَاوِيه مَسَاوِئَ ومن كانت حقائقه دَعاوِيَ، فكيف لا تكون دعاويه دعاويَ.

إلهي حكمك النافذ، ومشيئتك القاهرة لم يَتركَ لذِي مقالٍ مقالاً، ولا لذِي حالٍ حالاً..

إلهي كم من طاعةٍ بَنيتها وحالة شَيدْتها هدم اعتمادي عليها عَدْلك بل أقالني منها فضلك.

إلهي أنت تعلم وإن لم تدم الطاعة مني فعلا جَزْماً، فقد دامتْ محبةً وعزْماً.

إلهي كيف أعزم وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنت الآمر.

إلهي تَرَددِي في الآثار يوجب بعد المَزار، فاجْمَعْنِي عليك بخدمة توصلني إليك.

إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهِر لك، متى غِبْتَ حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بَعدتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك.

إلهي عميت عين لا تراك عليها قريبا رقيباً، وخسِرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً.

إلهي أمرتَ بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مَصونَ السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير.

إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فاهدني بنوركَ إليك، وأقِمني بصدقِ العبودية بين يديك.

إلهي علمني من علمك المخزون، وصِني بسر اسمك المَصون.

إلهي حققني بحقائق أهلِ القرب، واسلك بي مسالك أهل الجذْب.

إلهي أغنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عن تدبيري، وباختيارك لي عن اختياري، وأوقفني على مراكز اضطراري.

إلهي أخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شَكي وشِرْكِي قبل حلول رَمْسِي بك أستنصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وإياك أسأل فلا تخيبني، وفي فَضلك أرغب فلا تحرمني، وبجنابك أنتسب فلا تبعدني، وببابك أقف فلا تَطْردني.

إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك، فكيف تكون له علة مني، أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنيا عني.

إلهي إن القضاء والقَدَر غلَبني، وإن الهوى بوَثَاقِ الشهوةِ أَسَرَني، فكن أنت النصير لي حتى تنصرَني وتنصرني، وأغنِنِي بجودك حتى أستغني بك عن طلبي، أنت الذي أشرقتَ الأنوار في قلوب أوليائك، وأنت الذي أزلتَ الأغيار من قلوب أحبابك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسِر من بغى عنك متحولا.

إلهي كيف يرجى سواك وأنت الذي ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان، يا من أذاق أحبَابه حلاوةَ مؤانستِه فقاموا بين يديه متَمَلقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين، أنت الذاكر من قبل ذكر الذاكرين، وأنت البادي بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعطايا من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين.

إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبلَ عليك.

إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك.

إلهي قد دفعتني العوالم إليك، وأوقفني علمي بكرمك عليك، كيف أخيب وأنت أمَلي، أم كيف أهان وعليك متكَلي.

إلهي كيف أستعز وفي الذلة أركزتني، أم كيف لا أستعز وإليك نَسَبْتَنِي.

إلهي كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني، أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني، أنت الذي لاإلاه غيرك، تعرفْتَ لكل شيء، فما جهلك شيء، وتعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء، فأنت الظاهر لكل شيء، يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه، محقت الآثار بالآثار، ومحوْتَ الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا من احتجب في سرادقات عِزِّهِ عن أن تُدْرِكه الأبصار يا من تجلى بكمال بهائه فتحققتْ عظمتَه الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر.

فهذه مناجات عظيمة ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها فيناجي بها ربه الآونة بعد الآونة.

وبها تم الجزء الثالث من نصب الموائد. والحمد لله على إفضاله وإحسانه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وزوجه وصحبه أبد الآبدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المحتويات